المشرق

السنة السادسة والخمسون — آب ١٩٦٣

رسالة البابا يوحنا الثالث والعشرين

«أمّ ومعلّمة الأمم» (١)

بقلم الأب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

لهذه الرسالة دور عظيم في حياة الكنيسة الكاثوليكية . من سبعين سنة هي المرة الثالثة التي فيها تتكلّم الكنيسة بصورة هكذا رسمية على الامور الاقتصادية والاجتماعية. ولذا فمن الضروري ان يهتم المؤمنون كلّهم بهذه الوثيقة، بان يتعرّفوا الى محتواها ، بأن يدخلوا الى صلب المشاكل الأساسية التي تحللها وبان يعيروا الانتباه الكلّي لتخرج هذه التعاليم من نطاق الفكر الى صعيد العمل والانتاج .

(١) كانت صدرت في مجلة *Relations* الكندية لشهر ايلول ١٩٦١ مقالات عالجت الافكار الاساسية التي حملتها رسالة البابا يوحنا الثالث والعشرين . ولما رأينا انها تطلع القارئ على تعليم الكنيسة الاجتماعي ترجمناها الى العربية مع بعض التصرف .

هذه الرسالة تعيد الينا ذكرى تلك التي منذ سبعين سنة اذاعها السعيد الذكر لاوون الثالث عشر سنة ١٨٩١ والتي كانت تحمل اسم « اشياء جديدة » . فهي اذاً وليدة ظروف ولكنها تتأصل في تقليد كنسي . هي رسالة تعلّم المؤمنين ولكنها تستند الى تعاليم سابقة في هذا المضمار فهي ليست نقطة انطلاق على صعيد الاقتصاد والاجتماعيات، ولكنها تتبع رسالة بيوس الحادي عشر « أربعون سنة » كما كانت هذه تتبع رسالة لاوون الثالث عشر « اشياء جديدة » .

فالقسم الاول منها يؤكد هذا التتابع في تعليم الاحبار الاجتماعي : يلخص فيه البابا الرسالتين السابقتين وما قاله ايضاً بيوس الثاني عشر في اذاعة يوم عنصرة سنة ١٩٤١ مع بعض الالحاح على نقط عقائديّة لها وقعها اليوم في حلّ مشاكل الساعة ومع التذكير بالارشادات الاساسيّة التي اعطاها الى اليوم الاحبار الرومانيون . ويعتبر هذا القسم الاول كمقدمة توصلنا الى التعاليم الجديدة التي احتوت عليها الرسالة « أمّ ومعلّمة ».

ففي القسم الثاني يحدّد الحبر الاعظم موقف الكنيسة تجاه المشاكل التي يحتوي عليها مفهوم الاجتماعيات، تلك المشاكل التي تنبت في عالم العمل والكدح وخاصة في عالم المصانع . ولقد الحّ البابا على دور البادرة الخاصة والسلطات العامة في الاقتصاد والاجتماعيات ؛ الحّ ايضاً على فوائد واضرار الاشتراكية ؛ الحّ ثالثاً على اجور العمل وعلى ما يجب ان يطبّق اليوم عصر التوسع الاقتصادي والتطور الاجتماعي؛ الحّ رابعاً على متطلبات العدل تجاه اسس المقاولات الاولية. واخيراً القى نوراً خاصاً على الملكية الخاصة . كلها مشاكل ذات اهميّة ولها دوماً دورها في الساعة القائمة وان كانت الكنيسة قد خصّصت لها تعليماً خاصاً في ما يتعلق بالاجتماعيات وبقيمة الدولة الاقتصادية وبالاجرة العدل وبشرعية الملكية الخاصة .

هذه المشاكل هي محور القضية الاجتماعية حسب مفهومها التقليدي . انما رسالة البابا اليوم تودّ تجاوز هذا المفهوم لتصل في القسم الثالث منها الى «نواحي هذا المشكل الجديدة» . تنتج هذه النواحي من الحالة العديمة الإستقرار التي يتخبّط فيها عالمنا اليوم ، ذلك الاضطراب الذي نراه يتفشّى في جميع مراحل الحياة وخاصة بين المناطق الزراعية المتخلفة ومناطق الصناعة الثرية ؛ بين مناطق

البلد الواحد المتخلفة والمناطق المزدهرة اقتصادياً ؛ بين المجموعات السياسية المتطورة اقتصادياً التي تنعم برغد حياة وسخاء والبلاد التي تتطور اقتصادياً والتي « تنقصها امور عديدة » ؛ بين زيادة المواليد والتطور الاقتصادي ووسائل المعيشة الحاضرة سواء كان ذلك على الصعيد العالمي او في البلدان المتخلفة ؛ بين الطموح الى الاستقلال الذاتي والحاجة الى التكاتف والتعاقد العالميين .

فازاء هذا الاضطراب الذي يسبب الضيق والثورات ، تحدد الرسالة البابوية موقف الكنيسة وتعرض بعض الادوية الناجعة لتخفيف ذلك الاضطراب ولمحوه قدر المستطاع ...

شرط ان لا تفسد العقائد الهدّامة او المبتورة بمعنى التطوّر العلمي والتقني فتجهل متطلبات الانسان الروحية وتبعده عن الله خالقه . فمشكل الساعة الاول هو مشكل العلاقات الاجتماعية في اتزان وصفاء في كل مجموع سياسي وفي المجموع الدولي اذ من الواجب ان تعقد الروابط متينة في الحقيقة والعدل والمحبة. ولذا فعلى الحاكم وعلى كل فرد ان يعود الى ما تعلنه الكنيسة عن الحياة الاجتماعية في تعليمها . وعلى المؤمنين الخاضعين لسلطة الحبر الروماني ان يتعرّفوا الى العقيدة الاجتماعية المسيحية وان يتفهموها وان ينضجوا مبادئها فتوحي أعمالهم وتطبّق في الحياة اليوميّة . وبهذا يكون العلمانيون قد «جدّدوا وزادوا» موقفهم المسيحي فيتقنون عملهم ويخدمون تلك الفكرة التي تودّ الكنيسة ان تحققها « باعطاء صورة بشرية ومسيحية المدنيّة الحديثة ، صورة تتطلبها المدنية تلك لخير تطويره ولخير وجودها ».

نعم تذكر هذه الرسالة في قسمها الاوّل موقف الاحبار العظام تجاه الشيوعية والاشتراكية ، وفي قسمها الرابع تحذّر المؤمنين من العقائد التي تنكر الله وعلاقة الانسان بخالقه ، ولكنها لا تتوقف ، كما فعلت الرسالتان « اشياء جديدة » و « اربعون سنة » لبيان ما في هذه العقائد من فساد وضلال وليس فيها اي جرم جديد . ففي صفحات هذه الرسالة فكرة وضعيّة مآلها العمل البنّاء . فيطلب الحبر الاعظم الى المؤمنين الكاثوليك الّا يضيّعوا الوقت في مجادلات فارغة تتستر بستار الخير الاعم والّا يهملوا الخير الذي « عليهم ان يعملوه والذي يجب ان يقوموا به». فان حقيقة وفعالية تعليم الكنيسة الاجتماعي ،

يقول البابا ، « تؤكد بالتوجيه الصادق الامين الذي يعطي حل المشاكل القائمة». وبينا يشجع بقوة المجتمعات المهنيّة والحركات النقابية التي تستوحي مبادئ عملها من العقيدة المسيحية يزيد ان من الضروري ان ننتبه ايضاً لتلك الاعمال التي يقوم بها مؤمنون كاثوليك بروح مسيحية « في سائر المجتمعات المهنية والنقابيّة التي تستوحي في عملها المبادئ الطبيعية للحياة المشتركة والتي تحترم حرية الضمير». واخيراً فان الحبر الاعظم يحيي بفرح العمل الخيّر الذي قامت به المؤسسات الدولية في حقلي الاقتصاد والاجتماع كمؤسسة العمل الدولية والمؤسسة العالمية للتغذية والزراعة (F. A. O.) .

هذه نظرة شاملة لما في الرسالة البابوية من ثروة فكرية عقائدية وعمليّة. وكأني بها تحتل مكان الصدارة في الضمير البشري اليوم فتحلل مشاكله وتحدد قلقه وتأتيه بحدس يفوق الحدس البشري بحلول للمعضلة الاجتماعية علينا الآن ان نتأملها في صيغتها الفردية .

صورة مجتمعنا اليوم من خلال الرسالة

في القسم الاول من الرسالة البابوية صورة تتميّز فيها ملامح عصرنا الاولية. فعلى الصعيد التقني نستطيع القول اننا نعيش ثورة عميقة الا وهي ثورة الذرة . ولقد سهّلت توسيع الصناعة الكيماوية والمنتوجات المجنّمة ووصل ذلك الى تطبيق الطرق الحديثة في الزراعة والى محو المسافات في التنقلات والسفريات ونرى من خلال هذا بدء تذليل الأجواء الفضائية ما بين الكواكب .

وعلى الصعيد الاجتماعي = ان عصرنا هذا ليشهد تقدماً ملموساً في مقتضيات الحياة ورفاهيتها وهذا ما يطلع الرأي العام على الفروق الموجودة بين مناطق الانتاج وبين البلاد المتخلفة . فمن جهة الفوائد الاجتماعية : التعليم الاساسي ، الضمان الاجتماعي ، طرق الاذاعات واطلاع الرأي العام على نتائج العمل ، تدريب اجدى للانتاج وشعور متزايد بالمسؤوليات في الحركات العمالية. ومن جهة اخرى بطء التطور الزراعي ، عدم المساواة في التطور في مناطق البلد الواحد وخاصة

عدم استقرار اقتصادي واجتماعي بين البلاد المتطورة والبلاد المتخلفة .

وعلى الصعيد السياسي = ان ما يبدو للعيان اشتراك الجماهير المتصاعد في الحياة العامة وامتداد نفوذ السلطة في الاجتماعيات والاقتصاديات . ففي العالم الدولي ، « ذيول الحياة الاستعمارية » واستقلال شعبها آسيا وافريقيا ، وايضاً اتصالات الشعوب بعضها ببعض وتكاتفها الذي يوجد كل يوم «توسيع شبكة المؤسسات العالمية » . هذه هي الامور التي تحضر الذهن عندما نقرأ الرسالة البابوية . ولنقف هنا عند ما يبدو لنا مميّزاً .

وانا لنعيد الى نقطتين أساسيتين محتوى الرسالة التحليلي : ١) ان عصرنا وحده ضاعف اتصالات التكاتف بين الاشخاص والجماعات والاوطان. ٢) انما يظلّ عصرنا مميّزاً بعدم استقرار اجتماعي واقتصادي في البلدان وبين البلدان المختلفة . واننا على يقين بان الرسالة لن تخسر قوتها اذا ما عدنا بها في التفسير الى هاتين النقطتين .

ازدياد التكاتف الاجتماعي

بين ما يميّز عالمنا اليوم تنظيم الحياة المشتركة ، ازدياد الصلات الاجتماعية وتكاثر المؤسسات المختلفة ، وما يوضح هذا الميل الى التجمع هو التوق «الى العمل سوية مع حفظ الاستقلال» في جميع المراحل الاقتصادية والثقافية والاستراتيجية والمهنية والسياسية والعالميّة . وهذا الميل الى التجمع يعود اصله ايضاً الى «تدخل السلطات العامة المتزايد » والى اشاعة الفوائد الاقتصادية والاجتماعية .

نعم ، ان هذا الميل الى « الاشتراكية » يقلّل من « عمل الأفراد الحرّ » ولكنه ليس هو بنتيجة حتميّة فقط . فاذا وددنا شرحها وفهمها رأينا ان ما يلقي نوراً عليها هو تلك المسؤولية التي يتحملها الافراد اذ انها تتجاوب «والحقوق الشخصية العديدة وخاصة ما يستونها اقتصادية واجتماعيّة : منها حياة تتّصف بالميزات الإنسانية ، عناية الطب ، تدريب اساسي ، تدريب مهني ، السكن ، العمل ، ترويح النفس والتفتح الى الأوسع ، وكل ذلك نتيجة تنظيم وسائل نشر الفكر الحديثة ؛ اذ انه من الممكن لكل انسان ان يتفهّم الصعوبات البشرية على صعيدها العالمي » .

هذه الحركة « الاشتراكية » الجماعية تبدو في نظر الحبر الأعظم كفائدة عظمى ، « يبدو ان الجماعية ، بمفهومها هذا ، تأتي بفوائد جمّة » والجماعية تلك تدلّ على تقدّم اذا ما احترمت توازن الاشخاص وتوازن الجماعات المربوطة بالدولة. « اذ هي عمل البشر ، وهم احرار ، اصحاب ضمير ، يتحمّلون بطبيعة الحال مسؤولية حتى ولو اقتضاهم الامر ان يتعرفوا الى شرائع التطوير الاقتصادي والتقدم الاجتماعي وان يحترموه » .

فهناك نظام جديد يُبنى ، هناك توازن جديد تبدو ملامحه . ينظر اليه الحبر الاعظم بطمأنينة وتفاؤل . وكأني بقوة هذه الحركة الجماعية وبصحة توجيهها يرى البابا سواء السبيل: « فان مؤسسات مجتمع اليوم تتوسع في نظام عظيم، وذلك بدافع توازن يتجدّد دوماً : فمن جهة ضرورة تكاتف الافراد والجماعات ضمن استقلال واضح ومن جهة اخرى تنظيم الأمور وتوجيه السلطات».

هذه الأبعاد تفهمنا القيمة التي توليها الرسالة البابوية مبدأين أساسيين: حرية بادرة الفرد في خدمة الصالح العام ومبدأ التدخل ، تدخل السلطة بصورة فعّالة على الصعيد الاقتصادي مع احترام وظيفة الجماعات الاصيلة .

في مؤسسات الانتاج :

نرى اليوم تكاتفاً يتوسّع نطاقه بين ارباب الاقتصاد ونرى طموح العمال الى مشاركة ارباب العمل في الاعمال كما وفي حياة المؤسسات حيث تدرس السياسات الاقتصادية ويأمل الخيّر ان تلك الاعمال ستصير يوماً «جماعة اشخاص» حيث يشعر الفرد باحترام واكرام ومسؤولية . لذلك فالأمل ان يكون العمال « أداة فعّالة في تتميم المشاريع » وان « يتوصلوا يوماً الى ملكيـة » في تلك المشاريع نفسها . وتلح الرسالة البابوية على هذه الملكية بصورة خاصة . واذا ما توصل العمال الى هذا ، فما ذلك الا تجاوب مع طموح طبيعي يتميز به عصرنا اليوم تجاوباً تاماً «يدلنا عليه التاريخ في الحقول الاقتصادية والاجتماعية والسياسية».

وهذا الطموح في المشاركة في المشاريع لا يقف عند هذا الحدّ بل يتجاوزه الى السلطات العامة فالى المؤسسات الوطنية والعالمية التي تشرف على الاقتصاد. وتلح الرسالة البابوية الى تأثير الحركات العمالية في هذا التجديد. فتشجع النقابات

المسيحية اذ ان اعمالها تتجاوز الإطار المادي فتنال « عالم العمل باسره » حيث تبث روحاً مسيحية مجددة ». ولكن الرسالة تعود ايضاً الى سائر النقابات التي تحييها مبادئ الحياة المشتركة الطبيعية ، تلك المبادئ التي تحترم حرية الفرد ».

ليس العامل وحده يتوق الى هذا التكاتف في الحياة الاقتصادية بل هناك ايضاً الصانع والزارع . فان عزلتهم اليوم تقودهم الى عدم فعّالية . عليهم ان يتّحدوا ويتكاتفوا . إذ إن اليوم « لا قيمة لصوت منعزل فليس له من وسيطة ليُسمع وليقدّر » . فالتكاتف « لا بدّ منـه في الزراعة وفي سائر المراحل الانتاجية اذ هو ضرورة حيويّة ».

بين الشعوب

يتميّز عصرنا بالصلات التي تقوم اليوم بين البلدان المتنوعة التطور. فلا غرو اذا الحّ الحبر الاعظم وقال « ان المشكل الاول لعصرنا هو مشكل العلاقات بين جماعات سياسية متطورة اقتصادياً وبلدان هي في حال تطوّر اقتصادي » .

فيعيد البابا ان « التكاتف هذا بين الشعوب» هو امر لا بدّ منه فيحلّل النتائج والواجبات التي تنجم عنه . وما هو ايضاً امر لا بدّ منه هو وعي الضمير الحديث امام مشكل تطوّر البلدان كلها. « نعلم كلّ العلم، يقول يوحنا الثالث والعشرون ، ان ضميراً واعياً شاملاً عميقاً حمل الناس كي يشجعوا التطوير الاقتصادي والتطوير الاجتماعي في البلدان التي تتخبّط في صعوبات لا تُحصى » .

فهذا التكاتف يظهر للعيان بصورة واضحة : تكاتف مهني ، استقبال طلّاب ، تقدمة رؤوس الاموال ، بوادر اقتصادية ، مؤسسات تخصصية . انما هذا التكاتف على صعيد العلم والمهنة والاقتصاد. . . لا يزال يتوق الى آفاق واسعة خاصة في ما يتعلّق بالحاجات والضرورات المستعجلة .

ان شروط التكاتف الجديدة وسعت نطاق المشكل الاجتماعي حتى حدود العالم . فان تقلبات التاريخ توضح اكثر فأكثر متطلبات العدل والإنصاف . فالعدل والانصاف لا يتعلّقان فقط بالعمال وارباب العمل انما يتجاوزاهما الى الصلة بين المناطق الاقتصادية في البلد الواحد. « فالمشكل الاجتماعي» يمتدّ الى الصلات الاجتماعية — الاقتصادية بين بلدان متنوعة التطوير . ولذا فيحق لنا القول ان « كلّ مشكل انساني قيّم له ابعاد تعلو الاوطان وتعلو غالباً العوالم » .

عدم استقرار عصرنا

من التطورات الاقتصادية ، في عصرنا اليوم ، ومن هذا التكاثف المتصاعد بين الشعوب يتضح تماماً ١٠ هناك من تفاوت بين الجماعات والافراد في كل مناطق الانتاج. ولذا فتعود الرسالة البابوية لتتكلم على هذا التفاوت وتستعمل هذه الكلمة وما تحتوي عليه من المعاني مع كلمة تكاثف كأس تعود اليها لتحلل بدقة مظاهر حياتنا اليوم. فتصور لنا الافراد والجماعات والمناطق ومراحل الانتاج والبلدان بما فيها من متناقضات وتفاوت واختلافات ، اي بما هناك من عدم استقرار اجتماعي واقتصادي اي بما هناك من اسس للظلم .

فلا شك ان هناك ، في بلدان عديدة وعلى اقطار باسرهـا ، جماعات من العمال مع عائلاتهم قد اضطرتهم الايام الى حياة لا تُدعى انسانية، بينا الاختلاف عظيم بين جشع وثروة النفض وفقر الآخرين . وفي بعض البلدان ، تحت ستار « العظمة الوطنية » أو حباً بتطور اقتصادي سريع وعديم الاتزان ، يُحرم الجيل الطالع من ضروريات حياة او تُصرف الاموال الطائلة للتسلح. وفي بعض البلدان ايضاً حتى المتطورة ، لا توازي اجر العامل كل ما يعطيـه من نفسه وعقله في خدمة الصالح العام .

وما سبب هـذا التفاوت سوى عدم توازي التطور الاجتماعي والتطورات الاقتصادية ، ومـا سببها سوى الاغلاط الحقيقية في ما يتعلق بتنظيم وبتطبيق الاقتصاد . وتزيد الرسالة ان ذلك التفاوت الاقتصادي والاجتماعي قوي الوطأة ويجرح العدالة والانسانية .

وفي ما يتعلق بالملكية فهناك فرق بين أمن المواطن والملكية . وبمـا أن التطور كان ولا يزال في تأكيد قيمة العمل،فان ذلك الأمن مؤسس على طاقة العامل المهنية اكثر منه على« حقوق تتأصل في الرأسمال» . فتقول الرسالة « ان العامل اليوم يتوق الى التملك على طاقة مهنية اكثر منه على خيرات ارضية» . ولذا فثبت من ذلك شك في صحة الملكية الخاصة ومبدئها. فاضطرت الرسالة ان تدافع مجدداً من خلال هذه الوجهة الاجتماعية ، عن الملكية الخاصة وعن ملكية خيرات الانتاج وتقف بصورة خاصة عند مظهرين من حيـاة عصرنا ،

حالة التفاوت التي يتخبط فيها المزارعون والتي تتخبط فيها البلدان المتخلفة .

الزراعة :

الزراعة مشكلة أساسية لكل الدول اذ كيف يُستطاع التوصل إلى محو عدم استقرار الانتاج في عالم الزراعة ازاء عـالم الصناعة ؟ كيف يتوصل الى تخفيض عدم الاستقرار ذاك بين حيـاة المزارع وحياة سكان المدن ؟ كيف يتوصل الى منع المزارع من السير نحو مركب النقص ؟ هي ميزة عصرنا حالة التفاوت بين الطبقات . فعالم الزراعة ، اين كان ، هو عـالم مقهور ، متخلف وليس له من التدريب والآلات كما نجدها في عالم الصناعة ، وما عدم الاستقرار ذلك سوى نتيجة عدم تكاتف اقتصادي وتفـاوت في التطور . فان عائدات العالم الزراعي تتجمع ببط. والمجازفات عديدة واصحاب رؤوس الاموال لا يجازفون في تشغيل مالهم في الزراعة .

تفاوت وتفاوت يتطلب سياسة حزم وجرأة ، سياسة تكاتف وتجديد ، فالرسالة البابوية تطيل بالكلام على هذا وتلح بالقول ان المزارعين هم سيكونون لأنفسهم ارباب تقدمهم وتطورهم وتؤكد ان الشركة هنا لها من الاهمية ما لها في عالم الصناعة ، ولها ضرورة حياة .

ان ذلك عدم الاستقرار لا يؤثر فقط في عالم الانتاج ولكنه ينال مناطق بكاملها في بلدان عديدة . فهناك مناطق ثرية وهناك مناطق «متخلفة اقتصادياً» . فعلى الافراد وعلى السلطات ان يتكاتفوا للعمل المشترك والمجدي .

وتروح الرسالة البابوية تنمي بقوة كبيرة طرق تعمير الارض « اذ هناك ايضاً عدم توازن بين التعمير والارض » . «فهنا عدد عظيم من البشر والاراضي شحيحة » وهناك العكس بالعكس ، الارض كبيرة وعدد السكان قليل . فالتكاتف الدولي هو الدواء الوحيد لذاك التفاوت : هكذا تقول الرسالة وتعطينا مثل مؤسسة F. A. O. لتذكرنا بان العمل ممكن .

بين البلدان

إن عدم التوازن الموجود بين بلدان مختلفة التطور هو الشغل الشاغل

الاجتماعي في عصرنا . فهناك بلدان « لها حياة رغد » وبلدان «تتألم من الفقر» وسكانهـا يتخبطون في صعوبات الفقر والعوز، في الجوع، وليس لهم ما لكل شخص بشريّ من حقوق .

وهذا التفاوت في التطوّر الاقتصادي ليرتدي معنى أعمق اذا ما قرنّاه بمشكلة ازدياد السكان الحالي . فيصير سبب عدم التوازن اذاك عـدم المطابقة بين التعمير والتغذية، وبعدما تصوّر الرسالة البابوية هذه الحالة في مقطع طويل تعود فتعرض الحلّ الوحيد لها : التكاتف الواعي على الصعيد العالمي . فان هـذه الحالة لتعترض مسؤولية البشر باجمعهم ومنها وفيها الحلّ للسلام بين الشعوب: «اذ لا سلام دائم وخصب بين الشعوب اذا كانت هنـاك فروق عظيمة في حياتهم الاقتصادية والاجتماعية ».

واذا ما زادت المساعدات الملحّة فالمشكل باقٍ وعلى المفكر ان يعود الى اسباب عدم التوازن ليدرسها. وتنبت تلك الاسباب من حالة اقتصادية بدائية».

فتحليل الخبر الأعظم لهذه الحالة لا يتوقف عند الخارجيات فانه يتعدّاها ويؤكد واجبات الضمير في يومنا هذا ويصوّر المخاوف والتجارب التي تعترض البلدان الثرية ازاء البلدان الفقيرة . والتجربة الاولى في ان تقف البلدان تلك عند التطور الاقتصادي دون ان يرافقه تطوّر اجتماعي . والتجربـة المخيفة ان ينظروا الى البلدان التي تتطور نظرتهم الى انفسهم : تجربة في التفتيش عن المصلحة الذاتية «بروح امارة وسلطان » فيها ميل عظيم لاستعمار جديد. ولكن الخطر الاعظم هو في ان تُعطى تلك البلدان المتخلّفة حياة ماديّة تقتل ضمير ووجدان الشعوب طالبة المساعدة .

ان التفاوت والظلم في عصرنا هذا يتأصلان في عـدم توازن آخر، أعمق الجذور، ألا وهو عدم التوازن في الضمائر نفسها : عدم توازن في « المماطاة الاجتماعية » فلسفات لا رأس لها، وهم بناء المدنية على اسس غير دينية فيقول البابا في الرسالة : « ان حمق عصرنا في تلك التجربة الغبيَّة ان يُبنى نظام زمني مكين وخصب خارجاً عن الله » . فالبشريّة لم تعرف ان تسير قدماً في تطوّرها الروحي بل انها تعود القهقرى مع انها توسعت التوسع العظيم في تطوّرها التقني: « تعود البشرية الى الوراء بصورة مخيفة بينا تتوسع طاقتها في عالم العلم والتقنية».

إن كلام الحبر الاعظم لا يترك في النفس حنيناً الى عالم وهمي ولا تشاؤماً ولا انكساراً . فان الكنيسة تقبل العالم كما هو ، واذا ما وبخت ذلك العالم ، بدون مراوغة ، على اغلاطه وضلاله ، فانها تغذي عند المؤمنين الأمل والرجاء بأن يخلقوا حياة جماعية « متأصلة » في الحقيقة والعدل والمحبة ».

اهتمام الكنيسة الشامل

أعطى المسيح الإله كنيسته رسالة عليها ان تحققها لخلاص النفوس والكنيسة واعية هذه الرسالة بصورة أمينة تؤدي الواجب وتستميت في سبيله وهي في اول الرسالة البابوية تذكرنا بهذا بكلام صادق نبيل : قد أسس المسيح الكنيسة لكي يجد الانسان على ممر الاجيال فيها وفي محبتها كمال حياة نبيلة وخلاصاً أكيداً. . . ولقد كلفها مؤسسها بوظيفتين : ان تلد البنين وان تربيهم وتوجههم وتسهر بعطف الام على حياة الافراد والشعوب التي تحترم وتحمي بعناية كلية كرامتهم . ومع انها وضعت لتقديس النفوس ولكي تشركهم في الحياة الفائقة الطبيعة فانها تهتم على غرار المسيح نفسه بمتطلبات حياة البشر اليومية فيما يتعلق بقوتهم وظروف حياتهم ، بنجاحهم وبالمدنية في اشكالها المختلفة وفي العصور المتتالية ».

فالكنيسة هذه تعرض على الملأ تعاليمها بما أعطاها اياه مؤسسها من حكمة وحصافة فتسدي النصائح وتفتح الآفاق وتطبق التعاليم على امكانات الشعوب . وفي كل هذه الآراء سداد الفكر وقوة الحجة .

ولقد برهنت الكنيسة على استمرار في التفتيش عن الحقيقة وفي اعطاء الحقيقة كاملة غير منقوصة . فلا تخاف من ان تعيد النظر في تعاليمها عن الاجور والملكية الخاصة ووسائل الانتاج وحقوق الشخص البشري الاولية وشريعة النسل الى ما هنالك من مشاكل تعترضها . فحقيقة البارحة هي حقيقة اليوم ولكنها ناضجة اكثر واكثر تفتحاً كصورة حفرها النحات في الصخر وظلت متشحة بستار الى ان يبرزها واضحة للعيان . فالكنيسة تتقدم في الحقيقة تزيد على ما قالته دون ان تمحو منه . ولقد كتب بسكال عن الانسان أنه في صلب التاريخ يتعلم

دون انقطاع ، ويزيد على معلومات البارحة معلومات جديدة . والكنيسة هي ضمير البشرية في اكتمالها الروحي .

ولكن اهتمام الكنيسة بالبشرية جمعاء يؤثر فينا اكثر من ذلك : فهي تنحني على المتواضعين والصغار ، تميل الى الجماعات والى الشعب باسره : قلبها واسع ، ثري ويسمع النداآت كلها . ولذلك فان حقوق الفرد لا يُعلى عليها . وتلح الرسالة في مقطع مهم منها على قيمة الحياة البشرية وقيمة طرق اعطائها . فيردد البابا كلامه على نبل الحياة البشرية ، وهي قطب الرسالة الاساسي ، ويتعمق في مفهومها ويزيدها ثروة تفكير . فلا توازي الخيرات الارضية قيمة الانسان ولا معنى لها اذا قلّت من روح المسؤولية عنده . نعم يطلب البابا الملكية الخاصة للجميع ويأمر بان يجازى العامل على عمله كما يجب .

يرنو قلب البابا الى فقر الفقراء . ويدين الاجحاف والظلم اللذان يلحقان بالأجير ويطلب لمساعدة البلدان المتخلفة العطايا الجبارة .

يوجه البابا كلمات طيبات وتمنيات امينة لتلك الدول الصغيرة التي نالت استقلالها والتي تحرص الحرص كله على ما نالته بالتقليد والتراث ، فانهم ابناء الكنيسة وان جهلوها ؛ تعلمهم ان مجيئها اليهم يعني الازدهار الاقتصادي والاجتماعي لا مجيء غريب ظالم ، يستفيد من امتصاص الدم والحيوية . « فاذا دخلت حياة الشعوب فهي لا تُفرض من الخارج ، وهي تعلم ذلك . فوجودها يعني الدلالة الجديدة وقيامة البشر في المسيح . فالذي يولد من جديد ويقوم في المسيح لا يشعر بضغط خارجي » .

وبعد ذلك يعيد البابا كلام سلفه بيوس الثاني عشر ليعطي الثقة للشعوب بان الكنيسة ليست سوى المحافظة الامينة على الحكمة التدريبية ، فهي لا وان تستطيع ان تحتقر تلك الميزات التي تسهر على حفظها الشعوب بايمان وبانفة تُشكر والتي تحفظها كتراث غالي . والكنيسة تحيي وتصحب بامنياتها العطوفة كل ما هناك من التوجيه العائد الى تطوير حكيم ومنظم للقوى وللاميال الخاصة التي تتأصل في اعمق أعماق كل فرع جنسي ، شرط أن لا تعاكس الواجبات التي تخضع لها البشرية من جراء وحدة اصلها وهدفها المشترك .

وفي ذلك ابتسامة الجدة لبنيها الذين يولدون وسيولدون . فهناك وراء

الافراد والجماعات والمناطق والبلدان ، نرى البشرية باجمعها وعجيج العالم بأسره الذي تسمعه الكنيسة والذي تجاوبه الكنيسة. ففي القسم الرابع من رسالة البابا جواب عطفها الأمي لطالب العالم المتعدد الاطراف .

ان المشاكل الاجتماعية في عصرنا واسعة كالعالم ومشاكل المساعدات للبلدان المتخلفة ايضاً. وليست لهذه المشاكل من حلول ما لم يتكاتف الجميع في تحقيق ما يجب تحقيقه . ولكن هذا التكاتف يقتضي الثقة المتبادلة . فان البشرية لو صرفت المليارات في خدمة الفقير والتاعس التي تصرفها في سبيل التسلح لكانت ساعدت على تغيير وجه الكون . ولكن الثقة المتبادلة لن تكون الا بالايمان المشترك بالله وهذا الايمان هو الأساس الوحيد الذي عليه يستطيع الانسان أن يبني :

« إذ إنه من الغلط بمقدار أن يعتقد الانسان بنجاح العلم والتقنية،وبأن بذلك باستطاعته ان يبني مدنيّة دون ان يؤسسها على الله. . .فان العلوم الحسابية تظهر لنا العالم ، وهي غير قادرة على الوصول الى مصادر الحقيقة العميقة.وإن الاختبار اليومي ليوحي ، بين حرقات الاوهام والامل ، صحة كلمة الكتاب :

« اذا الله لم يبنِ البيت فعبثاً اشتغل البناؤون » .

فالكنيسة اليوم ، بعد ان تؤكد على الملأ ايمانها بالعناية الالهية التي لا تردّ وبقوة الانسان الخلاقة ، بعد ان تطهّر الجوّ الفكري من ربقة مُشكل ازدياد السكان في العالم ، بعد ان تعرّفت الى المشكل الحيوي الذي يعترضها اليوم وهو ان تعطي معنى انسانياً ومسيحياً للمدنية الحديثة ، بتفاؤل وثبات والحاح ، فانها تدعو البشرية جمعاء للعمل : تدعو ابناءها اولاً — كهنة وعلمانيين— الذين يتوجب عليهم معرفة العقيدة الاجتماعية والتدريب عليها عملياً لان هــذه العقيدة حياة . يتوجب عليهم ايضاً ان يعيشوها طويلاً وبكمالها اذا امكن .

واذ ان العمل الاجتماعي زمني هو ، فهو ينــال اولاً العلمانيين . فتتوجه الكنيسة اليهم دون تردّد ودون اضطراب . إن العلمانيين والاكليروس هم ابناؤها ، يستقون من الروح نفسه ، ويُدعون كلهم الى عمل نبيل عظيم وهو تكريس العلم وتقديسه.هو العمل الاجتماعي بالمحبة ولكنه عمل رسولي اجتماعي وهذا العمل، في رأي الكنيسة ، لا يُبعد الانسان عن إرادة الله ولا عن محبته،

عليه ان يكون الطريق الذي به يصل الانسان الى ربه والهه، به يشتركون مع المسيح لخلاص الانسان اخيهم لمجد الله الآب. فعلى العلماني ان ينخرط ويتعمّق في الحياة الاجتماعية لا ان يتركها، وان يعيشها بتفاؤل وانطلاق وفرح. وفي هذا دعوة الكنيسة لأبنائها، دعوة المسيح الاله للعالم بأسره. فالكنيسة كنيسة الجميع تعطيهم نوراً وقوةً وحياة.

بعد ان اوضح البابا في الرسالة بكاملها ان الكنيسة تهتّم لكل ما يخدم المشكل الاجتماعي يردد في الصفحة الاخيرة منها: «هي عقيدة الكنيسة الكاثوليكية الرسولية، أم ومعلمة الشعوب كلها، تنير وتُشمل؛ وبصوتها المملوء حكمة تمتد الى العصور بكاملها، وبقوتها تُعطي الانسان الدواء الناجع، الدواء الذي فيه لحاجات الساعة ولصعوبات ولمخاوف الحياة القائمة الشفاء المضمون».

وإن لمن التعزية ان يجد في هذه الرسالة اخوتنا الغير الكاثوليك، كلاماً موجّهاً اليهم. مائدة الكنيسة مهيأة للجميع. تعلم الكنيسة ان النور منها يفيض على النفوس، بصورة ظاهرة على من هم بها متصلون، وبصورة غير منظورة على النفوس المستقيمة المتصلة بها برباط سرّي. وان جهلوا هذه الكنيسة فان قلبها يعرفهم وبصوت الأم تدعوهم اليها.

الدولة والحياة الاقتصادية

بعد أن يكون البابا قد ذكر تعاليم سلفائه يميل توّاً بانتباه كلّي الى مشكلة التوازن الضروري بين بادرة الفرد وتدخل السلطات العامّة في عالم الاقتصاد. فيذكر الحبر الاعظم بادئ ذي بدء مبدأين عامين كاساس لهذا التعليم: الاول: أوليّة البادرة الفردية. الثاني: ضرورة تدخل السلطات العامة وميزة هذا التدخل. فتقول الرسالة: «ليعلم الجميع أن عالم الاقتصاد هو نتيجة البادرة الفردية». انما على السلطات أن تكون حاضرة وان تساعد تطوير الانتاج بالنسبة للتطوير الاجتماعي ولخير المواطن». هذا المواطن ليس عليه ان يقوم بالامور كلها على هذا الصعيد. اذ انه عليه ان يتدخل ليساعد اعضاء الجسم الاجتماعي ليحقق الوظائف التي باستطاعته تحقيقها. وهذه الافكار كانت قد قيلت من قبل.

فصارت عناية الحبر الاعظم الى ان ينحني على الظروف الحاضرة وأن يُبدي حكماً واقعياً وان يُعطي مبادئ تقوم حدّاً منيعاً أمام تدخل الدولة المتزايد في عالم الاقتصاد . وهذه هي الحالة اليوم : بما ان العلوم تطورت وزادت تقنيات الانتاج فان الدولة تحسب ان لها وسائل عديدة ١) لتمحو عدم التوازن الموجود بين مناطق الانتاج المختلفة داخل الجماعات السياسية وبين البلدان المختلفة على الصعيد العالمي ٢) لتحصر التقلبات في عالم الاقتصاد ولتجابه البطالة بنتائج مثيرة . ان التقدم الذي أحرزته العلوم والتقنية لتعطي الدولة ما يؤهلها للعمل في التطوير الاقتصادي والاجتماعي .

وبعد ذلك تعطي الرسالة حكماً واقعياً : فانها تحلّل موقف الدولة أمام الامكانيات الجديدة فتشعر بضرورة التدخل على الصعيد الاقتصادي بصورة اوسع واعمق ومنظمة . والرسالة تقول لنا ان هذا التدخل طبيعي وهو علامة واضحة لعصرنا القائم .

انما كان على البابا ، بعد ان تعرّف للوضع هذا ، ان يُعطي المبادئ التي تشرح معنى هذا التدخل وتحدّ من طموحه . فيقول ذلك في نص كُتب له ان يصير النص الاساسي في تعليم الكنيسة الاجتماعي : « ان تدخل الدولة على الصعيد الاقتصادي ، مهما كان واسعاً ومنتجاً ، ليس من اهدافه ان يقلّل من حرية الافراد ، بل على الدولة ان توسّع نطاق الانتاج الفردي الى اقصى حدّ ممكن بحماية حقوق الانسان الاصليّة . وبين هذه الحقوق ذلك الذي يجعل الانسان دوماً المسؤول الاول في اعالة نفسه واعالة عائلته . وهذا يعني ان تترك ، في اي تعليم اقتصادي كان ، حرية الانتاج » .

في هذا التعليم عبارة جديدة عن اهتمام الكنيسة بكرامة الانسان وعن اهتمامها ايضاً كي تجعل المؤسسات الاجتماعية كلها ، والدولة خاصة ، في خدمة الكرامة .

ان التعرف للانسان ولكرامته ، لحقوقه وحريته على الصعيد الاقتصادي ، لا يعني أن الحبر الاعظم يقاوم تدخل الدولة وقد قال بشرعية هذا التدخل وضرورته . وهو يبيننا الآن ان البادرة الفردية وتدخل الدولة لا بدّ منها لقيام حياة مشتركة منظمة ومنتجة وان المشكل في ان يكون هناك توازن بين الأمرين حسب تقلب الاحوال والضرورات الانسانية .

ولكي يُعطي برهاناً قاطعاً عن ضرورة الأمرين في الحياة الاقتصادية ، يعود البابا الى الاختبار وما فيه من دروس: «ان الاختبار يعلّمنا انه حيث تغيب البادرة الفردية يقوم الاستبداد السياسي ويضعف الاقتصاد الموجّه خاصة في انتاج ما يسدّ الحاجة الحياتية وما يتجاوب مع متطلبات العقل : ذلك الذي يشجّع روح الاكتشاف عند الافراد ». ويزيد البابا: « وحيث لا تتدخل الدولة فهناك خراب لا يُداوى وهناك استثمار الضعيف والكادح ... ».

تعود الرسالة الى القاء نظرة على دور الدولة عندما يتكلم خاصة على الملكية الخاصة . انما تعطينا تعليمها الاساسي هنا : تدخل الدولة على الصعيد الاقتصادي ، نعم : فالعدالة الاجتماعية تطلب ذلك والصالح العامّ يقتضيه خاصة في ايّامنا . انما على هذا التدخل أن يحترم البادرة الفردية ، لا ان يقوم مقامها لان الانسان هو المسؤول الاوّل عن اعالة نفسه وإعالة عائلته .

مدنيّة العمل المسيحية

ان ما يثلج القلب عند قراءة الرسالة البابوية هو المحل الاول الذي اولاه الحبر الاعظم العمل : « ان العمل ... وهو ناتج مباشرةً عن الانسان ، يجب ان يُنظر اليه قبل النظر الى غزارة الخيرات الخارجية التي ليست سوى آلة ووسيلة ». هذا هو التعليم الاساسي وما تبقّى ينتج عنه . « فاذا كان الانسان اليوم يفتش عن احراز كفاءة مهنية اكثر من التملك على خيرات أرضيّة ؛ اذا كانت الثقة اليوم تتّجه الى موارد تنتج عن العمل او عن حقوق تستند الى العمل اكثر منه الى موارد تنبت من الرأسمال او الى حقوق تستند الى الرأسمال فما ذلك إلا لأن العمل ، اكثر من الملكية ، يدخل في صلب الانسان .

ومع ذلك فان البابا يلحّ ملياً على حق الانسان في التمتع بالخيرات ، بخيرات الانتاج . وفي هذا ايضاً عودة إلى الانسان والى حريته ، والى كل ما يساعده في تكوين شخصيته .

قيمة العمل الانسانية

لا ينثني البابا يوحنا الثالث والعشرون عن الترديد أنه في كلامه في هذه

الرسالة يقتفي اثر سلفه لاوون الثالث عشر وغيره. فهو اذ يلخص تعاليم لاوون يعود مرة واخرى الى العمل الذي علينا ان ننظر اليه لا كسلعة ولكن كعبارة واضحة عن الانسان. وبعد ذلك يذكر البابا كلمة بيوس الحادي عشر «اننا لا نعير العمل الاهمية الضرورية ولا نجازيه عدلا اذا لم ننظر اليه في شكليه الفردي والاجتماعي واخيرا ينبهنا الى ما قاله بيوس الثاني عشر في اذاعة اول حزيران سنة ١٩٤١ اذ يقول «ان القيم الثلاث التي ترتكز عليها الحياة الاقتصادية والاجتماعية استعمال الخيرات المادية والعمل والعائلة. اما العمل فهو واجب وحق كل فرد بشري».

على هذا الصعيد وعلى غيره تقوم الرسالة البابوية على استمرار التعاليم الحبرية السابقة فيها وخاصة تعاليم بيوس الثاني عشر. وكان هذا الاخير قد وجه كلامه مرات الى المزارعين الايطاليين. فاذا قابلنا هذا الكلام مع ما يقوله يوحنا الثالث والعشرون في القسم الثالث من رسالته نرى الشبه عظيما. يقول هذا الاخير ان هناك مشكلا اساسيا على الدول ان تستوعبه، الا وهو عدم التوازن الذي يخاف من ان يتحكم بين المناطق الاقتصادية وخاصة بين المنطقة الزرعية من جهة، والمنطقة الصناعية من جهة اخرى». ان الانسان ليجد في حراثة الارض دائما لأن يثق بنفسه، ويتكون ويتطور ويزيد غنى وثروة، وعلى الصعيد الروحي ايضا. وهذا الشغل، شغل الارض، يجب ان يعتبر كدعوة وكرسالة، كجواب لدعوة الله يدعونا كي نشاركه في تتميم ارادته الصمدانية على تطوير التاريخ، كارادة بها نفتش ان نسير صعدا مع الآخرين، كمشاركة في تكوين المدنية الانسانية.

صدى صوت بيوس الثاني عشر الواضح تزايد فكوّن في هذه الرسالة تعليماً مكيناً وضعياً. فحيث يتكلم يوحنا الثالث والعشرون على متطلّبات العدالة في الاسس الاولية، فانه يذكر بما قاله بيوس عن ضرورة ابدال او تكميل عقد العمل بعقد جماعي. ولذا فان ما تأتي به الرسالة من ايضاحات عن طموح العمّال الشرعي في مشاركة المؤسسات حيث يعملون، عن الصلات في العمل التي عليها ان تكون صلات احترام وتقدير وتفاهم وتكاتف صادق وانتباه للخير المشترك، عن العمل الذي يجب ان يفهم ليس فقط كينبوع خيرات ولكن ايضا كتتميم

واجب وتقدمة خدمة ، واخيراً عن ضرورة وجود العمال في كل نواحي تنظيم الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، كل هذه الايضاحات الخيرة نتيجة المبدإ الذي سنّه بيوس الثاني عشر في رسالته الى السيد شارل فلري في سنة ١٩٤٧ عن ميزة العمل الاجتماعية اذ قال :

« فوق التمييز بين ارباب العمل والعمال الذي يُخاف أن يصير فاصلاً كاملاً، نجد العمل ، ذلك العمل الذي هو هدف حياة الفرد وهدف حياة الجميع كي يعطوا المجتمع الخيرات والخدمات الضرورية والنافعة. واذا ما فهمناه هكذا فباستطاعة العمل ان يجمع البشر مع بعضهم حقاً وصدقاً؛ باستطاعته ان يعطي مجدداً شكلاً لمجتمع صار وكأن لا كيان له ».

فالعمل اذاً في نظر يوحنا الثالث والعشرين لا يمكن ان يُقام به إلا بصورة جماعية اي بتكاتف وتنظيم . ولذا فتمدح الرسالة المؤسسات المهنية والنقابية للعمل التي قامت به أمام السلطات . لكن البابا يميّز في مدحه هذا المؤسسات التي تستوحي الايمان المسيحي لكيانها وازدهارها ، تلك المؤسسات التي تسهر على خير العامل المادي والروحي وتخلق في المجتمع اندفاعاً مسيحياً نحو التجديد. وهنا يذكر مؤسسة النقابات المسيحية العالمية (C.I.S.C.) . ويعود البابا ليمدح العمل الذي يقوم به المؤمنون في مؤسسات اخرى تستوحي المبادئ الطبيعية للحياة المشتركة وتحترم حرية الضمير . ولذا فالبابا يميّز بين شركة النقابات العالمية (F. S. M.) وهي في وحيها ماركسية ، وبين شركة النقابات الحرة العالمية (C. I. S. L.) . وفي النهاية يعبّر البابا عن احترامه لمنظمة العمل العالمية (O.I.T.) التي لسنين خلت «تجتهد لتكوّن في العالم نظاماً اقتصادياً واجتماعياً مميّزاً بالعدالة والانسانية وحيث يستطيع العامل ان يُعبّر عن احتياجاته الشرعية» .

اجرة العمل

إن حقّ العمل بالاجرة ركّزه البابوات على ميزات ثلاث : فالعمل ضروري وهو شخصي واجتماعي. فاذا كان العمل ضرورياً لحفظ الحياة قد ينتج من ذلك أن للانسان حقاً صريحاً على ثمرة عمله. واذا كان شخصياً فينتج من ذلك ان هذا

الحق يتطلب اجرة كافية لتسدّ حاجات الفرد، واذا كان اجتماعياً فينتج من ذلك ان ثمرة عمل الكل هي للجميع حسب توزيع عادل .

ففي الرسالة البابوية « أم ومعلّمة الشعوب » يتكلم البابا على اجور العمل عندما يتكلّم على توزيع العائدات العادل . فهو يضع صلة واضحة بين ماهية العمل — وهو خدمة الصالح العام — وبين الحق الذي يعود له في العائدات. ولذا فان الحق الاجتماعي يتطلّب ان تكون ثروة الشعب الاقتصادية «لا نتيجة غزارة الخيرات فحسب، بل ايضاً نتيجة توزيعها الفعلي العادل ». وما السبب في ذلك سوى ما كان قاله بيوس الثاني عشر عندما تكلّم على الاقتصاد الوطني الذي هو ثمرة عمل آفراد يشتغلون موحّدين في المجموع السياسي والذي ليس له من هدف إلا ان يؤمّن دون انقطاع اسباب الرفاهية التي فيها تزدهر حياة الافراد». وبهذا « يتم حق كل فرد في استعمال الخيرات الارضيّة ». فيفكر البابا بهذا ويقول: ان نفسه حزينة لما يراه، في بعض البلدان التي لم ينلها التطور الكافي بعدُ، من تناقض بين فقر الجماهير المدقع وبذخ بعض الافراد ، كما في بعض البلدان التي تكون ثروتها من الذهب الاسود؛ اما في البلدان المتطورة اقتصادياً فانه يرى التناقض بين الاجور دون النظر الى ما يعطيه العامل للصالح العام. واخيراً يرى الضغط الذي يضطر الشعب لزيادة فاعلية الاقتصاد الوطني بالتسلّح .

يعرض البابا أن من واجبه الالحاح على « ان الاجرة ترتكز على العدل والعدالة» لا يقلّل من قيمتها المسافات والايام، حتى ولو كان يتوجب لتطبيقها ان تدرس ثروات البلاد والتي من المستطاع استعمالها. فهناك اجور تسمح للعامل بحياة انسانية اولاً وتفسح امامه مجال تحمّل المسؤوليات العائلية . هناك أيضاً ما يعطيه الفرد للانتاج، هناك حالة المؤسسات الاقتصادية وهناك متطلبات الصالح العام الوطني » . كل هذا كان البابوات قد قالوه . اما الجديد في هذه الرسالة فهو ان ينتبه العالم الى ردّة فعل الاجور على صعيد الخير العام الدولي، في ما يتعلق بالمجموعات الدولية . فالتعليم المسيحي يدخل بهذه الصورة انسانية اقوى في المعاطاة الاقتصادية بين الشعوب كما جربت ان تحققه السوق المشتركة الاوربية . وبهذا نرى ان توزيع العائدات الاجتماعي يتم على صعدان مختلفة : يبدأ في وحدات الانتاج السفلى، ويُصلَح كي يصير انسانياً وافياً على صعيد

الاقتصاد الوطني الدولي. ومهما يكن من إمر، فان للعامل الحق بعائدات كافية ليظلّ انساناً وليكفي حاجاته الثقافية .

وللوصول لهذا الهدف ، يجب على التطور الاجتماعي ان يصحب التطور الاقتصادي كي تصير لكل فئة من الفئات الاجتماعية حصّة من الانتاج . وبينا يدين البابا كلّ عدم توازن اجتماعي واقتصادي يراه في الاقتصاد الدولي ، في الاقتصاد الوطني وفي المؤسسات ، فانه يذكّر بمتطلّبات الصالح العام في مراحله المختلفة ، وخاصة المشاركة بين سائر المقومات الاقتصادية الوطنية ، يذكر ايضاً بضرورة محو المتناقضات في مناطق الاقتصاد، يذكّر بالتوازن بين التوسع الاقتصادي وتطوّر الاشغال العامة الاساسية ، يذكّر اخيرًا بالسهر كيلا تكون فئات مميّزة حتى بين العمال الخ... الخ...

تخصص الرسالة مقاطع ثلاثة للتكلّم على عدم التوازن في الاعمال . فهذه المقاطع ستقتضي التفاسير العديدة ، وتطبيقها يتطلب الدراية الواسعة وتوجيهها يبدو ضرورياً . فبعد ان يعيد على مسامعنا مبدأ بيوس الحادي عشر انه من الاجحاف بمقدار ان يعاد للعمل وحده او للرأسمال وحده ما ينتج عن تكاتفهما، وبعد ان يستلهم قولَ بيوس الثاني عشر الذي يحمل الانسان على ان يهمّ كي يكون الرأسمال في المستقبل موزعاً بعدالة اكبر، يؤكد البابا يوحنا « ان للعمال في بعض الظروف الحقّ في جزء من عائدات العمل وان هذا الحقّ هو من نتائج العدل ويتوصل العامل الى ذلك بان يكون له قسم من ملكيّة العمل حسب الشكل والمقدار الضروريين ».

- اما ما يُحدّد ذلك الحقّ مثل المؤسسات الوسطى او الكبرى ، مثل قوة الانتاج المتعلّقة بالتمويل الشخصي ، الاسهم ، كل هذا يجب ان يُتدارس بامعان وتروّي . ويكون البابا يوحنا بهذه الطريق قد سنّ الدرب المجدي لا للانتفاع الملائم بل للعدل الذي على الرأسمالي ان يحققه تجاه العمال كلهم ومنهم من اجورهم تعلو الاجرة العدل . هذا التعليم يفتح الآفاق الواسعة امام من هم بنيّة صالحة وامام المشترع الفهيم .

نظرة مسيحية الى العالم

هذا الدور المهمّ الذي يوليه البابا للعمل في رسالته « ام ومعلّمة الشعوب » ،

هذا التفضيل الذي يعبّر عنه هنا يتعلقان مباشرة بنظرة الكنيسة المسيحية الى العالم . فالعمل في نظرها هو « لقب شرف ونبل » لأن له صلة بالخلق ، لان غايته تحسين الانسان اخلاقياً ومادياً (بيوس الحادي عشر) ، لانه يخدم الغير ويحقق حاجاتهم ، لان المسيح كرّسه وقدّسه وادخله في الفداء .

يخصص البابا القسم الاخير من رسالته إلى مفهوم الحياة الاجتماعية «فالانسان هو اصل واساس ، هو هدف وموضوع المؤسسات حيث تظهر الحياة الاجتماعية». هذا المبدأ المستلهم من بيوس الثاني عشر يحفظ « كرامة الشخص البشري المقدسة» التي هي اجتماعية بطبيعتها والتي جعلها الله بنعمه فائقة الطبيعة حسب غايته الالهية. هذا المبدأ هو اساس التعليم الكنسي التي يجب ان تمتد في التدريس في كل طبقات التعليم ذاك وبكل طرق النشر ...

فاذا كانت اعمال المؤمنين الزمنية تدور في اطار المبادئ والتوجيهات الاجتماعية المسيحية « فالعمل اذاك لا يصير آلة للذل (كلمة بيوس الحادي عشر استعملها يوحنا الثالث والعشرون) وعصرنا لن يبدل الانسان ويكون منه « جباراً في العالم المادي قد خسر روحه » (كلمة بيوس الثاني عشر استعملها البابا يوحنا). بل يكمل الانسان بعمله اليومي الذي له – في رأي الجنس البشري اجمع – هدف ارضي وغاية ارضية ؛ اما العمل الذي يقوم به الانسان بشركة عمل المسيح « فيصير كتمديد لعمل المسيح وتكون له قيمة خلاص ... ان العمل الذي به يحقق الانسان كماله الروحاني يوزع على الغير ثمرات الفداء. والمدنيّة التي فيها يعيش ذلك الانسان تدخلها خميرة الانجيل ».

وينهي البابا يوحنا رسالته عن تطورات المشكلة الاجتماعية الحديثة مستلهماً نور التعليم المسيحي فيقول: « تجابه الكنيسة اليوم واجباً عظيم الشأن: ان تعطي مدنيّة اليوم نبرة انسانية ومسيحية». وكي تصير هذه المدنية التي هي مدنية العمل مسيحية ، على اعضاء جسم المسيح السرّي ، اكليروساً وعلمانيين ، وخاصة العلمانيين منهم لانهم في الزمنيات موجودون ، ان يتكاتفوا لكي يملك ملكوت الله على الارض وذلك بسماع صوت الكنيسة ، أم ومعلّمة الشعوب كلها .

مشاركة العمّال حياة المشاريع

يقول البابا يوحنا انه يقتفي آثار سلفائه عندما يبدأ بالكلام على العامل ومحله في المشاريع المختلفة . كان لاوون الثالث عشر قد سنّ قوانين العدل في عقد الاجور . وكان بيوس الحادي عشر بحكمة وصلابة ادخل مشكلة مشاركة العامل بصورة واضحة حياة المشاريع تلك . وبهذا فكّر ان يعطي العقد نبرة اجتماعية وصورة جماعية . والامور تطوّرت منذ ذلك الحين . وما ذلك، حسب قول البابا يوحنا، إلا للاسباب التالية : الثقافة والتدريب المهني المتزايدة عند العمال، دخولهم الحياة السياسية : هذه الاسباب تجعلهم يتحمّلون بعناء وضجر ان يكونوا آلات انتاج ليس إلّا، لا وجه لهم ولا اسماً، مثل المواد الخام. فان العامل، بعد ان توصل الى ديموقراطية ثقافية (نسبية) والى ديموقراطية سياسية يطمح الى ديموقراطية اقتصادية . وكان بيوس الثاني عشر قد قال وردّد ان الانسان يجب ان يكون لا شيئاً بين الاشياء، ولكن فاعلاً حرّاً ومسؤولاً . ولذا فان الرسالة الجديدة تضع هذه المشكلة على صعيد عالٍ جدّاً : ليس المطلوب فقط ان تُعطى للعامل فوائد مادية، مالية : ان يشارك ارباب رأس المال بالربح وبالملكية، وان ينال جوّاً ملائماً للصحة والأمن، وان يخفّف عمله : هذا كله لا يجهله البابا يوحنا ولكنه يؤكد ان هذه المنظمات العمالية والربابية، ان السلطات المدنية والرأي العام يظلون دوماً ادنى مما يطلبه اذا ما توقفوا عند هذه الاجراآت . المشكلة الاساسية هي شخصية العامل مع ما لها من عمق وقيمة.

المبدأ

هذا هو المبدأ : « نُقش في الطبيعة البشرية نفسها ان يتحمل الانسان مسؤوليته وان يسير نحو الكمال في العمل الذي يقوم به ».

وهذه هي النتيجة : « إذا كانت أسس عقيدة اقتصادية وتطبيقها تنال من المسؤولية وتقف حاجزاً منيعاً امام البادرة الفردية، فان هذه الاسس وهذه العقيدة الاقتصادية ظالمة حتى ولو انتجت بغزارة واتبعت توزيع الثروة بعدل وعدالة ».

لا نجد وضوحاً كهذا في كلمات قيلت سابقاً في هذا الموضوع . ولذا فان موجهي الاقتصاد والسلطات العامّة التي يجب عليها ان تسهر على الصلات الملائمة،

تجابه فروض عدل جديدة : في هذه الفروض تؤكد حقوق العمال ويؤكد ايضاً عدل عند كل من يوجه التصاميم الاقتصادية. وهذه الحقوق اساسها في المشاركة في العمل لا في المشاركة في الملكية .

لكي يحقق هذا المبدأ عليه ان يدخل المشاريع الصناعية والمهنة والوطن والمنظمات الدولية : وبين الاولى وما يليها نجد المشاريع الكبرى او الوسطى . عند هذه نقف هنيهة .

لا نعني هنا الانتاج المادي فقط ولا المشاركة في تقسيم الثمرة. نعني تنظيم صلات العمل الذي يعطي العامل والموظف امكانية استثمار شخصيتها المتفتحة ، مسؤوليتها وتوقها الى المبادرة. نعني تنظيم المشاريع العام حيث يتعرف العامل الى المحل الذي هو له ، الى الرباط الذي يربط عمله بعمل الآخرين ؛ نعني الصلات بين المنتجين وأربابهم : «فلتكن للعمال ، يقول البابا ، امكانية اسماع صوتهم ، امكانية المشاركة في العمل ، امكانية تقديم اختبارهم ، امكانية ان لا يظلوا عديمي الفاعلية تجاه الحلول التي توجه عملهم» ؛ نعني اخيراً سير المشاريع الطبيعي ، نجاحه ، صعوباته ، امكانيات الاجور ، شروط العمل .

لا تستعمل الرسالة حلولاً وضعية. وما ذلك الا للتعبير عن صدقها ، وللتعرف الى مختلف الحالات ، احتراماً لعمل العلمانيين .

ليس من ميزات الرسالة ان تعطي حلولاً تطبق كما هي وتنجح . لا تعيش الكنيسة في اوهام كهذه وفي كسل هذا مقداره. ان الكنيسة تعلم اختلاف الظروف الزمنية والمكانية وضروب المشاكل التي تعتري المفكر في حقبة من الوقت « ليس بالمقدور ان يحدد سابقاً نوع ودرجة مشاركة العمال اذ هذا كله معلق بحالة المشاريع الوضعية» وبتطور الاجتماعي لكل بلد .

الشروط

ما هي شروط مشاركة العمال في المشاريع الاساسية . مع حفظ السلطة للخير العام ، يستطيع العامل ان يشارك في المشروع حسب كفاءته وقبوله المسؤولية. وعلاوة على ذلك فانه مطلوب من الفريقين الاحترام المتبادل والتفاهم. وهذه المشاركة تؤول يوماً الى هدم كل ما هناك من سوء تفاهم ومن عداوة.

ولذا فيقول البابا يوحنا : « على الانسان ان يفهم العمل ويقوم به لا كمصدر فوائد مادية فقط ولكن كتتميم واجب وتقديم خدمة » . ان البشر بأجمعهم يرون انفسهم في عمل واحد اصالح الجميع : خدمة الوطن ، خدمة الشعوب الغير الحائزين على وسائل التقدم والرقي . فعلى الانسان ان لا ينظر الى المصانع والمشاريع كمعين دراهم وثروة . على ارباب رؤوس الاموال وقد حباهم الله علماً وثقافة ومالاً ان يروا في العمل وسيلة تفتح عمالهم ، على ارباب العمل والعمال سوية ان ينظروا الى الخدمة التي يؤدونها للآخرين . اذ ليس لهم ان يزيدوا مواردهم ورغدهم ، عليهم ان يساعدوا هذه الكثرة من الناس الذين حرمهم الدهر وزاد جوعهم ومرضهم وجهلهم . فاذا ما سار الانسان ايًّا كان ، ربّ عمل او عامل ، على هذه الطريق ، تفوق على الحواجز والعقبات وعلى الثورات الاجتماعية .

ان ما اتى به البابا يوحنا من توجيهات لخلق مجموعة اشخاص في صلاتهم ووظائفهم واحوالهم المختلفة ، لتزيد تعليم الكنيسة الاجتماعي رونقاً وثروة .

الملكيّة الخاصة

كانت رسالتا لاوون الثالث عشر وبيوس الحادي عشر قد تطرقتا الى موضوع الملكية فدرستا شرعيتها واساسها في الشريعة الطبيعية وحددتا وظيفة تلك الملكية على الصعيدين الفردي والجماعي . ولمّ العودة لهذه الموضوع !

- شرعية الملكية الخاصة

تطورت الاحوال منذ الحرب العالمية الثانية لدرجة جعلت المفكر يسأل إذا كانت التقلبات التي حدثت تكتفي بالبراهين المعطاة الى الآن واذا كان لها من قيمة بعد .

في الماضي كانت الصلة وثيقة بين الملكية وإدارة مشروع ما ، اما اليوم فالفارق عظيم بين ملكية الانتاج ومسؤوليات الادارة في المؤسسات الاقتصادية الكبرى ، ولذا ترى السلطات صعوبات جمة « للسهر على ان لا تعاكس الاهداف المتوخاة من مديري المشاريع الكبرى ، أي متطلبات الخير العام» . في

الماضي كانت ملكية صغيرة تزمن للقلب الطمأنينة والسلام ؛ اما اليوم فان الانسان يفتش عن شركات التأمين والضمان الاجتماعي . في الماضي كان الانسان يثق بفوائد الرأسمال؛اما اليوم فان الانسان يطمح الى كفاءة مهنية . فتكون الثقة في موارد تتأصل في العمل وفي حقوق اساسها العمل .

كل هذا صحيح . ولكن أخيرت الملكية الخاصة قوتها وقيمتها . ان حق الملكية قيمة دائمة وتمتد على الانتاج ايضاً. والبرهان على ذلك يستقى من الاختبار ومن العقيدة — فتقول الرسالة : ١) ان حق الملكية الخاصة هو «حق طبيعي مؤسس على أولية الفرد الاساسية على المجموع » ، اي ان هذا الحق يتأصل في طبيعة الشخص البشري نفسه ولها في كيانه وهدفه الاولية. ٢)وهذا الحق هو نتيجة منطقية لما يؤكد من ان«العالم الاقتصادي ينتج عن بادرة الافراد الشخصية»: فكيف يطبق مبدأ كهذا الم يعترف بحرية الفرد باستعمال الوسائل الضرورية. ٣) يؤكد التاريخ والاختبار ان حرية الشخص البشري تجد في هذا المبدأ امناً واندفاعاً :«اذ ان في عالم الديكتاتورية لا تعرف الحرية الا الكبت». ٤) هناك تبديل لدى بعض الحركات السياسية والاجتماعية التي تود ان توحد في الحياة اليومية بين العدل والحرية . ان هذه الحركات « كانت لوقت قصير قد رفضت الملكية الخاصة على وسائل الانتاج ولكنها بعد ان درست واطّلعت على الحقيقة الاجتماعية جددت عزمها في التعمق في المشكلة وفي العودة الى موقف ايجابي » .

فليس اذاً من رأي الكنيسة ان تغيّر موقفها من الملكية الخاصة . وليس ذلك حباً منها في ان تساند الغني والمتمول ضد الفقير والتاعس. انما تريد ان تصير الملكية الخاصة ما يجب ان تكون: « حارسة الحرية الاساسية وعنصر قيم في تكوين النظام الاجتماعي».وهذا الموقف يسانده تطوير العالم الاقتصادي والاجتماعي : فتزيد العائدات وتزيد الاجور.وبهذا يتوصل العامل الى الاحتفاظ بقسم من ماله فيصير رويداً رويداً من المالكين. فلا نرى « كيف ينكر هذا الحق الطبيعي الذي يتأصل في العمل المجدي ويتغذى منه ، في العمل الذي هو الوسيلة الصالحة لتكوين الشخص ولتمرين مسؤوليته في النواحي العديدة ، العمل الذي هو عنصر استقرار العائلة وامتداد السلام في الحياة المشتركة » .

انتشار الملكية الخاصة

لا تكتفي الكنيسة بتأكيد الحق ذاك ولكنها تطلب بأن يعمّم خيره . فالملكية الخاصة ليست ميزة البعض ولكنها لطبقات المجتمع كلها . هذا ما تطلبه كرامة الشخص البشري وهذا ما يرمي اليه النظام الاجتماعي الذي يحترم نبل العمل .

على الجميع ان يعملوا ليصلوا الى نشر هذه الملكية الخاصة ، اذ في ايامنا تتطوّر بسرعة عظيمة الهياكل الاقتصادية وبها تصير سهلة بادرة الافراد وبها تقوم سياسة اقتصادية واجتماعية تشجع الوصول الى ملكية خاصة لخيرات دائمة كالبيت والارض والات الصناعة والآلات الضرورية لتكوين مزرعة عائلية الخ.». والبلدان التي أمنت سياسة ترمي الى السهر على الملكية الخاصة هي تشهد بالنتائج الحسنة .

الملكية العامة

او هذا يقودنا الى محو الملكية العامة ، الى ان نرفض للدولة وللمؤسسات العامة ملكية شرعية على خيرات الانتاج ؟ كانت الرسالة « اربعون سنة » قد اكدت ان هناك خيرات انتاج تصير خطرًا للخير العام اذا ظلت في ايدي افراد. ولذا فالميل اليوم الى امتداد الملكية العامة . ومـا ذلك الا نتيجة التطوير الاقتصادي والاجتماعي في عالمنا الذي ينظر بازدياد الى الدولة ويعطيها ميزات وصفات اوسع . فالبابا يوحنا يسجّل هذا كلّه . لا يدين ولا يمدح ولكنه يؤكد بعض المبادئ التي يجب ان تحترم في امتداد الملكية هكذا الى الدولة: وبين تلك المبادئ انه على الدولة ان تترك للافراد وللمجموعات الاساسية ان تتمم ما تستطيع تتميمه بمساعدتهم على القيام بالواجب . والمبدأ الثاني هو الخير العام الذي يجبر الدولة على ان لا تمدّ سلطتها الّا في الحدود المتوجبة للخير العام: «وعليها ان لا تمحو او ان تقلّل الملكية الخاصة». ولتحقيق هذين المبدأين يأتي البابا على ذكر مبدأين اخرين عمليين: ١). ان لا يكلّف في تدبير الملكية العامة إلا الاشخاص التي تتميز بكفاءتها وبالمسؤولية امام البلاد. ٢) السهر على اعمال هؤلاء. كي لا تتكوّن دولة في قلب الدولة.

وظيفة الملكية الاجتماعية

وقبل ان ينهي كلامه على هذا يترقف البابا عندما كان قد قاله بيوس الحادي عشر من ان للملكية وظيفة اجتماعية، من ان خيرات الارض هي لاعالة البشر، من ان الخيرات الخاصة هدفها الكمال الشخصي ومساعدة الآخرين.

نعم ان الدولة اليوم والمؤسسات توسّع حقل عملها. ولكن هذا لا يمنع الملكية الخاصة من الخدمة. وما علينا الا ان نُلقي نظرة حولنا لنتبيّن أن لوظيفة الملكية الخاصة ميداناً واسعاً في التطبيق: «هناك مآس عظيمة وآلام مزمنة لا تتوصل المساعدة الخيرية ان تنالها وان تداويها. ولذا فان هناك حقلاً واسعاً للعاطفة المسيحية، للمحبة المسيحية الفردية. ولنقلها صراحة فان لبادرة الفرد المتنوعة الاشكال فاعلية اكبر لخلق القيم الروحية».

هذا هو تعليم الكنيسة الاجتماعي في ما يتعلق بالملكية الخاصة. وما يهمّها في كل ذلك هو الانسان، الشخص البشري، كرامته، حقوقه وحريته. لا تريد نظاماً اجتماعياً يتنفع منه عدد يسير من الاثرياء، ان ما تريده هو نظام منفتح لاكبر عدد ممكن كي يتوصلوا الى الملكية الخاصة يسمح للجميع بحياة كرية امينة. لا تقول بان للمالك الحق بالانتفاع بصورة انانية بماله وثروته، انما تقول بواجباته في مساعدة الغير الذين هم في حاجة، ذلك الواجب الذي لا يزول بتدخل الدولة بمساعداتها وضمانها الاجتماعي لخير الفقير. وخلاصة الكلام: تعليم عن الانسان، تعليم موجّه للانسان، تعليم يحفظ للانسان الوسائل التي تؤهله ان يظل ربّ حياته ومصيره.

الزراعة

لم تهتم رسالة لاوون الثالث عشر بمشكلة الزراعة والسبب في ذلك ان البابا اذاك اراد ان يضرب ضربة قاضية مذهب الاقتصاد الحرّ الذي كان يردّد ان ليس للدولة من سلطة لأن تتدخل بين رب العمل والعامل لاصلاح ما يتطلب الاصلاح وان ليس للعامل ان يشترك مع اخيه العامل لتاسيس النقابات التي تدافع عن الحقوق المهضومة. فكانت الطبقة العاملة طبقة متخلّفة في البلدان الصناعية

انما تعليم الكنيسة ليس فقط للعمال . ففكر البابا يوحنا ان يعطيه الآفاق التي يستحق فيقول: « ان توالي الايام والتاريخ ليتطلّب عدلاً وعدالة . وهذا العدل والعدالة يجب ان يسودا الصلات بين العامل والادارة ورب العمل ، يجب ان يسودا الصلات بين مختلف طبقات الاقتصاد، بين المناطق المتخلفة في الاقتصاد الوطني ، وعلى الصعيد العالمي يجب ان يسودا الصلات بين البلدان التي يختلف تطورها الاقتصادي والاجتماعي » .

تصوّر لنا الرسالة المناطق الزراعية كمناطق متخلفة يجب ان تساعد بشتى الوسائل . ان الخدمة التي تؤديها المناطق الزراعية تلك هي خدمة اساسية. فاذا ما امحلت هذه المناطق مات العالم جوعاً . وما ينفع الانسان ان يحسّن خدماته في شتى الحقول : عليه اولاً ان يحيا ويعيش .

وبما ان عدد سكان الارض على تزايد متصاعد ، الحق لنا ان نهمل تلك المناطق الزراعية؟ فاذا علمنا ذلك رأينا سكانها يتزحون الى الاوساط الصناعية. ولذا « فمن الضروري ان يعالج عدم التوازن بين الانتاج الصناعي والانتاج الزراعي كي لا تتخلف كثيراً حياة المزارعين عن حياة اهل المدن ، كي لا يكون للمزارعين مركّب نقص ، كي يؤمنوا بانه باستطاعتهم ان يربّوا شخصية وبان يتذوّقوها وبان ينظروا الى المستقبل» . وبعد ذلك تأتي الرسالة على بعض الوسائل التي تساعد المناطق الزراعية في تطويرها :

١) على كل فرد وعلى السلطات خاصة ان يساعدوا المناطق الزراعية لتحصل على الوسائل الضرورية لتطويرها : الطرق ، وسائل النقل ، المواصلات ، ماء الشفة ، السكن ، الادوية والاسعافات الطبية ، التعليم الابتدائي والمهني ، الخدمة الدينية ، الالعاب المريحة » .

٢) زيادة عائدات المزارعين بتحسين تقنية الانتاج ، باختيار المزروعات الخ . وبهذا يصير باستطاعة المجتمع الزراعي ان يستهلك كمية كبيرة من الانتاج الصناعي وان يعطي المجتمعين احسن ما بامكانه ان يحققه » .

٣) للوصول الى هذا التطوير المتوازن بين مناطق الانتاج ، يجب ان يصار الى سياسة واعية في الحقل الزراعي : الضرائب ، التسليف ، الضمان الاجتماعي ، توسيع الصناعات التبديلية ، تجديد المؤسسات» . كل هذا يعود اليه البابا ويشرحه

ويلحّ على الدولة وعلى الحكومات في تطبيقه، انا يردّد إن المزارعين وحدهم هم الذين يعملون في تطوير الاقتصاد، في التطوير الاجتماعي، في زيادة الثقافة في الاوساط الزراعية . وبما ان المزارع يعيش منفرداً عن اخيه فلذا يدعو البابا المزارعين على تكوين شركات مهنية او نقابية او مؤسسات تعاونية : تعاونية الانتاج، والشراء والبيع والتسليف والنقل الخ.

•

اوطان غنيّة واوطان فقيرة

تعتني الرسالة البابوية في هذا القسم منها بالصلات بين « مجتمعات سياسية متطورة اقتصادياً وبين البلدان في طريق التطوير » . فالموضوع اذاً يتجاوز مشكلة المساعدة الاقتصادية .

لا يتكلّم البابا على البلدان المتأخرة ولا على البلدان المتخلفة، يتكلّم على البلدان في طريق التطوير ويفضل هذه الكلمات الاخيرة على التي سبقتها. وهذه البلدان في طريق التطوير هي تلك التي فيها يموت المواطن جوعاً ويأساً. ومشكلة الصلة بين هذه البلدان وبين تلك التي تطورت هي مشكلة عصرنا الاساسية .

مبدأ المساعدة المتبادلة

يذكر البابا يوحنا في اول رسالته حق الانسان باستعمال الخيرات المادية . وهذا الحق يعلو كل حق آخر حتى حق الملكية الخاصة : «اذ ان الله وضع الخيرات لتكون في متناول الانسان حسب مبادئ العدل والمحبة »: هي العائلة البشرية التي لها السلطة لهذا الاستعمال . وكل انسان على هذه الارض يحمل ثقلاً : فهذا ثقل الخيرات وهذا ثقل قلّتها . اذ ان الفروق بين الشعوب وتوزيع العائدات العالمية هو عدوّ « سلام دائم وخصب ».

طرق المساعدة المتبادلة

سمع البابا صوت الشعوب وحسرتها ومطالبتها بالعدل . فصار صوته قوياً يوبّخ : « في بعض البلدان خيرات الارض غزيرة . في غيرها نرى قسماً وافراً من الشعب يحارب الفقر والجوع . فان العدل والانسانية يطلبان ان

يساعد الاوّلون اولئك اذ ان هدر وضمان الخيرات الضرورية لحياة البشر يعدّ جرح العدل والانسانية ».

والبابا يعلم ان مساعدات ظرفية لا تكفي لتأسيس اقتصاد قوي متين. فانها تترك صحراء مسافات وسهولاً وانهاراً وغابات ومعادن. فالمساعدة للبلدان في طريق التطوير تتطلّب اقتصاداً منتجاً وذلك بازدياد مستمرّ يساعد الخلق في تنظيمه وتغييره وخصبه وزيادة مجد الله الخالق. وللتوصّل الى هذا فرؤوس المال ضرورية وخاصة الكفاءة التقنية والعلمية والمهنية. اذ ان تخلّف بعض البلدان ليس فقط في الجوع ولا في المرض ولا في قطع الامل من الحياة ولا في الانتاج الزراعي الضيّق ولكن في بطء التطوير العلمي عند شعوب قبلت بما يسدّ رمقها وفضّلت ان تتأمل في النظريات او ان تسن لنفسها شريعة حياة عملية. فمنذ مئتي سنة كانت اميركا صحراء وقاحلة. وكانت اوروبا لا تستفيد من مواردها اكثر من الصين والهند. اليوم السفر ليس فقط تغيير البلد انما هو تغيير العصر.

لا تقرّر الرسالة انّها افضل بين طرق المساعدة. انما يمدح البابا المصارف العالمية، يمدح الافراد الذين يشغلون رؤوس اموالهم، يمدح المؤسسات العالمية والمنطقية. يمدح الدول والجماعات الخاصة التي تقدم اسعافاتها التقنية. يذكر بالخير مؤسسة F. A. O. ويشجع مبرّات المساعدات للطلّاب.

لم تزل لمئة سنة خلت ضريبة الدخل في بلد من بلدان العالم. او سترى في المستقبل ضريبة عالمية تفرض للوصول الى كمية الثلاثة عشر مليارًا الضرورية حسب رأي الامم المتحدة لتقدّم البلاد الفقيرة ؟

روح المساعدة المتبادلة

هي اعمال تكاتف وعدل عالمي تدعو اليها الكنيسة. اليوم كل المسيحيين. ومن اسس هذه السياسة الاجتماعية الاصلية: الحكمة في البلدان التي تقبل المساعدة لتنتفع من خبرة البلدان المساعدة. لا انكسار بل تفاهم.

ثانياً — العدالة: يجب ان يتساوى التقدم الاقتصادي والتقدم الاجتماعي. على التقدم ان يكون متوازناً في الزراعة والصناعة والخدمات الاخرى المهمة.

ثالثاً — احترام البيئات: ليس هناك حلّ واحد للمشاكل. بل على التقدّم

الذي تريد البلدان في تقديمه للبلاد في طريق التطوير ان يطابق على البيئة مع ما فيها من عادات وتقاليد ومن تراكيب اجتماعية بالية الخ. على البلدان المتقدمة ان لا تفرض نفسها على غيرها من البلدان. عليها ان تعرف البلدان المتخلفة بما تريد هي نفسها قبل أن تساعدها في نيل ما هي بحاجة اليه .

رابعاً ــ نزاهة سياسية : مساعدة البلدان المتقدمة يجب الّا تكون للفائدة الشخصية ولفرض السيطرة عليها. فان ايام الاستعمار قد ولّت. ولذا فعلى البلاد التي تساعد ان تعطي ما ينفع البلدان المتخلفة في صعودها بقوتها في سلم الاقتصاد والاجتماع ، « وبهذا تكون البشرية كلها قد الفت مجموعاً عالمياً اعضاؤه يفهمون حقوقهم وواجباتهم ، يعملون كاخوة في تحقيق الخير الشامل » .

فان المساعدة الخيّرة هي التي تكون ام ومعلمة الحرية في تأكيد نفسها . هذه المساعدة التي تكون الصداقات والتداول ، التقدم والرغد . .

خامساً ــ احترام سلم القيم : « لا شك في ان التقدم العلمي والتقني ، في ان التقدم الاقتصادي ، في ان تلك الخيرات ليسوا ابداً القيم الشاملة ولكنها وسائل الى القيمة المطلقة ». فان الانسان يفوق الجماعة السياسية بروحه وعقله. في قلبه عطش ، حنين ، الى الحق والخير والجمال ، يسير الى الخير الاسمى الذي لا يستطيع الزمن ان يعطيه إياه. . فيعود البابا هنا الى موضوع الرسالة الاساسي: قيمة الانسان : « نقولها بجسرة : في البلدان المتقدمة لقد ضعف الضمير ولم يعد هناك سلم للقيم ؛ لقد هزئ الانسان بقيم العقل ونسيها وجحدها. ان تقدم العلوم والتقنية ، ان التقدم الاقتصادي ، ان الراحة المادية لها ما يحدها . يفتش عنها الانسان كما يفتش عن الخير المطلق وهناك الخطر الاول يدخل في المساعدة التي تقدمها البلدان المتقدمة للبلدان في طريق التطوير ، بينما في هذه الاخيرة تقاليد الاجداد احتفظت بقيم انسانية . ولذا فمن يجرح هذا الضمير عند هذه الشعوب يكون قد ارتكب جرماً اخلاقياً ».

لا عالماً شيوعياً ولا عالم رأس المال : كلاهما ظلم واضطهاد .

•

يسير العالم نحو وحدة شاملة. والكنيسة تعمل اليوم في ان تحقق هذه الوحدة هي من قبل الله تمتدّ الى الكون باجمه وفيها تحترم المدنيّات كلها والثقافات .

هي وحدها تعطي الكون وجه الانسان . هي تنتصل من كل تفريق وانفراد وعزلة لتُصبح حسب دعوتها الاساسية ام الكون ومربية الضمائر .

. زيادة السكان والتقدم الاقتصادي

هناك مأساة لم تغب عن البابا يوحنا في رسالته :« مشكلة زيادة السكان والتقدم الاقتصادي ووسائل اعالة هؤلاء السكان ان على الصعيد العالمي وان في البلدان المتخلفة » .

يتزايد عدد السكان بدرجة انه يفوق وسائل الاعالة . وخاصة في البلدان المتخلفة . فسكان العالم في سنة ١٩٦٠ وصل عددهم الى ثلاثة مليارات . وفي اول القرن التالي سيصل الى ستة مليارات . فاليوم ما يقرب من المليارين يتغذى قليلاً جداً او لا يتغذى. واذا ما اخذت الوسائل اليوم لتقديم المواد التي يملكها العالم لوصلنا الى اصلاح وتقويم الاعوجاج . ولكن هذه الموارد لن تكفي في عام ٢٠٠٠

لا يعود للبابا أن يعطي الحلول الوضعية لمشاكل الساعة . عليه ان يعرض المبادئ التي تحفظ كرامة الانسان وتعطي الحلول صبغة انسانية . وهناك ثلاثة مبادئ : حل المشكلة الانسانية لن يكون بطرق تعاكس متطلبات الانسان الاخلاقية : « نعلن بصورة رسمية وعالياً ان الحياة البشرية يجب ان تستمر بواسطة العائلة المؤسسة على الزواج الواحد والذي لا تنفصم عراه والذي صار بارادة المسيح الإله سراً للمسيحيين ... ان الحياة البشرية مقدسة اذ انها من بدئها تتطلب عمل الله الخالق. فمن خرج على شرائع الله أهان العظمة الإلهية ، صار ذليلاً وانزل البشرية الى حضيض الذل ايضاً واضعف الجماعة التي هو فيها عضو».

وبعد ذلك فان الله قد اعطى الطبيعة موارد غزيرة جداً وأعطى الانسان العقل والابداع كي يخترع الوسائل الضرورية لنيل الخيرات الملائمة للحياة.

وبالنتيجة فان الحل الحقيقي لمأساة الجوع هو في التقدم الاقتصادي والاجتماعي. انما يكرّر علينا البابا يوحنا ان النظام البشري هو نظام أخلاقي : ان الحرية والمسؤولية فيه تعطيان التوجيهات والحلول لمشاكل الحياة الفردية والاجتماعية

داخل الجماعات الوطنية وفي صلاتهم المتبادلة . والنظام الاخلاقي لا وجود له الا ً يؤسس على الله : والكنيسة هي رسولة الله المعصومة». ولدخولها في شعب ما نتائج حسنة وخيرة في عالم الاقتصاد والاجتماع ويشهد بذلك التاريخ والاختبار. فكل من يصير مسيحياً يشعر بضرورة تحسين الاوضاع الزمنية احتراماً للكرامة الانسانية ولدحض العقبات في سبيل امتداد الخير .

•

هذه هي الافكار الاساسية التي تجلّت واضحة في رسالة البابا يوحنا . فكم هي تضعنا في جو ملائم روحي واخلاقي بعيد عن الجو الذي تدخلنا فيه قراءة بعض المناشير الشيوعية التي تنضح مما فيها من سم وارهاق عقول وانتصار ظلم . ففكرة البابا فكرة الكنيسة وقد حملت على وجهها علامة القداسة الدائمة لتعطي البشرية المتألمة راحة البال وقوة العزيمة ونجاح الانسان في حفظ كرامته والسهر على نبله ولقد خلقه الله على مثاله .

هذه هي الافكار الاساسية مصدر أمل وثقة . فالكنيسة ضمير البشرية تكلمها وتقوي الانسان على الانتباه قبل فوات الاوان .

هذه هي الافكار الاساسية تلقنها الكنيسة درساً صافياً مؤمنيها وتحثهم على العمل كي لا يقال ان هذا التعليم عقيم . ففي هذه الكنيسة القيم وفيها العمل الناضج وفيها الثمرة الشافية .

الآثار المطويّة (تابع)

الجزء الثاني

بقلم
الاب انطونيوس شبلي اللبناني

تعريف «بالخزانة النخليّة»

قال الفيكونت طرّازي في كتابه «خزائن الكتب العربية في الخافقين» تحت رقم ١٧ من الفصل الاول من الباب الخامس من المجلّد الثاني (ص: ٤٢٧ — ٤٢٨) :

«أنشأ رشيد بك نخله سنة ١٩٠٦ في «الباروك» مسقط رأسه خزانة تشتمل على بضعة آلاف من الكتب العربية قديمها وحديثها، وهي على اختلاف مواضيعها تغلب فيها كتب اللغة والادب والتاريخ والحقوق وغيرها . وبانتقاله الى بيروت بعد الحرب العظمى (١٩١٤ — ١٩١٨) نقل اليها مكتبته التي تبنّاها نجلهُ الاستاذ أمين بك نخله وزاد عليها حتى أصبحت من أهمّ المكتبات الخاصّة .

«وتتضمّن هذه الخزانة بعض مخطوطات نادرة نذكر منها كتاب «مجمع الاحزان» . وهي قصائد عاميّة نُظمت في رثاء فخر الدين المعني الثاني أمير لبنان المتوفى سنة ١٦٣٣ للميلاد.»

فيليب دي طرّازي

نسخة المطالع النصريّة

كتب محشي القاموس المحيط العلّامة نصر الهوريني في آخر هذه النسخة بخط يده : « طالعتها واصلح تحريفاتها بقلمه كاتبه نصر الهوريني في سنة ١٢٧٦ اصلح الله حاله » . والكتاب مطبوع سنة ١٢٧٥ في بولاق .

ومن اصلاحاته في هامش صفحة ٧٠ يعلّق على قوله المطبوع : « وهذه أمثلة للمضموم ما قبلها — يعني ما قبل الهمزة — وهي مكسورة فتكتب فيها بصورة الياء اعتبارًا بحركتها على مذهب سيبويه في التسهيل ؛ واما على مذهب تلميذه ابي سعيد الاخفش فتُكتب واوًا في كل ما تقدم حتى في سُئل اعتبارًا عنده بحركة ما قبلها على طريقته في الابدال · يقول الفقير » وكأن الكتّاب اتّبعوا مذهب سيبويه في التي ليس بعدها ياء « انتهى المطبوع ، قال في التعليق : « واتّبعوا الاخفش في التي بعدها ياء . »

ومنها ما كتبه في هامش صفحة ١٥٢ يعلّق على قوله المطبوع : « ألفات القرآن معدودة ٤٠٣٠٠ والواوات ٦٠٠٠ والياءات ٩٩٠ . فكتب في الهامش : « الذي في الحال . الالف ٤٨٧٤٠ والواو ٢٥٥٠٦ والياء ٢٥٧١٧ » .

مجموع الاحزان

في رثاء الامير فخر الدين المعني الثاني

وهو المخطوط الذي ذكره الفيكونت طرّازي في كتابه « خزائن الكتب العربية في الخافقين » (٢ : ٤٢٧ — ٤٢٨) في اثناء كلامه على « الخزانة النخلية » كما رأى القارئ في مستهل هذا المقال . و« المجموع » قصائد عامّية في رثاء الامير فخر الدين المعني الكبير المتوفى سنة ١٦٣٣ لم يذكر فيه اسماء قائليها ولكنها على الجملة من طبقة جيّدة من زجلنا اللبناني القديم .

وهذا مطلع القصيدة الاولى من « المجموع » ، وهي تحت عنوان « مطلوع نواحي » :

ابدي بيشرح الاحزان   عمّا هو توقع وكان   واكتب من قلب حزنان

اشرح لكم يا اخوان

مخطوطة للشيخ سعيد الخوري الشرتوني

صاحب « اقرب الموارد » بخط يده

فيها ١ — « عمل المناسخات بالجدول » للعلامة ابن الهائم . ٢ — « مجموع فوائد نحوية وصرفية متخذة من أجلّ كتب القوم » . ٣ — قصيدة عنوانها « الويل » وهي قصيدة : « دع مجلسَ الغيدِ الاوانس » العلّامة الشيخ ابرهيم اليازجي الشهيرة . وقد كتب الشيخ سعيد في آخرها : « هـذه القصيدة قد ظهرت سنة ١٨٨١ وعنوانها الويل وهذه اللفظة مكتوبة بين سيفين هكذا : (الويل) » مما يدلّ ان الشرتوني قد نقل عن النسخة التي كتبها او طبعها يومئذٍ الشيخ ابرهيم . وليس في هذه القصيدة البيت المشهور :

والخيرُ كلُّ الخيرِ في هدمِ الجوامعِ والكنائسْ

وجاء في آخر هذه المخطوطة ما حرفه :

« علقه بيده الفانية سعيد بن عبده بن مخايل بن الياس بن يوسف بن الخوري شاهين الرامي من قرية شرتون على طبق النسخة الموجودة في مكتبة الشيخ عبد الغني الميداني في محروسة دمشق وابتدأت بنسخه في الشام وانهيته في بيروت فكان صادقاً بي قول الشاعر :

فيوماً بحزوى ويوماً بالعقيق وبالـــعُذيب يوماً ويوماً بالخُليصاء

فقلت حينئذٍ مفرداً :

تذكرتُ لما ان كتبتُ بأنني اموت ويبقى الخطُّ فانهمرَ الدمعُ »

ولما كانت هذه القصيدة « الويل » لم تنشر قبل اليوم لعدم وصول الايدي اليها ، وكان كثيرٌ من الناس يتشوّقون الى نصّها الصحيح فقد رأينا ان ننشرها حفظاً لهذا الاثر اليازجي الفريد من الضياع ، وتبرئةً لذكراه مما دُسّ في القصيدة من أبيات لا وجود لها في الاصل ، وعدد ابياتها ستّون بيتاً . وهذا هو الاصل بحرفه عن المخطوطة المذكورة (صفحة ٤٣) :

دعْ مجلس الغيد الاوانسْ وهوى لواحظها النواعسْ
واسلُ الكؤوس يديرها رشأٌ كغصن البان مائسْ

ودع التنعُّمَ بالمطاعم والمشارب والملابس
ايّ النعيم لمن يبيت على م بساط الذلّ جالس
ولمن تراهُ بائساً ابداً لذيل الترك بائس
ولمن أزمَّتهُ بكف عسراهُ يُظلم وهو آنس
ولمن غدا في الرقّ ليس يفوته إلا المناخس
ولمن تُباعُ حقوقه ودماؤه بيع الخسائس
ولمن يرى اوطانه خرباً واطلالا دوارس
كُسيت شحوب الثاكلا تِ وكنَّ قبلًا كالعرائس
عج بي فديتك نادباً ما بين ارسمها الطوامس
واستنطق الآثار عما كان في تلك البسابس
من عزةٍ كانت تذلُّ لها الجبابرةُ الاشاوس
وكتائبٍ كانت تها بُ لقاءَ سطوتها المتارس
ومعاقلٍ كانت تُعزَّزُ بالطلائع والمحارس
ومدائنٍ غنّاءَ قد كانت تحفُّ بها الفرادس
اين المتاجرُ والصنا ئعُ والمكاتبُ والمدارس
بل اين هاتيك المرو جُ بها المزارعُ والمغارس
بل اين هاتيك الالو فُ بها فسيحُ البرّ آنسُ
هلكوا فلست ترى سوى عِبرٍ تثورُ بها الهواجس
بيدٌ صوامت ليس يُسمعُ في مداها صوتُ نابس
إلا رياحَ الجور تكسحُ وجهها كسحَ المكانس
امست خرائب لا تُرى إلا بابصار نواكس
ضحكت زماناً ثم عا دت وهي كالحةٌ عوابس
غضبت على الانسان واتخذت عليها الوحش حارس
فاذا اتاها الانسُ را حَ يدوسها دوسَ المخالس
هذي منازلُ مَن مضوا من قومنا الصِيد القناعس
دُرست كما دُرسوا وقد ذهب النفيس مع المنافس
ماذا نؤمّلُ بعدهم إلا مقارعة الفوارس

فاليكمُ يا قومُ واطرحوا المدالس والموالس
وتشبهوا بفعال غيركمُ من القوم الاحامس
بعصائبٍ انفوا فجادوا بالنفوس وبالنفائس
هبّت طلائعهم يلبيها كلُّ صنديدٍ ممارس
تركوا جموع الترك تعصف فوقها النكب الدوامس
ملأوا البطاح بهم فداس على الجماجم كل دائس
فخذوا لانفسكم مثال اولئك القوم المداعس
فالترك قومٌ لا يفوز لديهم إلا المشاكس
أوَ لستمُ العرب الكرام ومن همُ الشمُّ المعاطس
فاستوقدوا لقتالهم نارًا توزعُ كلَّ قابس
وعليهم اتحدوا فكلكمُ لكلكمُ مجانس
يمشون بين ظهوركم تحت الاطالس والطيالس
دبت عقاربهم اليكمُ بالمفاسد والدسائس
في كل يومٍ بينكم يصلي التعصبُ حرب داحس
يلقون بينكمُ التباغض والعداوة والوساوس
نثروا اتحادكمُ كما نُثرت من النخل الكبائس
ساد الفسادُ بهم فسام دَ التركُ فيه بلا معاكس
قوم لقد حكموا بكم حكمَ الجوارح بالفرائس
وعدت عوادي الغدر تصرفكم بانياب نواحس
كم تأملون صلاحهم ولهم فساد الطبع ماتس
ويغركم برقُ المنى جهلًا وليلُ اليأس دامس
أوَ ما ترون الحكم في ايدي المصادر والمماكس
وعلى الرشى والزور قد شادوا المحاكم والمجالس
والحق اصبح عند من ألِفَ الخلاعة والخلابس
عمّت قبائحهم فأمست لا تحيقُ بها الفهارس
نارٌ بها طاب التبسمُ للوغى والوقتُ دامس
وحلا بها بذل الدما ، فسفكها للجور حابس

برحَ الخفاء ومن يعشْ يرَ ما تشيبُ له القوانس

وفي الصفحات الاخيرة من هذا المخطوط مقاطع وتواريخ شعرية ، من نظم الشيخ الشرتوني ، ومذكرات خاصة به .

ومن تلك التواريخ الشعرية هذا التاريخ لوفاة الشيخ ماضي دميان المعوشي سلف فضول البستاني شقيق المطران بطرس الشهير :

دعاه الموت عن كثبٍ فلبّى وسار الى حماه بلا اعتراضِ
ولو سُئل الملائك عنه أرّخ لقيل لجنّة الفردوس ماضي

وهو محفور في بلاطة كبيرة فوق الضريح الكبير المقام للشيخ ماضي في مجدل معوش ، تحت السنديانة الدهريّة ، المشهورة في تلك القرية ، عند آثار دار البطريركية المارونية وكنيستها ، التي شادها في سنة ١٦٠٩ المثلث الرحمات البطريرك يوحنا مخلوف ، وجدّدها المثلث الرحمة البطريرك اسطفان الدويهي[1] .

والشيخ ماضي كان في عصره رجل الوجاهة والثروة في مقاطعة العرقوب الشمالي من الشوف . أسس بالقرب من داره في مجدل معوش معملاً للحرير ، لا تزال آثاره باقية ، واشترى فيها له ولاخوته سراي الأمير عباس شهاب المشهورة ، ولا تزال مسكناً لابنائهم وأحفادهم الى اليوم .

وهو والد المرحوم سليمان الذي كانت نسخة « ديوان نقولا الترك » ، التي طبعها الاستاذ فؤاد افرام البستاني سنة ١٩٤٩ ، من جملة ذخائر مكتبته في سنة ١٨٨٤ . وقد ورد ذكر سليمان في الصفحة « يب » من مقدمة النسخة المطبوعة . وسليمان هو الابن الثاني للشيخ ماضي أخوه الاكبر قبلان ، واخوه الاصغر نعمان . والثلاثة من تلامذة نسيبهم الشيخ عبدالله البستاني إمام اللغة في وقته ، في مدرسة الحكمة ، وقد هاجر الثلاثة الى البرازيل وتوفي منهم قبلان

١) انظر الفصل الممتع المفصّل الذي كتبه الاستاذ أمين بك نخله في مجلة المشرق (١٩٦٥ : من صفحة ٥٦ الى صفحة ٧٣) على طي بساط الاسلام في مجدل معوش سنة ١٦٠٩ وتروح المسلمين عنها ، وشراء النصارى لها ، ونزول البطريرك يوحنا مخلوف فيها ، وعماره للدار البطريركية والكنيسة التابعة لها .

وهو السياسي الخطيب المشهور ، الذي لعب دورًا سياسيًا في البلاد البرازيلية ، وانتخبه المجمع العلمي فيها عضوًا برتبة « كورونيل » الرفيعة .

وهؤلاء الاخوة الثلاثة هم اخوال الاستاذ أمين بك نخله ، صاحب هذه « الخزانة » . وهكذا ترى انه ، حفظه الله ، يرجع بعرق متين الى القلم والسياسة والزعامة في قومه ، من كل جهة .

والكورونيل قبلان هو الذي رثاه فقيد لبنان رشيد بك نخله بقصيدته العصماء التي اولها :

وحقك يا سرو البرازيل لا تقل مع الظل الا عند قبر غريب
جعلنا التحايا خلفه وأمامه رياحين والاشواق نفحة طيب

الاعداد الرضية في المسائل الفرضية

للبطريرك العلامة مكسيموس مظلوم الحلبي

عدد صفحاته ٧٥ صفحة بقطع الثمن من خط السيد غريغوريوس عطا رئيس اساقفة حمص وحماه للروم الكاثوليك جمع فيها اصلاحات طبعتي هذا الكتاب المطبوع اولًا في القسطنطينية سنة ١٨٤٠ في عهد مؤلفه ، والمطبوع ثانيًا في المطبعة العمومية في بيروت سنة ١٨٦٣ .

مكاتيب ارملة الامير بشير الشهابي الكبير

الى عباس بك نخله

من مجموع الرسائل التي بعثت بها « الست » حسن جهان ارملة الامير بشير الكبير الى عباس بك نخله احد اجداد آل نخله ، منها هذه الرسالة التي ننقلها بحروفها . وهي تدلّ على ان عباس بك الذي كان والده فارس بلكباشيًا قبله في عهد الامير قد تربّى في حضنه . وهذه هي الرسالة :

جناب الاجل المحترم دام بقاه ،

غب افتقاد خاطركم والاستفحاص عن كمال اعتدالكم ان شاء الله تكونوا بتمام التوفيق . انه بابرك آن ورد تحرير جنابكم وتلوناه وحمدناه تعالى حيث انبانا عن صحتكم وجميعما افدتوه بلسان محبنا الشيخ خليل ايليا فهمناه ايضًا

ونحن بكل الاحوال نأخذ كلامكم حجة ونحن لسنا مغيرين بقولنا اذا مشيت الشروط بموجب طلبنا كوننا لا نعرف تمشيتها الا من جنابكم وكما يتأكد لكم من ضميركم اننا على القرب والبعد متشكرين من حسن مزاياكم واجتهادكم مما به استمالتنا كوننا محققين حفظ جنابكم لحقوق تربية المرحوم وبناء على هذا يكون ايثاقنا بكم كلي . هذا مما اقتضى ترقيمه راجين على الدوام ورود التطمينات عن صحتكم ودمتم ، ٢٥ ك٢ سنة ٧٣ .

محبه خاصه

(محل الختم) حسن جهان شهاب

مطبوعات الحكومة اللبنانية

في صدر عهد المتصرفين

ومما يوجد في المكتبة من النفائس النادرة مجموعة مطبوعات الحكومة اللبنانية لمدارسها الرسمية وذلك سنة ١٨٧٣ وهي مطبوعة في بيت الدين بالمطبعة اللبنانية . ومن تلك الكتب كتاب الفرائض السنية في ايضاح الاجرومية تأليف « جرجس صفا ابي عكر » ومختصر تاريخ الدولة العثمانية ترجمه عن التركية « ابراهيم اديب مترجم قلم التركي في متصرفية لبنان » وكتاب علم الحساب تأليف منصور باحوط .

مخطوطة مختصر تاريخ لبنان

للشماس العينطوريني

وهي منسوخة سنة ٨٥٥ بقلم « جرجس صعب من قرية المعلقة من معاملة المزوج » (كذا) بخط نسخي جيد .

وفيها «تاريخ اصل طوايف مثل امرا ومشايخ وغيرهم» . وهو في هذه النسخة من الصفحة ٣٦ الى الصفحة ٥٤ .

وفيها ايضاً «رسالة المسودي يوسف مارون الدوجي» التاريخية المشهورة . وهي في النسخة من الصفحة ٨٧ الى الصفحة ١٠٥ .

الكواكب السنية بشرح القصيدة المقرية

وهو مخطوط من تأليف الشيخ احمد الادهمي الذي تجد ترجمته في الصفحة ١٦٩ من الجزء الاول من «سلك الدرر» للمرادي .

وقد ذكر العلّامة الاب شيخو في صفحة ٤٩٦ من السنة ٢٣ (١٩٢٥) من مجلّة «المشرق» ما يأتي :

«وجاء في مخطوط آخر وهو كتاب الكواكب السنيّة في شرح القصيدة المقريّة للأدهمي — Mss de Paris 3245, FF. — » اي ان من هذا الكتاب نسخة في مكتبة باريس الاهلية تحت العدد المذكور .

وقد ذكر هذا الكتاب بهذا الاسم في الصفحة ٣١١ من السنة السابعة (١٩٢٧) من مجلّة المجمع العلمي العربي، وذلك في مقالة للعلّامة الشيخ المغربي عن رحلة للادهمي المذكور عنوانها : رحلة الى حلب والشام في سنة ١٧٣٢ مسيحية (١١٥٠) هجرية .

ومن نفائس المعلومات الواردة في تضاعيف هذا الكتاب ما جاء عن الأبدال في لبنان . قال في صفحة ٢٩٣و٢٩٤ ما حرفه :

«وفي حديث احمد الأبدال اربعون رجلًا كلما مات رجلٌ أبدل الله مكانه رجلًا يُسقى به الغيث في المَحل ويُنصر بهم على الاعداء. ويُصرف عن اهل الشام بهم البلاء والعذاب . ومسكن الابدال جبل لبنان وهو متصل بحمص ودمشق . قال الشاعر :

وجاورْ رحابَ الشام لبنان انّها معادنُ أبدالٍ الى منتهى العَرَجْ[1]

والجبال الشامية لم تزل متعبدات الانبياء والاولياء ومحلَّ مناجاتهم ومواطن الأبدال وبها فواكه كثيرة والابدال يتقوتون به وبالسمك . . . »

وقد نشرت مجلة «المشرق» في تشرين الثاني سنة ١٩٤٥ المقال التاريخيّ الممتع الذي كتبه الاستاذ امين بك نخله في وصف مخطوط «الكواكب السنيّة» هذا تحت عنوان «حول

---

١) كذا في المخطوط . والذي في «المضاف والمنسوب» للثعالبي (صفحة ١٨٦) :

وجاورْ جبال الشام لبنان انها معادن أبدال الى منتهى السَّرَجْ

قال هناك في الحاشية على هذا البيت : «السرج بفتحتين الانعطاف والميل» .

مخطوط » . وفي هذا المقال من الاستطرادات التاريخية والآثار الأدبية ما استغرق نحوًا من ست عشرة صفحة من المجلة ، وأشير فيه الى نحو من خمسين مرجع تاريخي او أدبي ، حتى لقد استطاله العلامة الشيخ عبد القادر المغربي على ما في المقال من جواهر ونوادر فكتب الشيخ المغربي بذلك الى الاستاذ نخله يقول :

« اطلعت في المشرق على المقال فاستحسنت تنسيقه واستغزرت فائدته واكبرت جمع مواده وتنبيد جواده . غير اني استطلت المقال وليس موضوعه سوى وصف مخطوط . فقد تضمن زهاء ست عشرة صفحة ، واذا ثلثها في وصف المخطوط وثلثاها في استطراد الى خبر رجل من رجال التاريخ اللبناني . واذا الاستطراد في صلب المقال لا في آخره . ولو جاء خبر الشيخ ابن ميمون في آخره لهان الامر ولقلنا : ذنب طاووس . او ذيل عروس . وهذا ما حملني اتمنى لو قسمتم مقالكم الى مقالين في موضوعين مختلفين » الى آخر كلام العلامة المغربي في رسالته التي نعدّ من أطرب الرسائل الاخوانية واسناها لغةً واجملها اسلوبًا .

سلوان الشجي في الرد على ابراهيم اليازجي

ومن نوادر الكتب المطبوعة العزيزة الوجود هذا الكتاب ، من نفائس الخزانة . وهو تأليف « اللبيب اللوذعي الاديب الالمعي مخايل افندي عبد السيد المصري معلّم الانكليزية بمدرسة الاميركان بالقاهرة » . وهو مطبوع بمطبعة الجوائب سنة ١٢٨٩ هجرية ، اي سنة ١٨٧٢ مسيحية . وهذا الكتاب ولا ريب هو من قلم العلامة احمد فارس الشدياق يردّ فيه على مناقشة العلامة الشيخ ابرهيم اليازجي له في مجلة الجنان سنة ١٨٧١ ، وانما الشدياق تستّر وراء اسم مخايلُ المنتحل . ولا يخفى ما في قوله عنه انه معلم اللغة الانكليزية ، من التهكّم في مثل هذا المقام.

ومن ابحاث هذا الكتاب « في محيط المحيط . في ترجمة ابرهيم اليازجي . في تخطئة مقامات ناصيف ابي ابرهيم . في لفظة الفحطل . في نبذة من سرّ الليال . في تأليف سرّ الليال . في مدّة تأليف كتاب الساق على الساق الخ . »

رد الشهم للسهم

العلامة الشيخ يوسف الأسير

وهو ايضاً من المطبوعات العزيزة الوجود . طبع سنة ١٢٩١ هـ في مطبعة الجوائب . وقد تضمّن ردود العلامة الاسير على العلامة الشرتوني صاحب اقرب الموارد في انتقاده كتاب « غنية الطالب » للعلامة الشدياق .

ردّ السهم عن التصويب وابعاده عن مرمى الصواب بالتقريب

للعلّامة الشيخ ابراهيم الأحدب

من مطبوعات الجوائب النادرة اليوم . طُبع سنة ١٢٩١ هـ وموضوعه ايضاً في الردّ على العلامة الشرتوني في انتقاده كتاب (غنية الطالب) المذكور .

شجرة نسب مشايخ بيت الهاشم في العاقورة والباروك

عن مسوَّدة بخطّ البطريرك العلامة بولس مسعد

وهي شجرة لنسب المشايخ آل الهاشم في العاقورة وفرعهم آل الشيخ نخله في الباروك الذي هو جدُّ اصحاب هذه المكتبة .

والشجرة منقولة عن اصل بخط المؤرخ اللبناني الثقة البطريرك مسعد موجود في مكتبة بكركي درج ٥١ تحت عدد «Ter» ٣٨ و٣٩ . وقد رتّب البطريرك مسعد هذه الشجرة على النسق الحديث المتّبع في تنسيق شجرات النسب في هذا العصر مما يدلّ على مقدرة مؤرخنا الكبير في هذا النوع من التاريخ .

وجاء في هذه الشجرة ما يُثبت اتصال الدم الخازني بالدم الهاشمي على عدّة مرّات ، وذلك لما ورد فيها من ان ولدين لهاشم الثاني ابو نصر وابو ضاهر هما من والدتين خازنيتين . وهذا يُثبت ما ذكره مؤلف تاريخ العاقورة في صفحة ٥١٩ قال :

« ادريس بن هاشم كان شجاعاً تزوج بابنة الشيخ نادر ابن ابي نصر ابن ابي قانصوه الخازن كما هو بيّنٌ من الاوراق القديمة فولدت اولاداً منهم ديب وبنات تزوجت احداهن بالشيخ هيكل الخازن والثانية بالشيخ صالح بان الخازن.»

وقال في صفحة ٥٢٩ :

« جَدُّ هذا الفرع ضاهر ابن الشيخ ايوب الشماس الهاشم وكانت زوجةُ من بنات الخازن كما تذكر التقاليد وقد كُني بابي نصر . »

ومما اورده العلامة مسعد في هذه الشجرة : ان المشايخ الهاشميين الذين سكنوا الباروك بعد جلائهم عن العاقورة أوّلهم ناصيف ، على حين ان شجرة نسب آل نخله التي رأيناها في دار الاستاذ امين بك وهي قديمة العهد ، تذكر

نخله الاول وناصيف الثاني. فيظهر ان المسئلة مسئلة تقديم وتأخير في ايراد الاسماء. مما لا يُنقص من قيمة شجرة البطريرك في التدقيق.

مخطوطة لغوية للشيخ سعيد الشرتوني

صاحب «اقرب الموارد»

وهي بقطع الربع تقع في ٣٥ صفحة، من خط العلّامة صاحب اقرب الموارد كتبها سنة ١٨٨٣ وفي اولها «يحتوي على بعض قصائد وقصص نفيسة مشروحة.» والشرح للشيخ الشرتوني يظهر عليه اصلاحات وتنقيحات كثيرة. وفي كل أول قصيدة نقش خطيٌّ ملوَّن على النسق القديم.

ومن محتوياتها: قصيدة مؤيّد الدين الطغرائي المعروفة بلامية العجم ثم شرحها. وقصيدة ابي الحسن الانباري في رثاء ابي الطاهر محمد ابن بقيّة وزير عزّ الدولة ابن بويه التي اولها: علوٌّ في الحياة وفي الممات. وقصيدة جمعت ١٩ بيتاً من الشعر القديم اعربها الشرتوني اعراباً مستفيضاً يدلُّ على تضلعه من علمي الصرف والنحو.

مخطوطة لغوية ثانية

للعلّامة الشيخ سعيد الشرتوني

صفحاتها ٥٨ صفحة بقطع النصف على ورق عادي صدَّرها بكتاب في النحو سمّاه: «مرمى الطلبة في اجواف الأعقبة» واولها:

«الحمد لله الذي افاض على الانسان اعذب آلائه وغمره بالاحسان ووهبه جناناً وجعل له ترجماناً وميَّزه بالنطق عن سائر الحيوان وامر الكلَّ بطاعته ما عدا الزمان. احمده على نعمه اذ قد بلّغني درجة بها اعلم قدر الدَّين عليَّ لابناء وطني كرماً واطفاً وغيرة لا تطيق وصفاً واذ علمت قصوري جأرت لربي بالدعاء ان يثيبه عن ابن عبده[1] خيراً لاني لست على الوفاء قديراً ... الخ.»

وتحتوي ايضاً على كتاب للشرتوني اسمه: «الاسماء والكنايات لبعض الحيوانات» وهو على طريقة فقه اللغة للثعالبي. وهذا اوّله:

1) يورّي هنا باسم والده – راجع ما تقدَّم في هذا الكتاب عن نسبه.

إبس — ذكر السلاحف .
الأطوم — السلحفاة البحرية الغليظة الجلد .
الأصلة — حيّة صغيرة او عظيمة تهلكُ بنفخها .
أتان — حمار .
ابن آصى — اسم طائر .
اليأفون — فرخ الدرَّاج وهو طائر ، يُطلق على المذكر والمؤنث .
إجل — بقر الوحش جمعها آجال .
أجل — قطيع من بقر الوحش ، والجماعة من الناس .
الآجام — الضفادع .
الأذنة — الغنم .
الأرتة — الشعر الذي في رأس الحرباء .
الأرت — من الغنم الأرقط والأنثى أرتاء .
الإراخ — بقر الوحش .
الأرخ — الذكر من بقر الوحش والأنثى أرخة .
الأرخي — الفتيُّ من بقر الوحش .
أرخية — ولد الوعل أو ذكر الأروي ، وجنس من بقر الوحش .
أرزت الحيّة — بمعنى انقبضت وتجمعت ثم وثبت .
الأرضة — دودة تنقر الخشب ج أرَض .
وفي آخر كتاب الكنايات هذا فصولٌ عنوانها : «المخصَّلات» وهذا مثال منها :

«الشريف مخصَّلًا»

ذو أثال — اي صاحب مال مكسوب من المجد والشرف .
مؤرَّض الكلام — مهذَّبه ومشذَّبه .
صحيح الأديم — اي صحيح الأصل والعرَض .
مُؤدَم — اي حاذق .
أفِقَ الرجل (يأفق أفقًا) — بلغ النهاية في الكرم والعلم والفصاحة وجمع

الفضائل . فهو آفق وأفيق . مؤنثة بالتاء .

أَسرَه الله — أي خلقه ذا قوة وشدَّة في الخَلق والخُلق .

تآسَّ أباه — أي أشبهه في شمائله واخلاقه . ومثلها هو على آسال من ابيه . أي على شبهٍ من أبيه . لا واحد لها .

تأسَّن اباه — مثل تآسَّ السابقة .

ويلي هذا الكتاب ، مقامات للشرتوني جرى فيها على اسلوب العلّامة اليازجي الكبير صاحب مجمع البحرين وهي تدور على عادات اللبنانيين في قراهم ، فمنها المقامة الديرية نسبةً الى دير القمر ، والمقامة البيتدينيّة نسبةً الى بيت الدين ، والمقامة المعوشيّة نسبةً الى مجدل المعوش وهلمَّ جرًّا . أمّا الراوي في هذه المقامات الشرتونيّة فاسمه هجس بن مقمار . وقد اخذ الشيخ على نفسه في شرح هذه المقامات ان يورد بعد كلّ مثلٍ فصيحٍ في المتن ، ما يقابله من الامثال اللبنانية العاميّة .

والى القرّاء أوّل المقامة الديرية :

روى هجس بن مقمار قال : هجرني الخِلّان . وجفاني السلوان . فعزمت في الضجر على السفر . وبرزتُ مفتشاً عن صاحبٍ لي . كان يلذُّ به جمع شملي . فبعدما اطلقت في السير اقدامي . لمحت شخصاً قدّامي . يخفق في السير . أخفَّ من طير . فلما رأيت من فوتي . اسمعته صوتي . وقلت الى اين خاطرٍ . يا شاطر . قال الى الدير . منبع الخير . قلت وما الذي عنّاك الى هناك . قال : اودية بها مصيّدة . ومقانص جيّدة .

مجموع خطي

عن مجاميع خطيّة قديمة في مكتبة دير الشير

مجموع خطي منقول باختصار عــن مجموعة خطية قديمة في دير الشير طبقة ٢٣ عدد ١٣٩ ، وفي هذا المجموع صفحة ٣ قال الشيخ سلمان الخازن يؤرخ وفاة الامير منصور شهاب :

قضى الشهابيُّ مصباحاً يومَ مني   الى لقا ربّه والقلبُ مسرورُ

في يوم نقلتهِ أرِّخ وطاهُ بها   قد فاز في انعم الرحمان منصورُ[1]

كذا بلفظها .

٢

مجموع خطي منقول باختصار عن مجموعة خطية في دير الشير المذكور طبقة ٢٣ عدد ٣٦ . وقد جاء في آخر النسخة النخلية :

جاء في آخره :

« وكان الفراغ من هذا الكتاب المبارك نهار الاحد في أوايل شهر جمادي الاول من شهور سنة تسعة وتسعين بعد الالف للهجرة وهو باسم مالكه الشيخ ابو نوفل نادر ابن الخازن من عجلتون كسروان ودعينا لصاحبه بالبقا وعلو الارتقا امين يا رب العالمين والحمد لله وحده . »

وجاء في المجموع النخلي صفحة ١٧ ما يأتي نقلًا عن المجموع الشيري :

« ومن قول بعض الشعراء في آل معن :

ان كان بني العبَّاس سادوا على الورى   سادت بني معنٍ على الاسيادِ
وتباشرت ايامهم حتى غدت   صيدا بهم تزهو على بغدادِ

وفي آخر هذا الكتاب :

« بسم الله الحي الازلي وهو ثقتي ورجائي واليه انيب . لما كان في تاريخ سنة اثنين وثمانين والف للهجره[2] ارسل حضرة عالي الجناب الملك لويس

---

١) في مكتبتنا مجموعة خطية بقلم المرحوم القس جرجس مناسا النشطاوي صاحب كتاب « الجدول الصافي في العروض والقوافي » وأحد ابناء رهبانيتنا اللبنانية المارونية ، ضمَّ اليها من هنا وهناك ما راقه واستحسنه من النبذ والاشعار الخ . وقد رأينا فيها بيتين من الشعر للشيخ سلمان الخازن قالها في مريم العذراء ، مصدَّرين باسمه عاريًا من لقب «الشيخ» . والبيتان :

علوت مريم العذراء شأنًا   على كلّ البرانس والبرابسْ
وحزتِ انعم الخيراتِ طرًا   فليس لكِ مثيل ولا مقايسْ

٢) ١٦٧١ مسيحية .

عطاالله[1] سلطان فرنسا المعظم بين ملوك المسيحين الى جميع بلدان الاسلام رجل عالم افرنجي نمساوي من (هنا كلمة غير مقروءة) اسمه (هنا بياض في الاصل) لاجل مشتره كتب دواوين الشعراء وتواريخ وفي علم النحو والهندسه والفلك والطب ومن جميع الكتب الذي تنوجد قاطبة بجميع الالسن العربي واليوناني والسرياني والتركي والعبراني وكتب له بذلك دفتر عدة اسامي الكتب ووصاه واكد عليه من غير المكتوبين معه في الدفتر مها وجد كتب يشتري باي ثمن كان . وكتب له اوامر شريفه الي جميع القناصل الفرنساويه الذي في جميع المملكات ان مها احتاج وطلب منهم دراهم يعطوه ويعطيهم بها المرسال المذكور تمسكات . وتوجه من مدينة باريز وصل الى قبرص اشتره مقدار ماية وثمانين كتاب ومنها اتجه الى حلب اشتره نحو مايتين كتاب . ومنها اتجه للشام واشتره جانب كتب . ومنها توجه الى بلاد مصر حتى يدور مدنها كلهم ويشتري منهم وبعده بيعاود الى دير طورسين ويشتري ومنها بيفوت الى اسلامبول وجميع المدن التي في يد العثمنليه . ومنها بيفوت لبغداد وبلاد العجم .

وهذه اسامي الكتب الذي مكتوبين معه في الدفتر المذكور . وانا الفقير الى الله سبحانه وتعالى بلنصر بن نادر بن خازن بن ابراهيم بن سركيس (كذا) الخازن لما قيدته بهذه الدفتر نصخته في هذه المجموع .

ديوان حافض (كذا) .

ديوان المتنبي .

وشرح ديوان المتنبي .

كتاب قدح الزند ابو العلا المعري .

كتاب معجز احمد لبو العلا المعري التنوخي وهو في شرح ديوان المتنبي .—

ديوان حفيظ (كذا) مع شرحه .

---

١) هو الملك لويس الرابع عشر الشهير الذي ازدهرت الآداب والعلوم في فرنسا على عهده . وانما نعته الكاتب الخازني هنا بعطا الله جريًا منه على ما كان يُنعت السلطان العثماني يومئذٍ بالقاب منها : ظلّ الله في الارض . وليّ نعمة العوالم . حامي السلم . ماحي الظلم . وهلمّ جرًّا .

ديوان فخر الطرسوسي وهو سراج الامرا .
كتاب في علم الشعر .
كتاب الزهير (كذا) وهو شعر قديم .
كتاب محمد فتح الدين في علم الشعر .
كتاب المنّد (كذا) في محاسن الشعر وآدابه .
كتاب بن حامد في علم الشعر .
ديوان بها. الدين الخزرجي .
ديوان احمد ابو ذريش .
كتاب ابن دقيقي .
ديوان ابو العباس .
ديوان شهاب المنصوري .
ديوان ضافر بن قاسم (كذا) .
ديوان سعودي .
ديوان بن مكانس .
ديوان محمد ابو الفتح بن عبدالله وهو مشهور مثل ديوان المتنبي .
كتاب يوسف السفلي (كذا) .
ديوان بن احمد الاصبهاني جامع الشعرا قديمي (كذا .
ديوان سحاق التيمي .
ديوان ابن حسن النواريري وهو ديوان باجمعه واختص بدوبيت .
ديوان ابو التامي في جدال الشعرا .
كتاب بن برق .
ديوان بها. ازدي (كذا) .
ديوان سيف الدين المشد .
ديوان شربي ابو سيريوس .
ديوان شهاب الدين حجازي .
ديوان القيراطي .
ديوان ابو ريقة الدماميني .

ديون عبد الثافر .

ديوان نسيب بن ريح .

ديوان ابي نواس هزلي .

ديوان بن رقق بن الدريدي وهو ايضاً هزلي .

ديوان بن هاني الاندلسي .

ديوان ابو العلا المعري التنوخي النعماني .

ديوان صفي الدين الحلي .

كتاب ديوان ابو الفوارس بن الخازن . »

قال في المجموع النخلي . « قال هنا في مجموع دير الشير :

« ويلي هذا الجدول اسامي الكتب في علم الرياضة ثم جدول كتب في الفلسفة ثم جدول كتب في علم الفلك ثم جدول كتب في الهندسة ثم جدول كتب في الطب . »

٣

سلافة الحاسي في مناقشة دساسي(١)

للعلّامة الشيخ ناصيف اليازجي

عن مخطوطة دير الشير طبقة ٢٤ عدد ٥٧ وهو بقطع الربع . ألفه اليازجي الكبير في انتقاد المستشرق الفرنسي الشهير العلّامة سلفستر دساسي (١٧٥٠ — ١٨٣٨) في شرحه لمقامات الحريري . والمخطوط هو بخط اليازجي ناصيف . قال في اوله :

« بسم الله خير الاسماء . أمّا بعد حمد الله حمدَ مستحقٍ على كماله والائه والصلوة والسلام على انبيائه واوليائه . فإنني قد وقفت على كتابكم في شرح المقامات الحريرية ايها السيد الكريم فرأيته والحقُّ أولى ان يُقال اغروبة بديعة تشهد لكم بالفضل والبلاغة الى ما لا مزيد عليه ولا منتهى اليه . فلو ادركه الحريري لرأى منه ما لم يخطر له ببال ولو تُلي على تربته لاهتزّت له فكادت

(١) راجع ايضاً ما كتبه العلّامة الشيخ الشدياق في كتابه : «الساق على الساق» «ذنب الكتاب» انتقاداً لاغلاط ابيات الشواهد في مقامات الحريري التي طُبعت ثانية بعد وفاة دساسي بتصحيح المستشرقين رينو ودرنبورغ .

تدور ذات اليمين وذات الشمال فايقنتُ هنالك أنَّ من البيان لسحرًا وأنشدت شعرًا :

يا جامعاً أوعى الشروح كتابُهُ أنبواكَ من يوم القيامةِ أجمعُ
لك في الروايةِ والحديثِ غرايبٌ فأبوكَ عبَّاسٌ وجدُّكَ أصمعُ
وقد انتهيتَ الى الذي لا ينتهي بَصَرٌ اليه وليس فيه مطمعُ
فرأيتُ وصفَكَ تَرْكَ وصفك مقصرا ورأيت عذري ان يُقال فتسمعُ

غير اني قد عثرت فيه على شوارد لم تنطبق على قياس اللغة فانكرتُها وحملت بعضاً منها على جهل الكاتب وان كنت في ريب من وقوفكم على طبع الكتاب او مراجعتكم اياه بعد الفراغ . وعلى كلا الوجهين قد اجريت هذا البعض على علّاته فاعرضتُ عنه ولم اتعرَّض له وحملت البعض الآخر على غفلة طرأت إمَّا منكم لغرابةٍ بقيت عليكم في وجه اللغة وان كنتم قد اصرفتم فيها ما شاء الله من الزمان فانها تيهٌ يتيه به الدليل وإمَّا مني لضعف الروية او قصر الرواية. وعلى كلا التقديرين قد علَّقتُ هذه العبارات بهذه الوريقات لعلها تنبهكم ان اصابت او تفيدني ان اخطأت :

هل كتابي اليكَ إلَّا غرورٌ غير انى حسدتُه بلقاكا
يستحي منك ان تراه وفيه ألفُ عينٍ ويستحي ان يراكا

قد تطفَّلتُ به على لطفك البديع وبه ما بي من المهابة لولا جسارة عبثت بي فاطمتُها على شريطة ان يكون كتابي كتاب طالبٍ ليستفهم لا استاذ يعلِّم وإلَّا فما تعرُّضي لامرٍ يقال لي فيه : تحكَّكت العقرب بالافعى واستنَّت الفصال حتى القَرعَى من قولي لنفسي ربَّ عقم اقرُّ للعين من رجعي بخفَّي حُنين . واذا تقرَّر هذا فاقول . . . »

وجاء في الصفحة الاخيرة من هذا الكتاب :

« قال كاتبه الفقير ناصيف اليازجي البيروتي هذا ما علَّقناه مَّما انكرناه في كتابكم ولم نستقص في تعقُّبه استقراء من حرفٍ الى حركةٍ يتوهم الإخلال فيها طغيان فكر او قلم . هذا واني استوهبكم هذه الجسارة التي لست كفؤًا لها والتمس منكم الافادة في ما لم (هنا كلمة غير واضحة) والتسليم في ما لم تنتبهوا اليه . واعيذكم من ان تقولوا هكذا وجدنا في ما نقلنا عنه فيكون لكم

طبقة ناسخ لا علم له بعمله وليس هذا من شأنكم اعزه الله. ثم التمس ان لا تتخذوا هذه الرسالة على سبيل المهاترة بل من باب المذاكرة واني لأشهد بفضلكم ولا فضل لي اذا شهدت للصبح بالشروق والمسك بالعبوق وحبّذا لو أنّ لنا أمثالًا لكم نشدّ إزرنا بهم ونفتخر بآدابها ولكنكم بجول الله على حقّ الانسانية ولا عصمة فيها والحمد لله اولًا وآخرًا .»

٤

تكملة ديوان أبي نواس

من مجاميع خطيّة متعددة

وهو جزء بقطع الربع يحتوي على قصائد ومقاطع من شعر أبي نواس ليست موجودة في نسخ دواوينه المطبوعة . وأصلها من مجاميع خطيّة في مكتبة دير الشير مبيّنة طبقاتها واعدادها كما يلي :

والى القرّاء هذه المنتخبات التي انتقيناها من تلك القصائد الفريدة .

جاء في مجموع (طبقة ٢٣ عدد ١١٧) أوله مخروم وفي آخره :

« الحمد لله وكفى وسلامٌ على عباده الذين اصطفى وسلّم تسليماً كثيرًا ابدًا تمّ هذا الكتاب وفرغ على يد اضعف الخلق واحوجهم الى رحمة الحق ابراهيم ابن ابي اليمن ابن عبد الرحمن غفر الله لهم ما تقدّم من ذنوبهم وما تأخر ولا حرمهم الجنة وسقاهم من حوض (هنا كلمة غير مقروءة) الكوثر في يوم المحشر امين امين امين والحمد لله رب العالمين . وكان ذلك في اوايل شهر ربيع الاوّل من شهور سنة ١٠٠٨ ثماني والف .»

وفي الصفحة الاخيرة منه :

« دخل بملك الفقير الراجي كرم ربه المنّان حنا ولد الياس غضبان من طايفة الروم الملكية الكاثوليكية القاطن بمدينة حلب المحمية . ثم دخل بملك الحقير الفقير الراجي من كرمه العفو والغفران عبده يوسف نيكوغوص قبلان سنة ٣٢ .»

وهذا بعض ما جاء من الابيات النواسية في هذا المجموع وليس لها من وجود في دواوينه المطبوعة :

راحٌ زحفتُ على جيش الهموم بها حتى كأنَّ سنا الأبواب راياتُ
تجولُ حولَ أوانيها أشعَّتها كأنَّما هي للكاسات كاساتُ
تذكَّرتْ عند قوم دَوسَ أرجلهم فاسترجعت من رؤوس القوم ثاراتُ
كأنها في أكفّ الطائفين بها نارٌ يطوفُ بها في الارض جِنّاتُ
من كلّ أغيدَ في دينار وجنتهِ تودَّعت من قلوب القوم حبَّاتُ
مبلبل الصدغ طوع الوصل منعطفٌ كأنَّ أصداغهُ للعطف واواتُ
تونَّحت وهي في كفّيه من طرَبٍ حتى لقد رقصت بتلك الزجاجاتُ
وبتُّ أشربُ من فيهِ وخمرتهِ شرباً يُشَنُّ به في العقدِ غاراتُ
ويترك اللثمُ خدّيهِ فيُنشدُها على المنازل لي فيها علاماتُ
سقياً لتلك الليلاتِ التي سلفت فإنما العمرُ هاتيك الليلاتُ

وجاءت هذه الابيات من قصيدة نواسيّة في مخطوط (طبقة ٢٣ عدد ٦٠) ناقص من اوله ومن آخره ، فلا ذكر فيه للمؤلف ، إلّا انه جاء في آخره هكذا: « كاتبه عبد افندي » والورق من العبادي القديم . وهذه هي الابيات :

قُم فاختطفها فإنَّ العمرَ يختطفُ صهباء يُقدَحُ منها العزُّ والشرفُ
مدامةٌ خبَّرت عنها مشايخُنا مسلسلاً وحكى عن قومها السلَفُ
طرقتُ حاناتها والليلُ معتكرٌ وللنواقيس في ألحانها تُحَفُ
فأوجستْ خيفةً مني وما علمتْ إنّي بجبي لها قد زادني شَغَفُ
أطلَّ راهبُها من تحت بُرنسهِ كأنه الدرُّ قد حفَّت به الصدَفُ
وقال ما حاجةُ الطلّاب قلتُ له قومٌ ببابكَ للإكرام قد وقفوا
فقال أهلاً هلمّوا للقِرى فَقرًا كاسات صرف بها الاحزانُ تنصرفُ
وذكَّ مبزلها ليلاً وأبرزها شمساً إذا قابلتها الشمسُ تنكسفُ
وطاف بالدير اسبوعاً وقدَّسها تقديس فيه عنا الأوهام تنكشفُ (كذا)
فقلتُ مطرانُ هل في الدير من أحدٍ له اختبارٌ بعلم الدَّنّ يعترفُ
فقال أخبرَني جدّي وأسندهُ الى أبيه وأجدادٍ له سلفوا
قالوا بأنَّ سنا الكرسيّ مُقتبَسٌ من نورها ولهذا حَدُّ ما عرفوا
لو أنَّ موسى رأى من نورها قبساً ما لام قوماً على عجلٍ لهم عكفوا

وفي ذلك المجموع من الطبقة والعدد المذكورين هـذه الابيات من سينية نؤاسيّة وهي :

عُجْ حيث تسمعُ اصوات النواقيس بجانب الدير تحت الليل بالعيس
مستخبرًا عن كُميت اللون صافية قد عتّقتها أُناسٌ في النواويس
مرَّ الزمانُ عليها فهي تُخبرُ عن ما كان من آدم من قبل إبليس
ترى الرهابين جزعاً من إمامتها اذا بَدَت بين شمّاس وقسيس
تُتلى الاناجيل تعظيماً اذا بَرَزَت لها باشرف تسبيحٍ وتقديس

وجاء في ذلك المجموع نؤاسية سينيّة فيها تصحيفٌ وتحريفٌ كثير، منها هذا البيت :

لمّا طرقنا عليها الديرَ قيل لنا من ذا الذي حرَّك الناقوسَ والجرسا

وجاء في مجموع خطيٍّ (طبقة ٢٣ عدد ٤٦) من قطع النصف مجلّد تجليدًا قديمًا ومؤلّفه مجهول :

« قال ابو نواس مخاطباً عنان الجارية :

عنانُ يا منيتي ويا سَكَني أما تريني أجول في سَكَكِكْ
ملكتِني اليوم يا معذّبتي فصيّريني الغداة من فَكَكِكْ
عجّلي ذاكِ وارحمي قلقي وأثبتي لي البراة في صَكَكِكْ »

سند تاريخي للشهابي الكبير

ليس في جميع الآثار التاريخية اللبنانية ما يزيد بثبوت وجلاء نظرية المؤرخين اللبنانيين الذين يقولون بان الامير بشير الشهابي الكبير قد كان يعمل على توريث الامارة في لبنان لذرّيته كما ورّث محمد علي في مصر الخديوية لسلالته ، ولكننا وجدنا في المكتبة النخلية سندًا تاريخيًا يثبت ذلك بطريقة تقطع كلَّ جدال في هذا المعنى .

ففي المكتبة صكٌ خطيٌّ ممضيٌّ من الامير بشير وعليه خاتمه الرسمي (وهو ما كان يُسمّى تركًا في لغة ذلك العصر) منحه الامير الشهابي للبلوكباشي نجم نخله (من أجداد اصحاب المكتبة) هذه صورته بالحرف :

« الباعث تحريره وموجب تسطيره :

هو انه يوم تاريخه ادناه قد انعمنا بترك مطلوب رزقة عزيزنا نجم نخله بلكباشي المحررة اعلاه وقدر درهمها ماية وثلاثة وثلاثين درهم بلغ عنها التقريش بال قاعدة اربعة عشر غرش وثلاثة فضة وذلك الترك مالين الميري وستة اموال الطرح مع ملاحيق القرش لجهة الميري والطرح . فجميع ذلك مسقوط الطلب عنه . وكذلك انعمنا على عزيزنا المرقوم في ترك جاليته المال وتوزيعه مع ملاحيقها وضتها لا يتكلف من ذلك شي. تركاً ممدوداً خالداً الى ما شاء الله منا وممن يتخلفنا له ولذريته وقد تسطر علم هذا الترك في دفاتر خزينتنا لاجل محاسبة اهالي المحلات به كل عام .

تحريراً في الحجة ختام سنة ١٢٤٥ خمس واربعين ومايتين والف .

«الامضاء»

بشير شهاب

وتحت الامضاء ما يأتي :

ومن الفريضة التي تتوجب على عزيزنا المرقوم انعمنا بتركها عنه وكذلك قد انعمنا على عزيزنا نجم المرقوم ان ارزاقة هذه المذكورة لا عاد يجري عليها خراج فيما بعد .

«الخاتم الرسمي»

مجموعة صكوك قديمة العهد

وهي صكوك مشترى في الباروك وقرية بمريه في الشوف . كتبت ايام كان الشوف تابعاً لصيدا في العهد المعني . ومنها ما هو مؤرخ في سنة ١٠٠٩ هجرية (١٦٠٠ مسيحية) وسنة ١٠٣٧ هجرية (١٦٢٧ مسيحية) وسنة ١١٢٩ هجرية (١٧١٦ مسيحية) . وبعضها مكتوب بالخط النسخي العزيز الوجود في ذلك العصر . وقد ورد في بعضها ان المشترى قد وقع في « قرية الباروك من الشوف الحيطي عمل صيدا المعموره » وان الثمن هو «اثنا عشر الف درهم حلبي». وورد في البعض الآخر ان ثمن المشترى يبلغ اربعة قروش وربع . ومن أسماء بعض الشهود في هذه الصكوك يُستدلّ على ان من سكان الباروك في ذلك العهد مَن كان شيعيَّ المذهب .

مجموعة رسائل

من يوسف بك كرم الى عباس بك نخله[١]

ان هذه المجموعة النفيسة اكثرها مرسل من يوسف بك الى عباس بك من نابولي في ايطاليا. وهي مؤرخة في سنة ١٨٨١ ، أي ايام كان يوسف بك منفياً اليها.

وقد لاحظنا في هذه الرسائل آثار تديُّن يوسف بك وتقواه على ما هو مشهور عنه ، وذلك بتتويجه تلك الرسائل بهذه العبارة التقوية :

«يتمجّد اسم يسوع ومريم . فليكن مباركاً الحبل بسيدتنا مريم العذراء البرية من دنس الخطيئة الاصلية . »

مخطوطة عن فتنة سنة ١٨٦٠

وهي في ١٤٧ صفحة من القطع الوسط املاها الشيخ حسين الغضبان الشاهد العياني لاكثر تلك الحوادث المشؤومة . وهذه النسخة النخلية منقولة بالحرف عن نسخة الاملاء الاصلية .

الحوادث التاريخية

في ديوان الشيخ عبد اللطيف فتح الله مفتي بيروت (المخطوط)

وهو مجموع ما ورد من ذكر الحوادث التاريخية في هذا الديوان المخطوط . واكثرها يدور على ايام الجزار وسليمان باشا وعبدالله باشا في عكا ، وعلى ايام الامير بشير الشهابي في لبنان ، وايام مصطفى آغا بربر في طرابلس ، وعلى حصار بونابرت لعكا وهلم جراً من هذه الحوادث المتعلقة بتاريخ البلاد . والذي يزيد

١ راجع في الجزء الثاني من « قلائد المرجان في تاريخ شمالي لبنان » لكرم صفحة ٢١٩—٢٢٠ الرسالة الثالثة من يوسف بك كرم الى عباس بك نخله وهي تتعلق على ما يبدو لنا بمسألة داود باشا ويوسف بك . وذلك نقوله فيها : « كما وانه تأكد لدينا ان سماحكم الصادر عن شرف نفسكم في بتدين هو عن غيرة على المصلحة التي نحن نرى بخلاف واقع الحال عدم القبول بها بوجود اسباب مانعة كنا تكلمنا عنها في البادوك بالمواجهة وليس مناسب ان نبوح بها بالكتابة كما لا يخفى . وان شاء الله بالمواجهة عن قريب نستخلص لكم جميع ذلك شفاها . »

في قيمة هذا المجموع ان الكاتب كان شاهد عيان للحوادث فضلاً عن تقربه من الولاة المذكورين ومكانته عندهم بصفته مفتياً لبيروت يومئذٍ، وفضلاً عن ذكر الحوادث بالتدقيق، وذلك باليوم والشهر واحياناً بالساعات .

اما نسخة الديوان الأصلية فموجودة في يد بعض آل فتح الله في بيروت وهو من احفاد المؤلف . وعن هذه النسخة الأصلية نُقل المجموع النخليّ المذكور .

ومن الحوادث اللبنانية التي ذكرها المؤلف بالتفصيل، ولا ذكر لها في التواريخ اللبنانية قوله (ص ٧–٨ من المجموع النخلي) :

«ولما كان يوم العشرون من شهر ربيع الثاني سنة ١٢٣٦ (أي سنة ١٨٢٠) حضر من سعادة الوزير المحترم السيد عبدالله باشا المومى اليه ايده الله تعالى ووالى عنايته عليه مرسوم شريف الى متسلم بيروت المحروسة كاشف خليل آغا المار ذكره يتضمن امره العالي له بأن يقبض من يكون موجوداً في البلد من اهل جبله من نصارى وغيرهم وذلك ليلة الاربعا فقبض المتسلم من وجده من اهل الجبل ووضعه في السجن ودخل اهل البساتين والمزارع التي خارج البلد الى بيروت وخربت البساتين وسبب ذلك ان سعادة الوزير تغيظ على الامير بشير الشهابي حاكم الجبل المحرر وان العساكر المنصورة بحرب الامير واهل الجبل وسبب هذا التغيظ ان سعادة الوزير المحترم ايده الله تعالى وايد به الاسلام والمسلمين اراد سلخ اقليم الخروب وهو برجا وتوابعها واقليم جزين وجبل الريحان من التزام الامير وضمه الى جبل الشوف وارادة سعادة الوزير المشار اليه ضم ذلك الى خزينته العامرة في محروسة صيدا بما ان أهل الاقليمين وجبل الريحان مسلمون مؤمنون موحّدون فالأمير أبى ذلك .»

مراسلات رسمية تاريخية

من داود باشا اول متصرّف لبنان الى عباس بك نخله

وهي مجموعة أوامر ومراسلات رسمية أرسل بها داود باشا الى عباس بك نخله (يوم كان عباس بك رئيس ضابطيّة جبل لبنان وذلك في صدر العهد المتصرفي).

وهذه المراسلات تدلّ على اسلوب الدواوين في ذلك العهد وعن الذهنيّة العامّة في البلاد .

ومنها هذا الأمر الآتي، ننقله بحرفه، وهو مؤرخ في ١٤ شوّال سنة ١٢٧٩هـ.

«افتخار البكوات الكرام عباس بك نخله زيد مجده :

انه بمقتضى مفاد الأوامر منّا بخصوص ممنوعية نقل الاسلحة بدون تذاكر

ما عدا السيف مستثنا من هذه الممنوعية كونه يجب حمله من جملة الملبوسات للزينة فلا يصير معارضة لمن يوجد ناقل سيفاً فقط ولو كان بلا تذكرة فلأجل اجرآء الحركة على الوجه المحرّر اقتضى اشعاركم . »

(الامضآء والختم) : « داود »

تاريخ الشيخ شيبان الخازن

وهي نسخة من تاريخ الشيخ شيبان الخازن المعروف (بتاريخ الخوازنة) منقولة عن النسخة التي في يد الشيخ كسروان الخازن[1] تقع في ١٢٥ صفحة . وقد جآء في آخرها : « تمّ نقله عن النسخة الاصلية بيد الخوري ميخائيل عيسى الخوري من بشري في نيسان سنة ١٩٠٥ . »

مجموعة رسائل سياسيّة

تتعلّق بالقضايا اللبنانية والشؤون الوطنية

وهي رسائل سياسية ذات قيمة تاريخية لتعلّقها بالقضايا اللبنانية والشؤون الوطنية في مدّة خمسين سنة على التقريب ، موجهة في مناسبات مختلفة من كبار رجال السياسة والزعامة والقلم في لبنان ، الى فقيد لبنان الغالي الطيّب الذكر والأثر رشيد بك نخله ، وهي مرتّبة بحسب وقوع الحوادث ترتيباً دقيقاً .

آثار رشيد بك نخله الخطية

وفي المكتبة ، عدا ما ذكرناه من الآثار التاريخية النفيسة ، مجموعات خطية من مخلفات الفقيد رشيد بك في السياسة والشعر والادب والزجل وهي :

١ — (كتاب المنفى) وهو مذكرات جمعت بين الادب والسياسة تبتدئ من سنة ١٩١٤ وتنتهي في سنة ١٩١٨ .

---

١) راجع ما كتبناه في مقالتنا «جولة في كسروان» عن نسخة مكتبة عشقوت (المشرق ٣٥ : ٨٥٦-٨٥٧) وراجع ايضاً ما كتبه الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف عن النسخة غير الكاملة التي في يده (النشرة ١ : ٣٤٤) . وقد ذكر الاستاذ في كتابه «تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني» في الصفحة ٩٩ انّ في مكتبة بكركي نسخة من هذا الكتاب . ولعلّ النسخة التي في يد الشيخ كسروان الخازن ، والتي نقلت عنها النسخة النخليّة ، منقولة عن نسخة بكركي .

ويدور موضوعها في الاكثر على ما لقي الرشيد في المنفى في عهد جمال باشا من العنت، وعلى تأسيسه «الحكومة الفدائيين في لبنان» في بيت الدين، في ٢ تشرين الاول سنة ١٩١٨. وفي هذا الكتاب أدب وشعر كثير اقتضته حوادث ومناسبات سياسية[1].

وقد أودع الرشيد هذا الكتاب طائفة من شعره الرائع يقول من جملتها :

نحنُ يا أحبابنا جيلٌ مضى فلكم من بعدنا طولُ البقاءْ

الى ان يقول :

واذا نحنُ أسأنا فاصفحوا واجعلوا إحسانكم بعضَ العزاءْ

٢ — (رسائل رشيد نخله) وهي مجموعة صادرة من قلمه في الادب والاجتماع والحكمة سلمت من الضياع وحفظها أصدقاؤه ومعارفه واصحاب العلاقة الادبية به، الذين كتب اليهم تلك الرسائل في مناسبات شتّى، وهي على ما رأيناها، من أعلى الطبقات في البلاغة.

٣ — مجموعة مقالاته وخطبه في الادب والاجتماع .

٤ — مجموعة قصائده في الشعر .

٥ — مجموعة قصائده في الزجل[2].

٦ — مجموعة مذكّراته الادبية . تحتوي على فصول جامعة لارائه وذكرياته الخاصّة في الحياة الادبية[3].

---

١) نُشرت مقاطع من هذه المذكرات في مجلّتي «الفجر» سنة ١٩٣٩ و«المشرق» سنة ١٩٤٤ وفي جريدة «الشعب» سنة ١٩٥٠ .

٢) هو الكتاب الذي أخرجه الاستاذ نخله سنة ١٩٤٥ وسمّاه « معنّى رشيد نخله » وقد طبعه اجمل طبع ورتبه احسن ترتيب وصدّره بمقدمة جليلة تقع في نحو من مائة صفحة جمع فيها تاريخ الزجل من اقدم العصور في الاندلس الى اليوم، واورد فنون الزجل وطرائقه القديمة والحديثة، وما قاله فيه المؤرخون من مستشرقين وعرب، وما استحدثه فقيدنا رشيد بك من الانواع الزجليّة . وهي مقدّمة لم تبقِ في موضوعها مقالاً لقائل .

٣) نشرت جريدة «الجمهور» جانباً من هذه المذكرات في سنة ١٩٣٩ .

وثائق تاريخية عن حلب

اخبار اللاتين والروم وما اليهم

١٨٥٥—١٩٦٠

بقلم الاب فرديناند توتل اليسوعي

١) افهم باللاتين المسيحيين التابعين في طقوسهم الليتورجية الكنيسة الرومانية . وافهم بالروم المسيحيين التابعين في طقوسهم الليتورجية الكنيسة الانطاكية الملكية . واخبارهم في حلب متصلة بينهم وبين سائر الطوائف من مسيحية وغير مسيحية ، واذ نصدّر المقال بعنوان اللاتين والروم « وما اليهم » فمعناه ان الكثير من الوثائق[1] التي ننشرها قد تختص بالطائفتين المذكورتين وان غيرها من الوثائق ، يضاف اليها اذا سنحت الفرصة لنشره.

ان هذه الفرصة كانت رهينة رحلاتنا على مدى السنين ونحن نتقصى الآثار الخطية في مواطنها بين دور الكتب العامة ودور السكنى الخاصة وبين الاسواق. وقد جمعنا عنها اوراقاً تكدّست ، ولو كانت بين يدينا كلها في السنة ١٩٤٠ لظهرت مرتبةً على غير ترتيبها في اليوم وكنا حصرنا اخبار الطائفة الواحدة دون سواها في المجلّد الواحد .

ولكن نشرناها على علاتها كما عثرنا عليها في الزمان والمكان مع الاشارة اليه . وان لفي ذلك المزيج افادة وهو يظهر الحوادث والاخبار في شبكتها واتصالها بين الطوائف المختلفة ، فيقرب صورتها الى الحقيقة الواقعة في شرقنا العزيز حيث تختلف الآراء والمذاهب وهي متحدة على صعيد الوطنية وفي الجو الواحد نشأةً ولغةً وعادات ومشارب .

٢) ١) راجع: الاب فرديناند توتل اليسوعي ، «وثائق تاريخية عن حلب»–١: الحوادث والاخبار اخذاً عن يومية نعوم البخاش ١٨٥٥ – ١٨٦٥ وغيرها من المخطوطات ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٤٠ ، صفحة ٢٣٠ + X قطع ٨ مصوّر.

— ٢ : « اولياء ، حاب في منظومة الشيخ وفاء مع ترجمة ابي الوفاء الرفاعي »، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٤١ ، صفحة ١٠٢ + VII قطع ٨ مصوّر .

— ٣ : «دفتر اخوية عزبان الارمن وما اليه» — المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٥٠ صفحة ٢٢٤ + VII قطع ٨ مصوّر .

— ٤ : «اخبار الموارنة وما اليهم » . الكتاب الاول (١٦٠٦ — ١٨٢٧) صفحة ١٤٧ + IV . الكتاب الثاني (١٨٢٧ — ١٩٤٧) صفحة ١٤٧ + II . المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٥٩ ، ق ٨ مصوّر . (في سلسلة « نصوص ودروس » ٢ و ٩)

— ٥ : «اخبار السريان وما اليهم اخذاً عن يومية نعوم البخاش» ١٨٤٠—١٨٦٥، صفحة ١٨٠ المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٢ ق ٨ مصوّر . (في سلسلة « نصوص ودروس » ١١) .

وهذه كلها ظهرت سابقاً في مجلة « المشرق » .

المدارس المسيحية في حلب على ايام الفتح الاسلامي

٣) في السنة ٦٣٨ ميلادية و١٦ هجرية فتح ابو عبيدة الجرّاح مدينة حلب. وكان سكانها مسيحين ولهم كنائسهم. فأمن لهم الحرية الدينية ضمن الشروط الشرعية . فبقيت لهم كنائسهم . والى الكنيسة ترجع المدرسة كأنها جنح منها للتعليم الديني والمدني . ورجال الكنيسة مقيدون بواجب تعليم البشر عامة والناشئة خاصة استناداً لقول المسيح للتلاميذ وخلفائهم: « اذهبوا علموا جميع الامم، عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، علموهم الوصايا التي اعطيتكم اياها . وها أنذا معكم كل الايام الى منتهى الدهر » (متى ٢٨، ١٩—٢٠) . واعطي المسيح الكنيسة ورجالها المواهب الفائقة الطبيعة للقيام بمهمتهم التعليمية : هو الانجيل لتنوير العقول ، هي الاسرار المقدسة لميلاد الحياة المسيحية ونشأتها وتغذيتها ، هي السلطة المصونة من الغلط فيما يخص التعليم والآداب المسيحية. وتدريب الابوين عليها في تربية اولادهما.

٤) ومنذ الفتح الاسلامي الى عهد الخلفاء الراشدين ، الى عهد الامويين والعباسيين ، الى عهد المماليك وبني عثمان الى يومنا ، سوف يستند المسيحيون الى تلك الحجج الجليلة القديمة فيتمتعون بمجرياتهم في تعليم ابنائهم ويطالبون بها طبقاً للمبادئ الاجتماعية التي تخوّل الاهلين حق العناية بتدريس ابنائهم . فعليهم ان يعتنوا بتثقيف عقولهم كما عليهم ان يعتنوا بغذائهم وكسوتهم وسائر احتياجاتهم

البدنية . ومن واجب الدولة ان تساعدهم على ذلك فلا تضع الموانع دونهم ودون القيام بما يملي عليهم ضميرهم المسيحي . وان التعليم يشع نوره اينما جلس معلم يعلم، الا ان دوره المألوفة هي المدارس، والمدارس تكون غالباً في جوار المعابد[1] وفيها تلقين التعليم المسيحي وسائر ما يتفرع منه من المعارف. فلا نغالي بالقول ان للمسيحيين كانت مدارس في حلب باعتبار عدة كنائسها . قال محمد ابن شحنة الحلبي[2]: كان بحلب نيف وسبعون هيكلاً للنصارى. . . ومنها الهيكل في الكنيسة التي بنتها هيلانة ام قسطنطين.

٥) وعلى الافتراض ان عدد السبعين كان مألوفاً عند المؤرخين الاقدمين على سبيل المجازفة ، فلا ينفك يدل على حقيقة وجود مدارس مسيحية مناسب عددها للكنائس ولا عجب في كثرتها وحلب او « بيريه » اليونانية كان لها اسقف قبل المجمع النيقاوي (سنة ٣٢٥) . والى ذلك العهد ترقى الفسيفساء التي اكتشفت في حي العزيزية سنة ١٩٣٦ (اطلب فيما بعد ٢٥٧) ، وآثار البناية البيزنطية التي اكتشفها العلامة سوفاجه في حلب ذكرى للاربعين شهيداً[3] والى ذلك العهد ترقى مدرسة الحلوية المرسومة على بابها الصلبان[4] والى ذلك العهد يرجع نشوء الرهبان الذين يتعلمون احداثاً ويعلمون رجالاً في جوار الكنائس وهم الحلقات الثقافية المتسلسلة في القرون السابقة للهجرة بين مدارس نصيبين والرها وبين مدارس انطاكية . لقد طغت عليها الحروب وسحقتها الغزوات ، لكنها لم تطفئ في عقول السكان لوعة الذكاء ونبراس المعارف ولو لم تكن لهم مدارسهم لما تخرج بينهم العلماء الذين نقلوا الى العربية الكتب اليونانية والسريانية.

٦) وابتنى الامراء والحكام المدارس الاسلامية في جوار المساجد وانفقوا عليها الاموال الطائلة وزودها المحسنون بالاوقاف الكافلة للمعلمين والمتعلمين معيشتهم بالكرامة ، فهي على ما جاء في « الدر المنتخب » صفحة ١٠٩ وما

١) في دائرة المعارف الاسلامية جاءت مادة مدرسة مدموغة في مادة مسجد كأن دار التعليم لا تفترق عن دار الصلاة !

٢) « الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب » . طبعة سركيس ١٩٠٩ ، ص ٨١ وما بعدها

٣) راجع سوفاجه . حلب ، صفحة ٥٨ Sauvaget, *Alep*, p. 58

٤) الى ان سحقتها ظارق بعض المتعصبين لئلا تبقى فيها علامة مسيحية .

بعدها ، للشافعية والمالكية والحنابلة وليس من المأنوس ان يجلس فيها الطلاب الغير المسلمين وبرامج التعليم فيها مبنية على العلوم القرآنية وما اليها من معقول ومنقول ، فكان ولا بد ان كان لهم معاهدهم او حلقات دراساتهم العليا . اما تعليم مبادئ القراءة والكتابة في الكتاتيب او في والمنازل الخاصة الاسلامية فلا يحرم منه المسيحيون .

النهضة الثقافية المسيحية

٧) روي عن جبرائيل فرحات (١٦٧٠–١٧٣٢) العلّامة الماروني المنصّب تمثاله في ساحة فرحات (وزراء العمارة) انه كان يسمع تعليم الشيخ سليمان النحوي احد معلّمي رفاقه . وسأل الشيخ يوماً سؤالاً اعتاص امره على التلامذة ، فنهض جبرائيل وجاوب عليه الجواب الصحيح وادهش السامعين . فصاح الشيخ : لقد سرق النصراني العربية ، فما كان من جبرائيل الا انه تأبط خفيه واطلق ساقيه للريح . وسار من ثم في طليعة الناهضين بالعربية .

ولست ادري هل الرواية حقيقة او اسطورة ، لكنها على علاتها ترجمان لاجتهاد الاولاد المسيحيين في الدروس ، وان ما نعرفه عن نشأة الرهبانيات الكاثوليكية في لبنان التي اقتبست الشعلة العربية من حلب على يد عبدالله زاخر (١٦٨٠ ــ ١٧٤٨) مؤسس المطبعة العربية في دير مار يوحنا الصابغ في الخنشارة (لبنان) ونقلاوس الصائغ الشاعر (١٦٩٢–١٧٥٦) ، وفرحات المذكور سابقاً دليل على انه كانت للمسيحيين في الشهباء مدارس وفيها تعلموا . ولما حطّ الآباء اليسوعيون في حلب سنة ١٦٢٥ ، كان همهم الاهم فيها مع الارشاد والاعمال الرسولية التعليم في مدرسة الروم شأن الابوين كيرو واميو . واشتهرت في القرن التاسع عشر مدرسة المعلم نعوم البخاش التي نشرنا عنها اليومية في اخبار السريان وما اليهم [١]

١) راجع وثائق الاب انطون رباط في الفهارس : *Documents inédits pour servir à l'Histoire du Christianisme en Oricat*, 1910.

– راجع كتابنا « وثائق تاريخية عن حلب . ٣ – يومية نعوم البخاش » ، ١٩٦٢ – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت .

على ان نظام التعليم المدرسي الرسمي لم يبرز الى النور الّا بنشأة مدرسة ترّا سانتا للآباء الفرنسيسكان، واسقفية القديس نقلاوس للروم الكاثوليك في القسم الثاني من القرن التاسع عشر.

٨) وهناك علّتان سبّبتا النهضة الثقافية بين المسيحيين في الشرق وافادتا مدينة حلب، وهما الفتن التي حدثت سنة ١٨٥٠ وسنة ١٨٦٠ وظهور الخط الهمايوني. فالفتن مع ما احدثته من نكبات، وجهت انظار المسيحيين في الغرب نحو اخوتهم المضطهدين في الشرق. فأنشئت بمساعدتهم المشاريع الخيرية ومنها مشروع المدارس المؤسس في باريس. وحذت حذوه المشاريع المؤازرة التعليم ليس في الطوائف الكاثوليكية فحسب، ولكن في سائر الطوائف ايضاً من «ارثوذكسية» وانجيلية. فاقبل المطلبون يعلّمون وهم اجانب والدولة العثمانية لا تمانعهم في مهمتهم بموجب الخط الهمايوني الذي صدر في شباط ١٨٥٦، واعلن المساواة بين رعايا السلطنة اجمعين بالحقوق والواجبات وفسح للمسيحيين المجال لموارد العرفان.

مدرسة ترّا سانتا للاباء الفرنسيسكان

٩) بين يدينا كتيب ظهر باللغة الايطالية لمؤلفه الاب فيلادلفو كنيولي[1] جاء فيه على تاريخ هذه المدرسة منذ نشأتها الى يومنا. وقد يكون بين ايدي الادباء. ولا سيما التلامذة قدماء معهد «الشيباني»، لكنه لم ينقل الى العربية ولعله مجهول من عامة القراء. وفيه النظرات القيّمة في شؤون المدرسة واهميتها والعقبات التي تعترض السبيل الى نجاحها والافادات عن اعلامها من اساتذة وتلامذة وبرامج التعليم فيها وسائر انظمتها تطوراً مع الايام على مدى القرن وفيه ذلك اخبار اللاتين وما اليهم.

(1 P. Filadelfo Cangioli O.F.M., *Il collegio di Terra Santa in Aleppo*. Jerusalem, 1948, in-8°, p. 110.

١٨٥٥

١٠) ما ان شاع الخبر ان الاب لودوفيك بياثي حارس الاراضي المقدّسة مفكّر بانشاء مدرسة ثانوية في حلب الّا واستبشر الحلبيون بالخيرات لناشئتهم . ان المدارس الابتدائية كانت في الشهباء لكل طائفة من الطوائف ، الّا ان نتائجها لم تكن كفوءةً لسدّ حاجات المدينة الى التعليم وليس لابنائها المعهد اللازم لاخراجهم من محيطهم الضيّق وتمرينهم على النظام المعهود في المدارس الداخلية حيث يقيمون على مدّة سنوات خمس فاكثر.

واخذ الآباء الفرنسيسكان يبحثون وسائل انشاء ذلك المعهد ، وانقسمت آراؤهم في امره ولم يكن سواهم في حلب رهبان من غير جمعيات. وقال البعض ان الآباء لم يتجهزوا في تثقيفهم الرهباني الى التعليم في المدارس بل الى التبشير في الاعمال الرسولية مباشرة ، فردّ غيرهم عليهم وقالوا ان الحياة الرهبانية تؤهل الرهبان عفوًا للتعليم،وان للآباء الفرنسيسكان في العالم مدارس تشهد لهم بطولة الباع والكفاءة للقيام بتلك المهمة الخطيرة وكان الآباء المعارضون فكرة التعهد بالمدرسة يفضلون ان تكون في ادارة اخوة المدارس المسيحية . وارتأى برأيهم اعيان البلد والقناصل سكين ومركوبولي وتومازيني وبنتيفوليو . وتراسل الرؤساء في شؤون المدرسة ، ومضت الايام قبل الاقدام الجدّي على انشاء مدرسة ترّاسانتا وكانت دونها العقبات الادارية والمالية. وكتب الاب زائر دير حلب سنة ١٨٥٧ ان خير ما يراه في شؤون المدرسة هو ان تكون في جوار دير « الشيباني » ويعهد بها الى الاخوة معلمي الجهال « ignorantins » فلا تطلب النفقات الباهظة ولا تحتاج الى بنايات جديدة . وأيّد هذا الرأي القناصل في حلب.

١١) الى ان جاء الاب ميخائيل دي زيو دا روفو Michele de Zio da Ruvo فقضى في حلب خمس سنوات وفهم احوالها واحتياجاتها لمدرسة للذكور داخلية وقال انها ستقوم من ذاتها بالنفقات لانشائها وسيرها المنظّم في سبيل النجاح. وان ما حدث لراهبات مار يوسف الظهور وتأسيسهنّ مدرستهنّ الداخلية للاناث في حلب ونجاحهنّ يبشر بان مدرسة الفرنسيسكان للصبيان لن تكون دون مدرسة البنات نجاحاً وازدهارًا ، وقد انشأت الراهبات مدرستهنّ وزدن بناياتها دون ان يقعن في عجز مالي . (وثائق ترّاسانتا في حلب ١٨٥٧)

ووافق الرؤساء الاب ميخائيل على رأيه وجاءت من رومة الوثائق المؤيدة انشاء مدرسة داخلية تحت ادارة الآباء الفرنسيسكان ولم يذكروا من ثمَّ دعوة اخوة المدارس المسيحية الى حلب.

١٢) وفي ٢٩ نيسان ١٨٥٩ جاء من فرنسا الاب برنارد دورليان d'Orléans مديرًا للمدرسة وبمعيته الاخ لويس داميان (d'Amiens) معلمًا للغة الافرنسية.

وفي يوم الاحد ٢ ت ١ فتحت مدرسة ترّا سانتا ابوابها لقبول التلامذة، ووزع عليهم برنامج التعليم مطبوعاً بالعربية والايطالية والافرنسية موقعاً باسم الاب برنارد واليك خلاصة بنوده:

« المدرسة تعلّم مبادئ الدين والاخلاق مع القراءة والكتابة والحساب واللغات الايطالية والافرنسية والعربية والتركية — تقبل الاولاد بعد السادسة من عمرهم الغير مصابين بمرض سار — الراتب على اولاد الداخلية الف غرش تركي وعلى اولاد الخارجية ست مئة غرش — تقدّم المدرسة الفراش للنوم تلقاء خمسين غرشاً — مـدّة الدروس خمس سنوات. تعليم الموسيقى والتصوير اختياري. اللغة اللاتينية يعلّمها معلّم خاص عن طلب الابوين، وكان بين المعلّمين الياس فرج للعربية ومحمد افندي للتركية. وكان وكيل المصروف جوزف بلدي. وكان فيها طباخ واحد وخادمان. وفي سنتها الاولى عدّت المدرسة ٢٨ تلميذًا داخليين وتسعة نصف داخليين. وكان في جوار المدرسة مدرسة اخرى مجانية للاولاد الفقراء.

١٣) وفي شهر تموز جرى فحص التلامذة وكان في لجنة الفاحصين بالافرنسية نقولا مركوبولي قنصل اسبانيا والبرتغال، ودبزيره فيلكروز من تجار الافرنسيين حامل وسام المجيدية، والسيد جوفروا، والسيد انطون دي غنطوز كبه، والسيد بوريار مدير البريد الافرنسي. وبالايطالية تومازيني قنصل ايطالية، والدكتور برنابا، وفردريك يوخه. وبالعربية السيد مراش الشاعر. وبالتركية احد التراجمة من عينتاب.

وفي ٥ آب ١٨٦٢ وزعت الجوائز على التلامذة واسمهم محفوظ في كراس، قرأنا فيه اسماء: ميشيل صادر (اسكندرونه)، عبدالله توتل، اوغست كوسا،

غليوم صولا ، نصري بخاش ، جبرائيل ناقوز ، دياكو دورتاتو ، انطوان بلدي ، ديمتري جنبرت (حلب) ، جان عبروت (اللاذقية) ، اميل زولنجر (حلب) ، عبد المسيح دياب (انطاكية) ، جوزف زريق (طرابلس) ، اسكندر مالكي (دير القمر).

ومثلت الروايات المسرحية بالايطالية وعنوانها « يوسف بن يعقوب » — وبالافرنسية وعنوانها « استير » عن الشاعر راسين بحضور ابن حافظ باشا الوالي والباشا الحاكم العسكري ، وقناصل الدول ، وعدد غير قليل من الأعيان.

١٤) وبما تقاضته الادارة من رواتب التلامذة ومن هبات المحسنين ، تمكنت من القيام بنفقات المدرسة وقد ساعدها القنصل شاتري دلافوس الافرنسي فتكفلت جمعية «مشروع المدارس للشرق» براتب ١٥ تلميذاً ، وجمعية « اتقياء كولونية الالمانية » براتب ٨ ، وفيتوريو عمانوئيل الثاني ملك ايطالية براتب ثلاثة.

وسارت من ثمّ المدرسة سيرها المبارك في تعلم الناشئة ، وذاع صيتها بالخيرات ايام لم تكن الارساليات الاجنبية قد فتحت معاهدها في لبنان ، فقصد الى حلب الطلاب من سائر انحاء البلاد الشرقية . ذكرنا سابقاً بعض اسمائهم مع اسم البلدة التي جاؤوا منها ليرتادوا مناهل التعليم في مدرسة ترّا سانتا في حلب . واليك غيرهم من استحقوا الجوائز في السنة المدرسية ١٨٦٢ — ١٨٦٣ : عبدالله صايغ (دمشق) ، سليم شامي (بيروت) ، دمتري زبال (دمشق) ، ديودونه ناصيف (طرابلس) ، ريشا ابو العلم (دير القمر) ، ميشيل فرج (دلبتا) ، انطوان ساعاتي (بيروت).

وزاد عدد التلامذة الى حوالى المئتين ، فضاقت بهم دور التعليم ، فوسعها الآباء مضيفين اليها البنايات الجديدة الى ان يضطروا الى الخروج منها ، فينتقلون المعهد من حي الشيباني الى حي العزيزية ثمّ الى غربي البلد بالقرب من «السبيل».

ومضت خمسون عاماً على تأسيس مدرسة ترّا سانتا ، فاحتفلت بيوبيلها الذهبي سنة ١٩٠٩ على ثلاثة ايام تناوب فيها بالاجتماعات الادبية الشعراء والخطباء باللغات . ومثلت الروايات ، وانجلت فيها مظاهر التقوى بحضور اساقفة الطوائف واقامة الصلوات . وكانت اذ ذاك موسيقى « الشيباني » في عزّها ، فزادت الاعياد بهجة ، ومن المعلمين الذين استحقوا الذكر الممتاز ونالوا شكر الحلبيين:

الاخ ادوار فورمان (Fuhrmann) ، الاب جوزف ماريا امه (Amé) ، الاخ بولس شنـو (Cheneau) ، الاخ بوداغروسي Podagrosi ، الاخ بولي Poli ، المدير.

١٥) وكانت ثياب التلامذة الرسمية «البترة» ولونها الازرق الكحلي مطوّقة الكمين والعنق بالشرائط الذهبية وازرارها مدموغة باحرف المدرسة ، Collège Terre Sainte . C.T.S. وكانت القبعة باللون ذاته وعليها شارة المدرسة وفي الصيف كانوا يلبسون البنطلون الابيض. وسوف يبطل استعمال البدلة الرسمية بعد الحرب (١٩١٤–١٩١٨).

١٦) الموسيقى

في ١٨٨٠ تكوّن جوق موسيقى «الشيباني» تحت ادارة الاب اينشتزو دي ساندوناتو ، فأحضر آلات النوبة من ميلانو ، وبلغ ثمنها مع نفقات نقلها ٨٥٠٥ غروش ، وزيد عليها سنة ١٩٠٦ غير ذلك من الآلات فبلغ مجموعها الاربعين.

ومن التلامذة المذكورين في جوقة الموسيقى مع اسم آلتهم والرقم الدال على عدد الجوائز التي حازوها سنة ١٨٨٢:

داود سابلا (١١) بيوكولو Biucolo
زخريا سابلا (٩) كوارتينو Quartino
تيودور كورنايل (٧) اوتافينو وفلاوتو Ottavino et Flauto
حبيب شوحا (٧) كلارينو Clarino
الي ضاهر (٧) كلارينو Clarino
كميل بوريار (٥) فليكورنو Flicorno
انطوان مخروم (٨) كورنتا Cornetta
عبدالله عبوش (٦) كورنو دارمونيا Corno d'Armonia

وغيرهم ممن ذكروا في سجل الموسيقى (١٨٨٨):

بشير رباط : كورنتا
عبدالله تيناوي : بيستون
اميل عيسى : التو
كميل كوسا : باريتون

اسكندر ضاهر: باس
لويس سابكي: كونتر باس Contrebasse
روفائيل مارون: الطبل
بنيامين فلوش: الصنوج
فرنسوا باسفولي: المثلث

وكان لجوق الموسيقى شارات خاصة من كتفيات تحمل خاصة وشرابات حمر وكر من جلد.

١٧) وكانت اذ ذاك مدرسة للطلاب «السيرافيم» يتأهبون فيها لدخول الرهبانية الفرنسيسكانية وهؤلاء لم يسابقوا في تحصيل جوائز العلم.

وفي السنة ١٨٩٧—١٨٩٨ كان عدد التلامذة ١٦٢ ، ومنهم ١٨ موارنة ، و١١ ارمن غريغوريون ، و٤٧ روم كاثوليك ، و٨ سريان كاثوليك ، و٢٢ لاتين ، و٩ روم ارثوذكس ، وواحد مسلم.

وفي السنة ١٩٠٣—١٩٠٤ سوف يكون عدد التلامذة ١٧٢ ، وبينهم تسعة مسلمون.

وتُسمى المدرسة باسم القديس انطونيوس البادواني.

١٨) وفي سنة ١٨٨٢ تكوّنت مكتبة المدرسة للمطالعة ، وفيها حوالى الف مؤلّف بالافرنسية والعربية والايطالية. وكان عدد المؤلفات فيها سنة ١٩٠٩ ٢٥٠٠ مؤلّفاً ، ويديرها الاب المدير تيديله اورسيني.

١٩) ووقعت الحرب الكونية الاولى (١٩١٤—١٩١٨) ، ودخلتها السلطنة العثمانية وصارت حلب محطة مركزية لحركة الجنود المتنقلة الى القتال ، فتحولت معاهدها الكبرى حتى الكنائس الى مستشفيات عسكرية ومنها مدرسة ترّا سانتا فأغلقت بوجه التلاميذ . وخشية ان تخترق حرمة تمثال شفيعها القديس انطونيوس البادواني انزله الدكتور جميل صقال عن نصبه وكان في صحن الدار ، وآواه في بيته الى نهاية الحرب.

وانتهت الحرب . ورأى الآباء الفرنسيسكان ان اعادة المدرسة الى ما كانت عليه سابقاً في حي الشياني غير ملائمة للظروف الجديدة ، لان المسيحيين الذين كانوا يسكنون في حي الجلوم وفي جوار الشياني هاجروا الى غربي المدينة .

والكنيسة ذاتها امست مقفرة لا يرتادها للصلاة ألا القليلون من بواقي الجاليات الاجنبية اللاتينية . فنقلت المدرسة الى حي العزيزية لمدة محدودة الى ان نقلت نهائياً الى ما وراء الجميلة في بناية واسعة محاطة بالاسوار المنيعة . اما كنيسة الشيباني وما اليها من بنايات قديمة ، ففككت حيطانها ونقلت احجارها المكعبة المنحوتة الى حي الحميدية حيث شيدت بها بنايات جديدة.

٢٠) وان اعمال الآباء الفرنسيسكان في حلب اوسع نطاقاً من ان تلم بها هذه الصفحات ولهم كنيسة الكتّاب ومشروع الرام وفيه المئات من التلامذة وخاصة الكنيسة كاتدرائية اللاتين الكبرى التي دشنت سنة ١٩٣٧ .

ومن مشاهير الآباء الذين اقاموا في حلب مدراء او معلمين الاب غودنسيو بونفيلي ١٨٦١—١٨٧٤، حارس الأرض المقدسة ١٨٧٤—١٨٨٨، والقاصد الرسولي في سورية ١٨٨٩—١٨٩٦ ، والاب فيديلي اورسيني ١٨٧٦—١٨٨٢ ، ١٨٨٤— ١٨٨٩ ، والاب جاكومو بولي ١٩٠٥ — ١٩١٤ ، والاب البرتو غوري ١٩٢٣— ١٩٣٧ ، حارس الارض المقدسة ، ثم بطريرك اورشليم .

ومدرسة الآباء الفرنسيسكان في حلب انجبت نخبة من التلامذة خدموا في مصاف الاكليروس كاساقفة وكهنة، وفي الوظائف الحكومية ، وفي المهن الحرة ومنهم ناظم القدسي رئيس الجمهورية السورية ، وغبطة البطريرك مكسيموس الصائغ،ونيافة الكردينال اكاكيوس كوسا ، والاب نقلاوس اسود الفرنسيسكاني وفي سياق مقالنا سوف تترادف ذكراوات هذه المدرسة مع اخبار اللاتين.

اسقفية القديس نقلاوس الروم

٢٢) كان للروم في حلب مدارس يرقى عهدها الى تاريخ الكنائس كما قلنا سابقاً ، وذكر الآباء اليسوعيون فيما ذكروه عند قدومهم الى حلب في القرن السابع عشر تعليمهم ابناء الطائفة الذين سوف تتكون منهم النواة التي تنشأ منها طائفة الروم الكاثوليك ، وذكر كامل الغزي في تاريخه (٢ ص ٤٧٩) ان المطران يولس حاتم اسس مدرسة للاناث سنة ١٨٦٦ ، وكان الذكور من الطائفة يرتاد موسروهم مدرسة نعوم البخاش ومدرسة اللاتين، وذوو الحاجة منهم يتعلمون مبادئ القراءة في المدرسة الصغرى التي لا تزال مفتوحة للناشئة حتى يومنا في

حي الصليبية وليس بين يدينا اثر لاعلامها من اساتذة او تلامذة . ولم تتمتع الطائفة الملكية في حلب بمعهد للتعليم عامر متين الا بعد ان اقيم مطرانا عليها السيد كيرلس جحا.

٢٣) واليك حجة تأسيس ذلك المعهد منقوشة في لوحة محفوظة الى يومنا في صدر ايوانه :

« لبى دعوة الفضل والغيرة ذوو الآثار المأثورة الخواجات رزق الله وبطرس وجرجي أولاد المرحوم المقدسي نعمة الله حمصي ، فجعلوا هذه الدار وقفاً على مدرسة الطائفة الرومية الملكية الكاثوليكية بإستدرار غيث الرضوان والمرحمة على نفس أخيهم المرحوم ميخائيل نعمةالله حمصي، وتاريخ الوقف في عهد سيادة مؤسس المدرسة المتروبوليت كيريوس كيرلس جحا إكليل الشرف والجزيل الحرمة الدائب باذاعة العرفان والاداب بين خرافه بكل مسعى مشكور وعمل مبرور . في ٦ كانون الاول سنة ١٨٨٦ »

ولم تزل هذه الدار منذ تاريخ تلك الحجة الى يومنا عامرة مفتوحة للتعليم، واحدثت فيها بعض التغييرات في ناحيتها الشمالية واضيف اليها في الناحية الشرقية داراً فيها غرفة المدير وبهو الاستقبال .

المتروبوليت كيرلس جحا

هو سمعان ولد ١٨٤١ في حلب ابوه حنا جحا امه كاترينه بيطار . تعلم العربية والافرنسية والتركية على ايام مكسيموس مظلوم . سامه شماساً المطران ديمتريوس انطاكي ودعاه باسم بطرس فكان يساعد الاسقف في ترميم وتشييد الكنيسة الكاتدرائية بعد احتراقها في حوادث ١٨٥٠ . ورافق المطران بولس حاتم سنة ١٨٦٤ الى دير مار يوحنا الصابغ الخنشارة لانتخاب البطريرك غريغوريوس يوسف . وفي ١٨٦٥ سامه المطران بولس حاتم كاهناً وكان يعهد اليه بمراجعة الحكومة السنية في شؤون الطائفة فانعم عليه السلطان بالنيشان المجيدي الثالث ثم بالنيشان العثماني الثالث وتعرف الى كامل باشا . وفي ١٨٨٥ سيم مطراناً خلفاً لبولس حاتم المتوفى ، وسمي كيرلس .

في اواخر سنة ١٨٨٦ رافق البطريرك غريغوريوس يوسف الى رومة لتهنئة لاون ١٣ بيوبيله الفضي فقدم له هدية تاجاً مرصعاً باللؤلؤ من شغل حلب. وسافر من ثم الى فرنسة فنال نيشان جوقة الشرف واسعافاً مالياً سنوياً لمدرسته

الاسقفية في حلب . واشترى اواني موسيقية واوائل للتعليم وخرائط وابتاع مطبعة مع حروف افرنسية وعاد من فرنسة عن طريق استنبول وكان في مقام الصدارة كامل باشا صديقه فقدمه للسلطان ، فرصع صدره بالوسام العثماني من الطبقة الثانية . (راجع عبد المسيح انطاكي : مطلع اليامن ص٦٦)

٢٤) حول شخصية السيد كيرلس جحا قبل ارتقائه السدة البطريركية خلفاً للبطريرك بطرس الجريجيري (٢٨ حزيران ١٩٠٢) تحوم ذكراوات طيبة تمثل حياة الناشئة على ايامه في منتهى القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين. هذا الرجل الجليل الملقب « بالمجيد » استحق لقبه بما كان عليه من صنعة العظمة والمجد اذا ما سار منتصب القامة ولحيته البيضا. تزيده هيبة تحت القلنصوة واللاطية السوداء وصدره مرصع بالصليب والايقونة والنياشين . زار السلطان عبد الحميد في قصر يلدز فدخل عليه وهو لابس الثياب البيزنطية الفاخرة الملوكية فانذهل البادیشاه لمرآه وسأل ما الخبر؟ — فأجاب مترويوليت حلب: اني ارتديت الحلة التي اقف فيها عند المذبح للصلاة امام الله ! وانا اقف امام سلطاننا ممثل الله على الارض وادعو لكم ، وكان بمعيته الخوري بطرس سابا الذي سيسام نائباً اسقفياً على الاسكندرية تحت اسم مكاريوس ثم ينتقل الى ابرشية حلب .

٢٥) وكانت ايام اضطرابات ومذابح في ديار حلب وكان سكانها في خوف من الفتن فرأى السيد كيرلس جحا ان يستعطف السلطان على الرعية تسهيلاً للقيام بمهماته شأن غيره من رجال الاكليروس كما سترى فيرفع على نية البادیشاه الدعاء الرسمي في الكنيسة ويحضره ترجمان الوالي .

وان انس لا انسَ السكتة التي غمرتنا مرةً في الكنيسة نحن صفوف الاولاد لما التفت المطران كيرلس وهو تحت قنطرة الباب الملوكي عند الهيكل ورأى الخوري قسطنطين الحضري منتصباً في مقعد الكهنة ولم ينزل عنه وقت الدعاء فقال له : انزل عن الكرسي شأن غيرك من الكهنة .

فأجاب الخوري : عند قراءة الانجيل لا ننزل عن الكراسي فهل من اللازم النزول عنها لسماع الدعاء . وانحط الخوري عن كرسيه وخرج من الخوروس . ومن بعد ما عتم ان عاد وقبل يد سيادته .

٢٦) رويت الحادثة اشارة الى « الرسميات» التي كانت ترف اجنحتها في الجوّ الحلبي المسيحي .

ومن تلك الرسميات كان علينا ابنا. المدرسة الاسقفية حضور قداس الباراجيازمينا يوم الجمعة وصلوات المدائح في الصوم الكبير فضلاً عن الصلوات الطقسية والوعظ يوم الاحد . وكان سيادته يجلس عند عتبة الباب الملوكي في الايقونوستاز ويلي علينا تعاليمه وربما اقتبسها من مواعظ بوردالو فنسمع الوعظ ونفهم او لا نفهم والشعب حوالنا يشجعنا ونشجعه على الصبر الى النهاية .

وكان المطران كيرلس عظيماً اذا قام بسيامة الكهنة الجدد . فيأتونه شمامسة من عين تراز او من الصلاحية فيقيهم عنده في خدمة القلاية وفي المدرسة معلمين ومناظرين ولا يمن عليهم بوضع اليد الا بعد اختبارهم الشخصي . وربما اقام في خدمته شماس على مدى الاعوام متشوقاً الى الرسامة ولم ينلها لاعتبار المطران انه غير كفوء لخدمة المذبح .

٢٧) ما اشد ما كانت روعة المطران عند الرسامة اذا ما قال عند المناولة للكاهن الجديد : « خذ هذه الوديعة واحفظها فاني ساطالبك عنها ». فيتلمه القربان المقدس والشعب يسمع الكلمات ويحفظها ، واذكر ان الامهات كن يرددنها للبنين في البيوت فيرن صداها في القلوب وترمي فيها بذرة الدعوات الكهنوتية .

وتساعد على انما. تلك الدعوات الامثال الصالحة من جماعة الشمامسة ، وليس قليل عدد الاولاد الذين خرجوا من استقفية الروم في حلب ليتعلموا في اكليريكيات دير الشير او في دير عين تراز او في دير المخلص او في الصلاحية او في الاكليريكية الشرقية لليسوعيين او في اكليريكيات الغرب في رومة وغيرها .

٢٨) ولا انسى حفلة المناولة الاولى في ٦ كانون الاول في عيد القديس نقلاوس شفيع المدرسة. فيسير الاولاد الصغار مزينين بالشموع والريبان وتتقدمهم راية القديس ، وصفّ العازفين بالموسيقى ، ومن ثم القداس الصارخ ومديح القديس بعظة المطران .

وفي عيد القديس كيرلس شفيع المطران كنا نخرج من المدرسة بعباتنا

الرسمية : السترة والبنطلون باللون الازرق الكحلي والمخطط بالشريط المذهب وياقة السترة مغلقة على الزي الاستنبولي وعليها طرزت احرف C A G C ومعناها المدرسة الاسقفية للروم الكاثوليك . فندخل دار المطران ونبقى ساعة حول بركة الماء. ونشاهد ابناء الطائفة وحداناً وجماعات يمرون امامنا ويمكمون في قبضة يدهم التقدمة المالية التي يقبضونها سيادته عند مصافحتهم اياه فيقبلون يده ويقبلهم ويقبل تقدمتهم .

وكان لكل صف من صفوف المدرسة ممثل يدخل في دوره على المطران ويقرأ خطاب التهنئة والدعاء والمديح شعراً ونثراً .

وربما جاء شاعر او اديب والقى ما القاه على السامعين كالقس جرجس منش الماروني رأيناه يقرأ القصيدة ويمزقها كلما انهى بيتاً منها وفي الختام يقول لست ارى سواك اهلاً لها فلن يسمعها من بعدك سواك . وكان المطران كيرلس فطناً سريع البديهة فينادي به : كلا كلا لا تمزق هذا الاثر الكريم فهو منك اغلى من ان يتلف لساعته !

٢٩) وكان المطران كيرلس يحبها كرماً حنوناً فخوراً بمدرسته فاذا دنا وقت قراءة النقط وتوزيع النياشين والاولاد مجتمعون تحت القبة في الغرفة الكبرى العالية كانوا ينتظرون سيادته ويثرثرون ويوزوزون فتتصاعد الاصوات وتعلو .. وتغلي بهم القاعة غليان الماء في الطنجرة على النار . واذ بالمطران يرقى الدرجات المؤدية الى القاعة ويحمحم كانه ينزل حلقه شأنه كما كان يفعل في الوعظ. فتبلغ الحمحمة آذان الاولاد فيهدأون لساعتهم . ويدخل المطران وقد نزع عنه الكرتكية السوداء وظهر بالثوب الاحمر الارجواني كانه الكردينال يحيط به الخوارنة والكهنة والرهبان . . . واذ انتهت قراءة النقط يأخذ في الكلام على الدينونة حيث تبيض وجوه وتسود وجوه فالصالحون على اليمين والطالحون على الشمال ويعقب ذلك ضرب اسمائهم على لوحة الشرف او على لوحة العار . . . ومن ثم يوم « الفيدوس » للجميع .

٣٠) ذلك اليوم كان مشهوداً مرةً في السنة . قبل الفجر في ايار او نيسان يخرج الاولاد وفي مقدمتهم نوبة الموسيقى وما ان يصلوا الى بوابة الحل الا وتصدح الموسيقى على آلاتها المدنية فتدوي لها ازقة البلدة العجوز الحدباء .

وتظهر على الشبابيك اشباح من البشر استفاقت من النوم لا عن ذعر وخوف كما في قومة البلد ولكن عن فرح واستبشار وترافق موكب الطلاب الى بستان الجانكية حيث المطران صنع وليمة لهم وللكهنة وللاصدقاء وللفقراء.

هذه ايام لن تعود ولا يعود معها ما كنا نراه من ممرات ضيقة ووعثاء تعمي النظر في محلات الرام والسليمانية والحميدية وعين التل التي تحولت في يومنا الى مدينة عامرة مزفتة الشوارع متلاصقة المباني .

وتنتهي السنة المدرسية وتوزع الجوائز بعد الفحص .

٣١) وقد اعارنا حضرة الاب جبرائيل سمان مدير المدرسة حالا النشرة التي جاءت فيها نتيجة الامتحانات في السنة ١٨٨٨ وقد طبعت في المطبعة المارونية وفيها لائحة الجوائز التي استحقها «صاحب القدم في مسالك الادب والتعاليم الدينية والمثابرة». واليك الشيء منها . لذيذة قراءته على سذاجته فيحيي ذكرى ايام لم يكن فيها التعليم سوى الابتدائي ويغتبط به المعلمون والمتعلمون والاهلون فينال : ثابت ثابت والياس شاشاتي الجائزة على الاعراب والاملاء بالعربية والافرنسية؛ وبهجت اجقباش الجائزة على الاجتهاد العربي والترجمة الافرنسية؛ ورزق الله وكيل الجائزة على الاعراب العربي والخط الافرنسي ؛ وقسطاكي بردخجي الجائزة على اللغة العثمانية ؛ ورزق الله خوام الجائزة على البصلتيكا .

وممن يمتازون بتحصيل الجوائز على مختلف المواد التعليمية الياس شرقي (صاحب الصوت الجميل) باسيل وجرجي جهامي امين زلط كامل كبابه ميشيل صقال بشير توتل زكي غزال رشيد كلداني يورغاكي جرمق صديق قنـدلفت ميخائيل اليان وغيرهم وغيرهم .

٣٢) وتصل اخبار المدرسة الى بيروت فتردد صداها جريدة لسان الحال (١٠٨٥) تتقول سنة ١٨٨٨ «٢٣ تموز امتحان الطلبة في المدرسة الاسقفية للروم الكاثوليك على خمسة ايام . في ٢٧ تموز توزيع الجوائز بحضور الوالي اشقودرلي زاده حسن وامير لواء العساكر الشاهانية محمد علي باشا وأمير لواء الرديف عارفي باشا ومكتوبي الولاية برتو بك وترجمانها فتح الله خياط . والقى خطاباً معلم العربية ايوب عون ومعلم الافرنسية زين زين ومعلم التركية حجي اكوب . وكانت تتخلل الخطب وتوزيع الجوائز الحان الموسيقى البلدية » .

٣٣) وفي السنة ١٨٩٢ ارسلت الجوائز من فرنسة قبل ختام السنة المدرسية وكان ولا بد من اقامتها في دائرة المراقبة العثمانية ريثما يتيسر لعمال الدولة العلية الاطلاع عليها . وكانت المراقبة شديدة في نشر المطبوعات فتحذف منها كل عبارة جديدة في ان تيقظ في البلاد العربية حتى المطالبة بالاستقلال . او تحجز على الكتب والصحف . فاجلت ادارة المدرسة توزيع الجوائز الى التشارين بعد ان حصلت على الكتب . وحضر الحفلة صهر الوالي وابنه وقنصل فرنسة ونائب قنصل انكلترة والمطارين ومنهم السيد جرمانوس الشمالي الماروني وكان يطيب له نظم الشعر في مثل تلك الاجتماعات فدح مؤسس المدرسة وقال:

« على كيرلس المفضال تثني جميع الالسن من قاص ودان
لقد احيا المدارس من دروس وفضلها على الدرر الحسان
فكم عانى من الاتعاب فيها بتجديد البناء وكم يعاني »

(نظم اللآلي ص١٥٣)

وعلى سبيل الاطراء مدح السلطان ولفت انظار اولياء الامر الى واجب تقريب موارد التعليم من الناشئة فقال :

« غروس ضمن بستان تؤدي ثمار الجد من احلى المجاني
وما الساقي وما الواقي دواماً سوى سلطاننا فرد الزمان
فمن عبد الحميد العدل يحمي عقاب الجو من غير امتنان
بوارف ظله الممدود بتنا على امن وبلّغنا الاماني
له حكم الخليفة . . .
اعز الله دولته بنصر على الاعداء في يوم الطعان
وراعى مجد والينا . . .
وابقاه على الشهباء نوراً . . .
به تزهو مدارسها وتبقي له ذكراً حميداً غير فان »

٣٤) وبعد المطران قام مدير المعارف وتلا الدعاء للسلطان ووقف الجمهور اكراماً الا قنصل فرنسة وتنشليارها وذلك احتجاجاً على ما اظهرته الحكومة السنية من التصعبات في ادخال الكتب الافرنسية في المدارس وذلك مما الجأ

الى تأخير توزيع الجوائز الى شهر تشرين . فاكفهر الجو ورفعت الجلسة ولم تكتمل الحفلة برونقها .

وجاء في سجل الآباء اليسوعيين في حلب في ١٨ كانون الاول : لم تذهب حادثة توزيع الجوائز عند الروم من دون ان يلحقها ذيل . فتوترت العلاقات بين القنصل الافرنسي وبين الباشا . وتدخل المطران كيرلس في الامر وسعى في ازالة سوء التفاهم بين الطرفين على ما عرف به من حسن السياسة وسأل رئيس الآباء اليسوعيين التوسط في هذا السبيل وانحلت الازمة ودخلت في خبر كان.

٣٥) وفي هذه السنة وقع الخلاف بين اصحاب معامل الحياكة او النوال وبين عمالهم . فاضربوا عن العمل وتوترت الأمور بتدخل بعض البروتستانت . وبلغ امرها القاصد الرسولي فارسل الى المطران كيرلس جعا كتاباً شديد اللهجة لكونه ترك ٣٥ عائلة من طائفته ينحازون الى المذهب البروتستنتي . واستشار المطران الآباء اليسوعيين في حل الازمة وزال الخلاف بين اصحاب المعامل وعمالهم .

٣٦) في السنة ١٨٩٥ في مدرسة الروم كان عدد التلامذة ١٤٤ والمعلمين ٩ من حفظت صورتهم في لوحة طبعناها واليك اياها مع اسماء الذين لم تمح اسماؤهم من ذاكرتنا اذا تمنا في النظر اليهم . (اطلب الصورة ص٠٠٠) وقد يمثلون نخبة العائلات المسيحية في حلب وبعضهم سوف ينال شهرة في عالم الدين والسياسة في حلب او في المهجر واكثريتهم الساحقة انتقلوا الى رحمة الله ولم يبق منهم في قيد هذه الحياة الا من يعد على الاصابع فاقرأ اسماءهم اخذاً من اليمين الى الشمال بدءاً بالسطر الاعلى فدونه الى الاسفل باعتبار عدد الاسطر التسعة . وقد دللنا على من لم نوفق الى تسميته بعلامة (X) بين هلالين:

٣٧) ١ — سليم عبجي ، بشير خياط ، (x) ، (x) ، مكسيم تاجر ، جورج عبجي ، (x) ، (x) ، امين سابا ، استنبولية ، جامي ، جورج بهنا — راية المدرسة — ادوار شعراوي ، (x) ، انطوان فارس ، ميخائيل صايغ ، يرغاكي وكيل ، ادوار بردخجي ، نقولا سمان ، شكري شعراوي ، اسكندر عبجي ، فرنسيس مكربنه ، فرديناند توتل .

٢ — نقاش ، اسكندر صايغ (x) ، جوزف كيودركيان ، (x) ، قسطاكي

سمان ، جون خوري ، يوركي عرقتنجي ، عبدالله وكيل ، جوزف تاجر ، نقولا باسيل ، (×) ، نقولا سابا ، سابا ، (×) ، (×) ، (×) ، جليل وكيل ، جوستان شعراوي ، (×) ، ازيدور فتال ، روفائيل هندية ، (ازرق) ، كارلس توتل ، بتراكي خوري ، هوميروس توتل .

٣ — (×) ، شار ، شعراوي ، (×) ، قس نصرالله ، كلمان حكيم ، كريم قس نصرالله ، (×) ، نعوم سالم ، صبحي سالم ، ليون باسيل ، (×) ، (×) ، نعوم عبجي ، (×) ، (×) ، وكيل ، (×) ، (×)، (×) ، جون خوري ، (×) ، (×) .

٤ — رزق الله عبجي ، منير سالم ، وديع قسطون ، (×) ، (×) ، زلعوم ، نعوم عقاد ، جوزف عقاد ، فؤاد سالم ، امين عبجي ، عبدالله مكربنه ، نعوم تاجر ، (×) (خياط) تيودور مكربنه ، قسطاكي سابا ، اسكندر بردخجي ، (×) جوزف توتل ، (×) ، بتراكي مكربنه .

٥ — نقولا مراش ، ريشارد توتل ، (×) ، (×) ، (×) ، نجيب سالم ، كريم وكيل ، (×) ، فتح الله بردخجي ، اسكندر سالم ، بيار حمصي ، نقولاكي حاتم ، (×) ، (×) ، حاجي اوغلي ، (×) ، (×) ، (×) ، (×) .

٦ — (×) ، (×) ، (عبجي) (×) ، خياط (×) سامي نحاس ، فتح الله قسطون ، (×) ، كامل تنتجي ، (×) ، اميدو سالم ، (×) ، (×) ، الياس شاشاتي ، حكيم ، امين بهنا ، (×).

٧ — القواس شكري ، عبجي ، الياس بهنا ، خياط — هزاز ، نحاس ، صايغ .

٨ — المعلون جورج مخلوطه ، (×) ، الخوجه معلم التركي ، الذيداسكاله معلم اليوناني ، الشماس اثناسيوس كبابه ، القس اغناطيوس رباط ، الخوري باسيل شماع ، الخوري ميخائيل شحود ، القس ملاتيوس عطاره ، الشماس مكاريوس سابا ، المسيو اندره بوس ، المسيو جان جحا ، الشماس رزق الله خوام.

٩ — (×) هنري هندية ، جوزف كبابه ، ليون عبجي ، ادوار توتل ، سابا ، نديم توتل ، نصري كبابه (×) صبحي مكربنه ، جوزف مكربنه.

٣٨) مسيو اندره (اطلب رسمه في الصف ٨ من الصورة) . في السنة

١٨٩٥ قدم الى حلب رجل اسمه اندره بوس وكان في العقد الثالث من عمره كان من الاخوة المدارس المسيحية ثم تركهم وعرض خدماته على السيد كيرلس جحا . فرحب بـه المطران واضافه في مدرسته وعهد اليه بالمناظرة العمومية وبتعليم الصف الاول الافرنسي مع الحساب والجغرافية .

وكانت المدرسة بالحاجة القصوى الى معلم مقتدر باللغة الافرنسية وكان قد تولى فيها تعليم هذه اللغة الاب كورنتو الافرنسي ولست ادري لاي سبب رُبط عن إقامة الذبيحة الالهية والجئ الى الاستقالة . فجاء مسير اندره وكان كريم الاخلاق محباً للتعليم وللتلامذة فاحبوه . وكانت تأتي ايام العطلة وتفرغ المدرسة من التلامذة خارجية أو داخلية ومسيو اندره وحده لا رفيق له ولا سمير الا كتب المطالعة واعز التلاميذ اليه كان من يأتيه بالروايات واخبار الحروب والمقاحمات فيقرؤها ويدرّب الاولاد على المطالعة .

٣٩) وحدث ان القنصل الافرنسي پونيون ذلك المستشرق الاثري الذي اكتشف الكتابات الفينيقية وهو يمر في حي الصلبية في حلب على احجار ينحتها النحاتون دخل على المطران كيرلس فجأة وسأل الاطلاع على حالة الدروس في المدرسة فاستدعى المطران للحال نجباء التلامذة ومنهم ادوار شعراوي فسأله القنصل بالافرنسية عن نابوليون وحروبه . وسر لاجوبته وضحك المطران اغتباطاً لانه كان في تلك الايام يسعى لاستمداد المعونة من فرنسة في سبيل احضار الاخوة المارباتيت للتعليم في مدرسته بحلب .

وكان للسيد اندره الفضل في تدريب الناشئة على الكلام بالافرنسية فدرجت على السن الاولاد وفرح الاهلون بذلك وكان السيد كيرلس جحا يقدر اتعاب مسيو اندره ويمدحه ويشجعه ويقول له : « لقد عمّرت مدرستي » .

وانتقل مسيو اندره الى رحمته تعالى في مستشفى سان لويس حوالي السنة ١٩٠٥ مصاباً بمرض بالكبد .

٤٠) بفضل حضرة الاخ كبريال رئيس معهد السيدة في حي فرن الشباك (بيروت) حصلت على التعليقات التالية عن السيد اندره بوس اخذاً عن سجلات جمية الاخوة المسيحية المحفوظة في مصر ، ادرجها معربة عن الافرنسية حفظاً لذكر معلم من كان من امثاله نادراً في حلب في ذلك العهد :

. اندره بوس André Bous اسمه بالرهبانية الاخ جول دنيس ابن غوستاف بوس وكاترين لومتر، ولد في لوكسنبرغ (المدينة) في ٢٢ ك٢ ١٨٦٥، دخل جمعية اخوة المدارس المسيحية في رملة (الاسكندرية) مبتدئاً من ١٦ ت ٢ ١٨٨١ الى ١٩ اذار ١٨٨٣ . اقام في معهد الفرنفش في القاهرة من ٣٠ نيسان ١٧٨٣ ، ثم سافر الى اللاذقية في تموز ١٨٩٠ . علم الصف الرابع والثالث والثاني من المدرسة المجانية . نذر نذوره الرهبانية السنوية عام ١٨٨٤ و١٨٨٥ و١٨٨٦ و١٨٨٧ ونذوره على الثلاث سنوات عام ١٨٨٨ .

« الاخوة يحضرون غداً »

٤١) اما الحدث الخطير الذي جرى على ايام المطران كيرلس جحا في حياة المدرسة فكان قدوم الاخوة المارينايت الذين اشرنا اليهم سابقاً .

في اوكتوبر ١٨٩٩ دعي التلامذة الى القاعة الكبرى وحضر سيادة المطران كيرلس وقرأ على مسامعهم كلمات البرقية التي ارسلها من الاسكندرونة الى دار الاسقفية في حلب السيد يوسف شعراوي جاء فيها :

Frères arriveront demain « الاخوة يحضرون غداً ».

وفي اليوم التالي عند غروب الشمس حضر بريد الاسكندرون ومعه الاخوة الثلاثة ميرك Merck ، شازو Chazot ، وغابالدا Gabalda . ولكثرة اشتياق المدرسة اليهم لم يفسح لهم المجال في الانعزال والراحة بعد سفر العربات المضنك بين الاسكندرون وحلب . فدخلوا دار المطران والموسيقى تعزف . وجلسوا وعليهم وعثاء الطريق ، وسمعوا خطاب الترحيب قرأه التلميذ ادوار شعراوي ودُعوا الى تناول العشاء، واخيراً استقر لهم الامر في ليلة هدوء ونوم بالمدرسة .

٤٢) وما مضى اليومان الا ودعينا اولاد المدرسة الى المسابقة بالاملاء . وجرى بعد ذلك بيوم توزيع التلامذة على الصفوف . فكان لمسيو مرك رئيس الاخوة الصف الاول ، ولمسيو اندره المذكور سابقاً الصف الثاني ، ولمسيو شازو الصف الثالث ، ولمسيو غابالدا الصف الرابع ، وتوزع سائر التلامذة على الصفوف الصغار ممن لم يعرفوا شيئاً من اللغة الافرنسية وكان الفضل لتعليمهم القراءة العربية للسيد جورج مخلوطه (اطلب رسمه في الصف ٨ من الصورة) صاحب الخط الجميل ، كانوا يأتونه ببيت الشعر رثاءاً لميت فيكتبه بالخط الثلث الضخم على ورق يلصق على التابوت . وعلى عيد مار جرجس كانت الموسيقى المدرسية

تذهب الى حي الشرعسوس ويقودها المعلم رزق‌الله خوّام «البارع» (راجع صورته ٨) حيث كنيسة القديس جرجس. وهناك بيت المعلم جورج مخلوطه فتدخله الموسيقى عن امر المطران وتعزف ابتهاجاً بعد ان يكون في الكنيسة الشماس مكاريوس ساباً كاتم اسرار سيادته قد القى خطاباً من باكورات عظاته قبيل ان يرقى درجات الكهنوت مع رفيقه خريج اكليريكية عين تراز، ووكيل المالية في المدرسة الشماس اثناسيوس كبابه.

٤٣) ولم تطل اقامة الاخوة المريانيت في حلب وتركوا المدرسة وعادوا الى فرنسة بعد اربع سنوات من التعليم. وعلى قصر مدة اقامتهم وسعيهم انجبوا تلامذة ممتازين في عالم الدنيا والدين منهم جوستان شعراوي محافظ زحلة (١٩٢٤) وجوردان عبجي التاجر المعتبر، وايزيدور فتال متروبوليت حلب († ١٩٦١)، ونقولا سابا (الخوري بطرس)، واسكندر عبجي (الاكسرخوس هيلاريون) وغيرهم وغيرهم.

٤٤) على ان المرموق بين تلامذة مدرسة القديس نقلاوس في ذلك العهد كان نجيب رباط (الخوري جبرائيل) ابتدأ دروسه في مدرسة اليسوعيين في حلب فوصفوه في سجلاتهم «بالعجيب» enfant prodige ورغب بالدخول في الرهبانية اليسوعية، فنقله المطران كيرلس جحا الى مدرسته وكان من حسن حظ نجيب انه دخلها على ايام الاخوة الماريانيت فما عتم ان سار في طليعة الصف. وكان يقرأ على التلامذة في الغذا. فيتمرن على الالقا. ويتأهب في الصلاحية لان يكون من مشاهير وعاظ زمانه يوم يعتلي المنابر في حلب وفي مصر. فيختاره المجمع العلمي العربي الدمشقي عضوا له. ويوم يخلو كرسي حلب الاسقفي بارتفاع صاحبه المطران ديمتريوس القاضي الى السدة البطريركية سوف ينادون بالخوري جبرائيل رباط خلفاً له على كرسي حلب. وكان اذ ذاك مدير اسقفية القديس نقلاوس ومرشد الشبيبة الكاثوليكية. وخشي ان تنقسم كلمة الطائفة على التصويت في انتخاب المطران الجديد فتنحى عن الوظيفة ودعا بالمصوتين له الى ان ينتخبوا المطران مكاريوس سابا النائب البطريركي في الاسكندرية. وكذا جرى. ولم ينفك الخوري جبرائيل عن التفاني في الاعمال الرسولية. ومات في صرح الشباب سنة ١٩٣٥.

٤٥) وفي ٢٨ حزيران ١٩٠٢ انتخب السيد كيرلس جحا في دير صربا (جونيه) بطريركاً خلفاً للبطريرك بطرس الجريجيري فرحل عن حلب ولعل رحيله عنها كان سبباً لخروج الاخوة المارياتيت منها وعودتهم الى فرنسا التي اتوا منها عن طلب المطران كيرلس جحا .

٤٦) ان فتح خطوط الطيران بين الشرق والغرب عن طريق بيروت ، ادى لاحد الآباء الماريست الفرصة للحط في جامعة القديس يوسف وهو في سفره الى اليابان ، وبواسطته اتصلنا بانسيد غابالدا احد الاخوة الذين علمونا في المدرسة الاسقفية سنة ١٩٠١ وهو الآن في طوكيو ، وراسلناه طالبين اليه الفوائد التالية لننظمها في سلك هذه الاخبار لما فيها من الذكراوات الطيبة لتلامذة المدرسة الاقدمين، فضلاً عن قيمتها لتاريخ الارساليات المسيحية. وفي ٢٦ كانون٢ ١٩٥٩، ارسل الينا السيد غابالدا الكتاب التالي نعرّبه بحرفه عن الافرنسية .

٤٧) «حال وصول كتابك اليَّ اخذت بالجواب عليه عسى ان يأتيك بالمرغوب . تسألني التعليمات عن الأخوة رفاقي سابقاً في التعليم في معهد القديس نيقلاوس . انما لوجيزة بطبيعة الحال..

لقد اخذتَ بالتأليف عن حلب باللغة العربية . يا ليتني اعرف هذه اللغة لاقتنع بما تكتبه عن هذه المدينة وعن سكانها ، فاني احفظ لهم مـا يحفظه الانسان عن ايام الشباب غضاً ذكياً . لاني ابتدأت في حلب حياتي بتعليم الناشئة في سلك الحياة الرهبانية . كان بين يدي عدة وثائق عن تلك الايام فاقتنع بمطالعتها من حين الى آخر وانا في اليابان . ولكن حدث ما حدث في زلزال ١٩٢٣ واضرم النيران التي التهمت اوراقي ومنها الوثائق عن حلب .

٤٨) كانت المراسلات متواصلة بيني وبين الاب بوناونتورا رباط الذي كان مقيماً عند الاباء الترابستيين في شيقلة اكبس وكان آله من معارفنـا في حلب ولكن منذ حرب ١٩١٤ فقدت اثرهم. وكنت اراسل عدة من تلامذتنا القدماء. ومنهم شارل عبجي . آخر ما وصلني من تحاريره كان مؤرخاً سنة ١٩١٩ من بلاد اسوج ثم فقدت اثره . واضعت لائحة تلامذتي القدماء. كما قلت لكني لم انس اسماء الاكثرين منهم وكأني اتصورهم الآن امامي . وكنت اتوق الى ان احط في حلب في احدى الرحلتين اللتين قمت بهما الى فرنسة فاعود وارى الاشياء والاشخاص ولكن هيهات ان يكون بقي هناك ما ارغب بقاءه بعد ما حدث من الانقلابات السياسية وغيرها .

اما الآن وقد دخل كل ذلك بخبر كان فلست اتوق الا الى اللقاء في دار

البقاء، وما عليَّ الا الثبات في الصلاة التي تجمعنا اجمعين .

٤٩) الا اوافيك ببعض الاخبار عن اليابان ؟ الا احدثك عن معاهدنا الستة المزدهرة ومعدل تلامذتها في كل معهد نحو ١٢٠٠ ، ان اكثريتهم من الوثنيين ولكن ما بينهم ما يقارب الخمسين من يتعمدون سنوياً . بعد الحرب تهافت القوم على اعتناق المسيحية ثم تقاعدوا عنها مع رجوع الحياة الى الرفاهية . وليس من ضرر في ذلك طالما الحرارة متقدة في قلوب الذين تعمدوا حديثاً فتعوض عن كثرة المهتدين بقلتهم الممتازة بحرارتها . وقد تنشأ الدعوات الى الحياة الرهبانية بين تلامذتنا ولا سيما بين المسيحيين الاقدمين سكان الجنوب. وان من الوطنيين اليابان مئة واكثر من دخلوا الرهبانية المريمية ويسمون فيها سعيهم المشكور . وقد يتقلص في البلاد ظل الرهبان الأجانب عنها . فرؤساؤنا اجمعون وطنيون : الاقليمي ، والمفتش ، والمدراء . ونحن بالف خير والبنايات في المدارس تتتابع ، وصيتها من احسن ما يكون .

فالشكر لله وللعذراء مريم دائماً ... اما انتم فآزرونا بصلواتكم المقبولة لتثبت قدمنا في طريق الرب .

رفيقكم بالحياة الرهبانية بيسوع ومريم
رينه غابالدا من الاخوة المريميين الصغار
René Gavalda s. m.

— اليك موجز ترجمة الاخوة المارياتيت الاربعة الذين عملوا في حلب :

٥٠) ميرك ارنست Merck Ernest ولد في الزاس ١٨٥٩ ، دخل جمعية مريم ١٨٨٨ . حاز على شهادة مدرسة المعلمين في ريس اورانجيس ١٨٨٢ ، علّم في عدة معاهد لجمعية مريم في موناكو وفي باريس (معهد ستانيسلاس) ، وفي ليل Lille ، ارسل الى حلب للتعليم في مدرسة القديس نيقلاوس في ١٨٩٩ ، عاد الى فرنسة في ١٩٠٣ فأخذ يعلم في مدرسة رعية فوماي Fumay ثم صار مديراً لها من ١٩٠٨ الى ١٩٣٥ . ثم تحول الى دار العجز لجمعية مريم في ١٩٣٥ حيث توفي في ١٥ ايلول ١٩٣٧

— لاون شازو Léon Chazot ، ولد بقرب يفور في فرنسة في ١٨٨٠ ؛ حاز على شهادة مدرسة المعلمين في ريس اورانجيس في ١٨٩٨ ثم علم في غرانفيلار بالقرب من يفور من ١٨٩٨ الى ١٨٩٩ ثم في مدرسة القديس نيقلاوس في حلب من ١٨٩٩ الى ١٩٠٢ ، ثم عاد الى فرنسة وتقدم للفحص لدخول مدرسة سان مكسان العسكرية .

– ليندر Linder انطوان ولد في الزاس ١٨٨٣ ، حاز على شهادة مدرسة المعلمين في ريس اورانجيس ١٩٠٢ ، علّم في حلب ١٩٠٢ الى ١٩٠٣ ، عاد الى فرنسة ومنها ذهب الى بلاد النمسا حيث يقيم الى يومنا في دار الابتداء وقد احتفل بيوبيله الرهباني سنة ١٩٥٢

– غابالدا رينه René Gavalda ولد في فنسن Vincennes فرنسة. دخل جمعية مريم ١٨٩٧ ، حاز شهادة مدرسة المعلمين في ١٨٩٩ ، علّم في حلب من ١٨٩٩ الى ١٩٠٣ ، ثم في مدرسة نجمة الصبح طوكيو (اليابان) من ١٩٠٤ الى ١٩٥٩ وكان في غضونها معلماً في مدرسة النبلاء ١٩٠٦ – ١٩٣٩ ، وفي المدرسة الحربية العليا ١٩٠٨ – ١٩١٣ ، وفي مدرسة الضباط ١٩١٤ – ١٩١٨ . وكان ممثلاً لاقليم جمعية مريم الياباني في المجمع الرهباني العام في رومة ١٩٥١ وهو الآن استاذ في معهد نجمة الصبح . وهو يستعد الى رحلته عن قريب ليلاقي امرئه في السماء وسيترك مع الدنيا واباطيلها ما حاز عليه من اوسمة والقاب وغير ذلك كضابط في الاكاديمية وفي المعارف وفارس الشمس الطالعة والكنز المقدس . . .

من الماريانيت الى الماريست

٥١) ان رحيل الاخوة (السادة) الماريانيت وتركهم مدرسة القديس نقلاوس كان خسارة على الناشئة الحلبية . فجاء المطران واغسطينوس صائغ الارمني الكاثوليكي ودعا الى التعليم في مدرسته الرهبان من جمعية الماريست وهؤلاء هم فرع من الدوحة المريمية الكبرى التي غرستها ايدي الطوباويّين غليوم جوزف شاميناد (١٧٦١–١٨٥٠) ومارسلان شامبانيا (١٧٨٩–١٨٤٠) وغايتها تعليم الناشئة. وفي ١٩١٩ دعا المطران مكاريوس سابا اخوةً من جمعية الماريست ايضاً للتعليم في مدرسة القديس نقلاوس الروم . ومما عتم ان استقل الرهبان الماريست عن الارمن وعن الروم وفتحوا مدرستهم في بناية جميلة عمروها في ما وراء الخط الحديدي ثم باعوها مشروع جورج سالم وانتقلوا الى الغرب حيث مدرسة شامبانيا الحالية الزاهرة وسترى اخبار تلك الايام مفصلةً مع الازمنة .

الأعلام والحوادث والايام

٥٢) ١٨٦٣ في ٩ تموز الخميس توفي المطران ديمتريوس انطاكي وخلفه المطران بولس حاتم — وفي هذه السنة وصل زيت البترول الى حلب واخذوا يستعملونه في القناديل (غزي ٣٩١/٣) — وفي هذه السنة كان عدد الافرنسيين المقيمين في ولاية حلب ٩٤ منهم ٤٤ عمرهم فوق ١٥ سنة و٢٠ نساء عمرهن يفوق

١٥ سنة و١٤ ذكور عمرهم دون ١٥ واناث ١٦ عمرهن دون ١٥ سنة .
(عن وثائق القنصلية)

٥٣) ١٨٦٧ في ٢١ ايلول حدثت تغيّرات في ادارة السلطنة العثمانية ، فابـدل الحكم الباشوي بحكم الولاة وسميت الايالات ولايات — فتح الطريق بين حلب والاسكندرون — صدرت جريدة الفرات الاسبوعية بالعربية والتركية اسما حالت بك مكتوبي الولاية (غزي ٣: ٢٩٣...) وانشئت محلة العزيزية واخذ المسيحيون يبنون البيوت عند جبل النهر .

٥٤) ١٨٦٩ — ٥ شباط — نسخ الشماس الاناغنوسطوس جرجس انطونيوس دلال الحلبي السرياني الكاثوليكي تلميذ الشرفة كتاب «الايضاحات المنطقية في شرح الاصول المنطقية». (شباط ١٠٩٤)
— جرجس ولد يوسف اوقف مسقفات للروم الكاثوليك. (غزي ٢: ٦٠١)
— تجددت كنيسة الارمن الارثوذكس. (غزي ٢: ٤٧٦)
— انتشر مرض «ابو الركب». واقامت الحكومة الحجر الصحي على حدود الولاية مما يلي الموصل لظهور الهيضة فيها .

٥٥) — جاء الشيخ وفاء ابن الشيخ بهاء الدين الرفاعي من استنبول ومعه شعرة النبي محمد اعطته اياها امرأة من اكابر نساء العاصمة، فتلقاه الناس بالتكريم ووضعت الشعرة في زاوية الشيخ تراب .

«وليلة المولد في ربيع فانها تبرز للجميع
يرفعها على يديه الحافظ واعين الناس لها تلاحظ»

(راجع منظومة الشيخ وفاء : الشعر ٦٦٦و٦٦٧)

٥٦) ١٨٧١ — ٢٩ آذار — تصاعدت اسعار الحنطة بحلب . سعر الشنبل ١٨٠ غرش بينما كان ٧٥ . اخذ بعض المسيحيين يجمعون الدراهم برسم الفقراء. فجمعوا نحو ١٠٠٠ ليرة. ولم يزالوا مهتمين بمشترى الدقيق وتوزيعه على المحتاجين. جازاهم الله خيراً. (الجوائب عدد ٥١٥)
— وفيها مريم بنت نصري ديكري اوقفت مسقفات للروم الكاثوليك وهيلانة بنت الوكيل للروم وتريزيا بنت جرجس عواد للموارنة. (غزي ٢: ٦٠١)

— وفيها ولد بحلب جرجي الكندرجي الشاعر وتوفي في فرنسة ١٩١٨ في اركاشون . (حمصي: ادباء حلب ص٨٩)

١٨٧٢ — ٣٠ نيسان — في الساعة واحدة ونصف عربية صباحا من هذا اليوم الاربعاء حدثت زلزلة شديدة دامت نحو ٢٦ ثانية تدوي وترفس ، اضرت بنحو ١٢ شخصاً توفي منهم اربعة اولاد صغار وابنة صغيرة وامرأتان ورجل . واكثر الاهالي خرجوا من المدينة وباتوا تحت الخيم. (ب ٨٦)

وحدثت الزلزلة ايضاً في ٢٨ نيسان في حلب ولم تحدث ضرراً . امـا في انطاكية فكانت الاضرار جسيمة من جراء هزات لهذا الشهر. (ب٨٩)

٥٧) ١٨٧٢ — ١١ ك١ — روت جريدة الجوائب ان احد اللصوص اسمه كجمل التقى خارج البلدة برجل ففتشه فوجد معه بعض الليرات فاراد اخذها فاقسم له الرجل انها نفقة عرسه وهو قادم على الزواج فتركها له اللص واعطاه نظيرها من جيبه .

٥٨) ١٨٧٣ — ١٠ ك١ — حضر من بيروت الى حلب الابوان اليسوعيان كنوتي وكوش لفتح دير اليسوعيين فاضافها الاب اوتيمير الكبوشي في ديره في خان الميسر — (والى يومنا توجد في هذا المكان بقايا كنيسه الكبوشيين من اوان وصور . ومفتاحها محفوظ في بيت بوخه) .

٥٩) ١٨٧٤ — توفي المطران اثناسيوس تتنجي رئيس اكليريكية عين تراز سابقاً ودفن بالقرب من الهيكل في كنيسة الروم . الَّف مقالة « في ازالة الشقاق على قضية الانشقاق » (سباط ٤٦٧) وله مجموعة مواعظ محفوظة في مكتبة الآباء البيض في الصلاحية في القدس . (راجع المشرق ١٠/ ٤٠٧)

— وفيهـا توفي فرنسيس مراش ، ولد في حلب ١٨٣٥ وقضى شطراً من حياته في فرنسة ،له مؤلفات ادبية منها « شهادة الطبيعة في وجود الله والطبيعة » .

— وفيها استأجر الآباء اليسوعيون بيت الحموي (٣ آلاف غرش سنوياً) في حي الالجي واتخذوها ديراً لهم . وكان الاب كوش مؤلف القـاموس العربي الافرنسي رئيساً . فحول غرفة الدار الكبرى الى كنيسة . وفي اذار تكامل عدد الرهبان في الدير بقدوم الاب درنا فرنيه(مؤلف القراماطيق العربي الافرنسي) والاخ مياج .

٦٠) وفي ٥ نيسان اعلن الآباء اليسوعيون ان الوعظ يصير في كنيستهم يوم الاحد بعد الظهر ويوم الاربعاء ويوم الجمعة . وفي ايار صارت تقام صلوات الشهر المريمي، وفي حزيران القيت المواعظ على ثمانية ايام استعداداً لعيد الجسد. وازدحم الرجال لسماع الوعظ وكانوا يفضلونه في ركاكته على المواعظ الرنانة الغير مفهومة من العامة. واحتج سكان حي الالجي لدى الوالي وقالوا ليكن حي الصليبة للمسيحيين ويتركوا لنا حيّنا وقد جاؤنا « ببدعة جديدة » . وذهب احتجاجهم سدى.

٦١) ١٨٧٥ — ٢٠ تموز — ظهر الهواء الاصفر للمرة الخامسة في هذا القرن . الكنائس تغص بالمؤمنين عند كراسي الاعتراف . الكهنة يحملون الاسعافات الروحية والمادية الى بيوت المرضى والفقراء . عدد الوفيات يتراوح عند المسيحيين بين ٥ و١٢ يوماً وعند المسلمين بين ٢٠٠ و٣٠٠ .

— ١٥ ت١ -- عيد مار اسيا الحكيم . الاب غرنيه اليسوعي يقيم ذبيحة القداس في كنيسة حي العنكبوت للسريان .

— ١٧ ت١ — سافر الاب اوتيمير الكبوشي الى اوروبا لجمع الحسنات لترميم كنيسة انطاكية التي خربتها الزلازل من ٤ سنوات .

وفي هذه السنة كانت وفاة المعلم نعوم البخاش صاحب « اليومية» التي نشرناها في مجلة المشرق وعلى حدة (١٩٣٧ و ١٩٦١) — وفيها انشأ السيد اغناطيوس جرجس شلحت كتاب طقس عيد مار اغناطيوس النوراني وحتم ان يعيّد في ٢٠ كانون الاول . (مخطوطات الشرفة ١١٨) وفيها صونيا بنت جرجس ادلبي اوقفت مسقفات لفقراء الروم الكاثوليك. (غزي ٣: ٢٠٢)

٦٢) ١٨٧٦ — قدم الى حلب الاب مونو رئيس اقليم ليون اليسوعي والاب نورمان رئيس الرسالة اليسوعية، والاب روز الرئيس على دير حلب وسمي باسم القديس اغناطيوس .

— ١ ك٢—اقيم القداس القنصلي في كنيسة الآباء الفرنسيسكان فحضرته الجالية الافرنسية .

— ٢٦ ايار — فتحت راهبات قلب يسوع مدرسة للبنات وكانت الرئيسة الاخت انياس ومعيتها الاخت بريجيتا .

— ٦ تموز — سافر عسكر الرديف حوالي الالف الى الاسكندرون حيث

يركبون البحر. وخاف الحلبيون فوضى الحكومة لان الوالي سافر معزولاً وعزل الدفتردار ايضاً.

— ١٩ تموز — عن بادرة من السيد اميرات Emerat وكيل قنصل فرنسة جمعت الحسنات بين المسيحيين لمساعدة عائلات العساكر الذين سافروا للحرب. اعلن السرب والجبل الاسود الحرب على تركية من عشرين يوماً ونشب القتال والحقائق غامضة لان التلغرافات متناقضة والاتراك لا يعلنون الا انتصاراتهم.

— اهدت الحكومة الافرنسية الوسام الذهبي للآباء اليسوعيين والفرنسيسكان واللعازاريين (في اكيس) ؟ وراهبات مار يوسف لتفانيهم في خدمة المطعونين.

٦٣) — ٢٣ تموز — الاحد قدم الى حلب الوالي امين باشا والدفتردار والقاضي الجدد.

— ٢٦ تموز — زار الوالي امين باشا الآباء اليسوعيين وكان يجيئهم ميشال صولا ترجمان فرنسة.

— ٢٥ آب — عاد الوالي من براجيك حيث كانت الامور مضطربة. وفرح الحلبيون لعودته لان البلد كانت تغلي بسبب سفر الرديف الى الحرب.

— ٣١ آب — اطلقت المدافع معلنة جلوس عبد الحميد خلف اخيه السلطان مراد — شتم نفر من البوليس احد الآباء الفرنسيسكان في ساحة باب النصر فاحتج الاب الى القنصل الافرنسي والقنصل الى الباشا فحكم الباشا على النفر بثلاثة اشهر حبس وعلى رئيسه ب ١٥ يوماً.

٦٤) — ٢ ايلول — جاء من كلز الاب جرجي كلزي الارمني الكاثوليكي وقال ان البروتستنت ضموا اليهم الفين من الارمن الارثوذكس. — فتحت راهبات مار يوسف الظهور مدرسة جديدة في حي الماوردي.

— ٢٤ ايلول — اقام الاب غرنيه اليسوعي رياضة شهر الانفس المطهرة في حي القبب يوم الاحد والخميس.

— ت١ — اقيمت حفلة الجناز في كنيسة الشيباني من اجل راحة دزيره ڤيلكروز المتوفي بمرسيلية وكان من اركان الجالية الافرنسية في حلب واسمه يطلق على خان من خاناتها.

— ٨ ت٢ — يتوقعون نشوب الحرب مع المسكوب. سافر امس السيد

ايفانوف قنصل روسية ولتو الرديف-الاحتياطي .

٦٥) — وفيها ٢٧ ت٢ اوصى الياس عبدالله قجله ؟ رحمه الله « بثلث جميع متروكاته من نقود ومنقول ورزق وتجارة واثاث وفضة ونحاس وكمبيالات وسندات وغير ذلك يصرف بعد وفاتــه في وجوه البر بموجب نصف الثلث المذكور الى طائفة السريان الكاثوليك بحلب واقام وصياً عليها الاب بطرس سالم الوكيل البطريركي ويكون توزيعه هكذا : ثلث ما خص الطائفــة المذكورة حسنات قداسات وجنازات وترتيب الوفاة والثلثان الآخران على فقراء السريان ما عدا المتاد ان يوزع عليهم . وما تبقى منه نصف ثلث المال قد اوصى بنصفه الى طائفة الارمن الكاثوليك بحلب واقام وصياً بذلك المطران غريغورس بليط . والنصف الاخير منه نصف ثلث المال اوصى به الى طائفة الموارنة بحلب واقام وصياً بذلك المطران يوسف مطر لكي يوزعه هكذا : اي ثلث السهم حسنة قداسات وجنازات اعتيادية والثلثان لاجل عمار الكنيسة الجديدة والفقراء . . »

وفيها — ٢٦ ك١ — الثلاثا اطلق المدفع لقراءة الفرمان الشاهاني المعلن الاصلاحات التي احدثها مدحت باشا الصدر الاعظم بطل الدستور العثماني .

٦٦) ١٨٧٧ — ٩ شباط الجمعة — عزل الوالي وسيكون عوضه كامل باشا متصرف بيروت . وقيل ان مدحت باشا عزل ايضاً وسيكون عوضه ادهم باشا — المخابرات مقطوعة مع استنبول منذ اشهر . يزملون بعقد الصلح قريباً بسبب تغير الصدارة . — ١٢ شباط الاثنين — الاب غارنيه يلقي عظات الرياضة على كهنة السريان .

— ١٣ اذار — زار الرؤساء الروحيون كامل باشا .

— ٢٢ اذار — سافر طابور الرديف من حلب .

٦٧) جا. في الجوائب عدد ٨٥١ ص٤ ١٧ نيسان١٨٧٧ عن مراسل من حلب :

« في ١٤ اذار تشرفت مدينتنا بقدوم كامل باشا . . . والامل اننا نحوز غايتنا من الاصلاح في ايامه . . . ثم انه بينا كان عبدالله ابي محمد الانطاكي الموظف بدائرة التلغراف بحلب واقفاً عند محلة باب الاحمر بالقرب من دار سكناه مر عليه اثنان من الاشقياء وهما بحالة السكر فشتماه ومن كان لديه فارسل في طلب الضابطية من القراقول القريب . فلما علما انه طلب الضابطية هجما عليه

وضربه احدهما بخنجر فشق حنكه وهرب مع صاحبه . فذهب احد اصحاب الافندي الى مركز الحكومة واحضر كثيرا من الضابطة فتبعوهما الى خارج المدينة والقوا عليهما القبض وهما الآن في السجن وان شاء الباري تعالى نستريح بهمة صاحب الدولة والينا الجديد من تعديات الاشقيا. التي لم يزل وقوعها متواصلاً من مدة طويلة الى الآن » .

— نيسان — اعلنت الحرب بين روسية وتركية ولم يحدث اضطراب ولا قلق في البلد .

٦٨) — ٢٤ ايار — ادخال المسيحيين في الخدمة العسكرية .

« لم تصدر بعد اوامر رسمية بدخول المسيحيين في الخدمة العسكرية وانما يتبين من قرائن الاحوال ان هذا الامر سيجري فعلاً بل يعم ايضاً سائر التبعة غير المسلمين سواء كانوا مسيحيين او اسرائيليين الا ان الباب العالي لم يقر رأيه بعد على كيفية وقوع القرعة فهل تكون هؤلاء العساكر في سلك العساكر الاسلامية المؤلفة من ابناء العرب العثمانيين ام يكونوا على حدتهم ولانهاء هذا المشكل شكلت لجنة مؤلفة من كبار رجالات الدولة للمذاكرة فيه » .

(الجوائب عدد ٨٦١ ص٤)

وجاء في ٢٧ ايار :

٦٩) (رسمي) لما كانت نظارة الضبطية تريد ان تدخل رعية الدولة من غير المسلمين في سلك الضابطة تعلن ان كل من يريد ان يدخل في هذا السلك يكون مشمولاً بالمنح والحقوق التي تشمل المسلمين وكل من يظهر منه حسن السيرة والنجابة في وظيفته يترقى . . . (الجوائب عدد ٨٦٢ ص١)

— ٢ حزيران السبت — قدم الاب لا يورد اليسوعي من بيروت وقد ارسل القنصل الافرنسي قواسه ليلاقيه في الاسكندرون .

— ٣ حزيران — وعظ الاب غارنيه في كنيسة السريان بمناسبة اليوبيل الاسقفي للبابا بيوس التاسع .

— ٨ حزيران — حدث القال والقيل في طائفة الروم بسبب زواج فتح الله عبجي على بنت الحمصي — سافر الالا عسكري الى ساحة القتال — زوّد الاب غرنيه ابراهيم حموي بالاسرار الاخيرة — اقترح قنصل انكلترة على سفيره في

استنبول تعيين نائب قنصلي في عينتاب ومرعش وارفا وادنه ودير الزور — صادر الوالي جريدة البشير عن امر الباب العالي بالغا. الجرائد على ما يقال.

٧٠) — ١٣ ت٢ — فوض رئيس الآباء اليسوعيين العام رئيس الرسالة اليسوعية في الشرق بالغا. رهبانية راهبات قلب يسوع وجمع الراهبات الموجودات فيها مع راهبات مار يوسف الظهور او مع راهبات الناصرة. وكاد الامر يتم لولا تدبير العناية الالهية التي حفظت رهبانية قلب يسوع للراهبات الشرقية وقوّتها بالجمع بين راهباتها والراهبات المريمات اللواتي كنّ في بكفيا. ومن الجوقين تكونت الرهبانية المعروفة عند العامة براهبات اليسوعية وهن راهبات القلبين الاقدسين ولهن اليوم الديورة العامرة في لبنان وفي سورية وفي المغرب.

— ٣ ك١ — صدر من المطبعة الكاثوليكية في بيروت المجلد الاول من الكتاب المقدس فاهدي الى القناصل برتران (فرنسة) وفردريك بوخه (بلجكا) واندره مركوبولي (برتوغال) ونقولا مركوبولي (اسبانيا).

٧١) — ٢٨ ك١ — ان اهالي حلب بانتظار قدوم بعض التجار الآتين من جزائر سيام لشراء الف كيلة اسلامبولية من حنطة حلب وثلاثين الف كيلة من حنطة قبرس و٥٠ كيلة من حنطة الاستانة فاصدر الباب العالي امرًا باجراء التسهيلات اللازمة لخروج تلك الغلال من ثغر اسكندرونة واعفائها من الرسومات المألوفة. (البشير)

٧٢) — ١٨٧٨ — ك٢ الجمعة — سافر من حلب ٥ او ٦ مئة جندي.

— ١٨ شباط — الساعة ٢ بالليل مات السيد برتران قنصل فرنسة متممًا واجباته الدينية. جنازة فخمة: القناصل ببزاتهم الرسمية. متاجندي حراس على الجانبين. المطارين بالغفارات والكهنة اجمعون. قدّر عدد العالم على الطرق بلا اقل من عشرة الاف وفي هذه المره مشى حامل الصليب على رؤوس الملا من كنيسة الارض المقدسة الى المقبرة.

— ٢٥ اذار — اقيمت حفلات الجناز في الكنائس لراحة نفس بيوس التاسع ومن الذين ابنوه الخوري باسيليوس قندلفت.

— ٢٢ نيسان — اقام الآباء اليسوعيون رياضة احد عشر يومًا متوالية ختمت يوم خميس الاسرار وتلا الشماس يوسف سنان معلم المدرسة السريانية خطابًا جميلًا في حفلة الختام.

٧٣) — ٣٠ حزيران — قدم الى حلب القاصد الرسولي لوديفكس بياڤه.

فجرى له استقبال حافل .

— وفيها بعد وفاة الخوري ميخائيل مظلوم مرشد اخوية القربان المقدس اخذ بادارتها المطران بولس حاتم ، فنقلهـا من مدرسة الاحداث حيث كانت تقوم بفروضها الى الكنيسة الكاتدرائية وقبل اشتراك النسا. فيها واشركها باخوية رومة الرئيسية . وقبيل عيد الاخوية القى عظات الرياضة لشبانها طبقاً لبرنامج رياضات القديس اغناطيوس مؤسس الرهبانية اليسوعية . (البشير عدد ٤١٠)

— ١١ آب — دخل حلب باحتفال باهر البطريرك جرجس شلحت .

(البشير عدد ٤١٨)

٧٤) وكان جرمانوس الشمالي الذي سوف يكون اسقفاً على موارنة حلب من اعز اصدقاء البطريرك شلحت فيزوره ابان اقامتـه في دير الشرفة وينظم قصيدة بمناسبة وضع البطريرك يده على بعض تلامذتها ويقول :

«سقياً لاغراسٍ سقاها انعماً فنمت وبكر ثمارها الداني حلا
فترى بنيه حول مائدة له كغروس زيتون البقاع واجملا
لا غروَ اذ قبلوا بوضع يمينه روح الاله مؤيداً ومجبـلا

(ديوان ١٠٢)

فتشددوا وتأهبوا لحصاده طرباً وكلٌ بات يشحذ منجلا
وسرى الى السريان نور معارف وعوارف منه بها الصبح انجلى»

(شمالي : نظم اللآلي ١٠٢)

٧٥) — ٥ ت٢ — انقضت صاعقة على دار فخربتها وقبل شهر رمضان قتل في ليلة واحدة خمسة رجال وان محمد آغا المكانسي ما زال مع شيخوخته يطوف ورجاله حول المدينة ويعس خارجها وداخلها ومن سبعة ايام جرت مقاتلة جرح فيها كثيرون منهم اثنان حملا حملاً ولم يقدرا على السير ودخل رجل داراً فقتل رجلاً وقطع يد آخر وولى الفرار وقيل رميت جنازة القتيل بالحجارة وقتل رجل وحمل ابنه مجروحاً في محل يبعد اربع ساعات عن البلدة ومن نحو شهرين فقدت امرأة دلالة ولم يوقف لها على اثر . (لسان الحال ٩٨)

٧٦) — ٢١ ت٢ — ارسل القنصل البريطاني الى سفارة بريطانيا في استنبول التعليمات التالية عن العملة المتداولة بين ايدي الناس في حلب بتلك الايام :

١) اهم النقود المستعملة في الاسواق وفي دفع الضرائب هي الذهب العثماني والنقد الفضي .

٢) الليرة العثمانية الذهب قيمتها ١١٧ غرش فضة ، والمجيدي قيمته ٢٢ غرش فضة .

٣) نصف المجيدي قيمته ١١ غرشاً . ربع المجيدي قيمته ٥،٥٠ قرشاً . القرش والقرشان الفضة العشرون منها قيمتها كقيمة المجيدي .

٤) البشليك قيمته خمسة غروش . المتليك قيمته ستة غروش.. البشليك المظم قيمته ١٨،٢٥ . الاسليك قيمته ١٤،٥٠ . الاكليك ١١ ٥/٨ . نصف الاكليك ٣/٤ ٥ . التك قيمته ٣ غروش .

٥) لا تضرب النقود من النحاس الا في قطعة ٥ بارات وقيمتها من ٨ غروش الى غرش واحد .

٦) القائمة او البنكنوت قيمتها ٣٦،٥٠ .

٧) القائمة مقبولة في دفع الدين بسعرها لكنها لا تقبل في دفع العشر .

٨) المزارعون يقبضون النقود عن محصولاتهم ويدفعون القائمة بنك نوت للميري الا في ضريبة العشر .

— بلغ عدد سكان ولاية حلب ٥٣٩٣١١ .

(البشير عدد ٤٠٦) اخذاً عن الجريدة العسكرية

٧٧) وفي هذه السنة وقع الغلاء الفاحش (غزي٣،٤٠٥٠) ونشأت محلة النيال نسبةً الى محمد عمر النيال احد موظفي الحكومة العثمانية . اقتنى فيها الاملاك ثم وسمها (غزي ٢،٤٤٦) . — وفيها بطرس راهب ولد مخائيل اوقف مسقفات لرهبان الروم الكاثوليك بجبل كسروان ولرهبان هذه الطائفة بحلب وكذلك انطون يوسف بهار(؟) وميخائيل نصري دب والقس حنا ولد جبرا استبولية وكتر بنت جبرائيل ناقوس اوقفت مسقفات للرهبان اليسوعية وغرة بنت يوسف شماس اوقفت مسقفات لفقرا. الارمن الكاثوليك وجرجس ولد الياس خوام اوقف مسقفات لرهبان الروم الكاثوليك في جبل لبنان ، وكذلك الياس ولد يوسف خوام .

(غزي ٢٠ ،٦٠٣ — ٦٠٤)

الزياحات في القداس الماروني

بقلم الخوري ميشال بريدي
دكتور حقوق كنسية
استاذ اللاهوت والطقسيات

١ — معنى الزياح لغة وطقساً

الزياح لغة يمكن فهمه فقط عن طريق اصله المستعمل في السريانية اذ انه من المعلوم ان هذه اللفظة تختص بمعجم لغوي مسيحي لا تنطبق معانيه على المعاني المعطاة الالفاظ الموجودة في المعجم اللغوي العربي، وللتأكد من ذلك نذكر ان لفظة زياح لا يستعملها بين المتكلمين باللغة العربية الا المسيحيون وأصلها الاول من ܙܳܚ ܙܳܐܶܚ ويقابلها زاح يزيح المأخوذة اساساً بمعنى تحرك او اهتم ان يتحرك من محل الى آخر ويستعمل بصيغة الفعل اللازم . اما الاصل الثاني لهذه اللفظة فهو ܙܰܝܰܚ ܡܙܰܝܰܚ وبصيغة الفعل المتعدي ويؤخذ بمعنى رفع الشيء وحمله وأشار به[1] elevavit, portavit alterum. gestavit انما هذه اللفظة قد تؤخذ في اللغة السريانية بمعانٍ متوسع فيها بأكثر مما تستوعبه في الاصل وذلك من باب ادخال الاوصاف الظاهرة المرافقة لحركة الانتقال وادغام الحركة نفسها بظروف حدوثها فتؤخذ بمعنى « احتفل بالعيد مترنماً » كقولهم ܥܺܐܕܳܐ ܙܰܝܰܚ ܕܡܳܪܝܳܐ او كقولهم ܥܒܰܕ ܙܰܝܰܚ ܕܒܬܘܠܬܐ .

ومن البديهي ان ܙܰܝܰܚ في مثل هذه الجمل لا يعني حركة الانتقال بل فعل الاحتفال والابهة بذكرى المسيح او العذراء مريم ام الله[2] celebravit festum laudibus .

وعليه يكون الزياح بمعنى التطواف او الاحتفال او احياء الذكرى او التعييد بتقوى وعبادة ولهذا يتحتم علينا القول ان الزياح بحسب تحديداته السابقة لا

يتضمن سوى عنصر شبه مادي ينقصه عنصره الصوري élément formel لكي يحدده بدون التباس فينوعه ويوجهه الى غايته القريبة والبعيدة . فكل حركة تجري ضمن نطاق الطقوس البيعية لها غاية قريبة هي التأثير على نفس المشترك بها بواسطة النظر او القول او السمع عن طريق تلك الاحساسات التي تنتج طبعاً من تلك الحركات اذ تثيرها في النفس او توحيها للعقل .

وهناك غاية بعيدة لكل الحركات الطقسية اجمالاً وهي : اداء العبادة الجمهورية الواجبة لله تعالى حيث تشترك النفس والجسد والفرد والمجتمع البشري بالسوية[٣] .

هذا ما يجعلنا بحاجة الى التنويه عن تحديد لفظة زياح ليس فقط لغة بل وطقساً وتوسيعاً اي بحسب المعنى المرافق لهذه اللفظة في كل رتبة من الرتب وبما ان كلامنا هنا عن الزياحات في القداس الماروني يجب ان نتوخى تحديد هذه اللفظة بشكل يمنع عنا الالتباس لدى تحقيقنا عن وجود الزياحات وتاريخها وأمكنتها في القداس الماروني واظن انه هنا بيت القصيد في كل الابحاث عن القداس الماروني ، لان هذا الاخير يحوي عناصر مختلفة المنشأ والعصر ، وحد بينها مر العصور وهيمنت عليها الروح الانطاكية المسيحية الارامية . فاذا اخذنا العنصر الخارجي من لفظة زياح الطقسية اي الاحتفال والتطواف بشيء مقدس لا يمكن تطبيق هذا الاسم الا على حركتين طقسيتين فقط وهما زياح كتاب الانجيل قبل تلاوته بصوت ذي نغمة ان لم نقل بترنيم صريح[٤] .

ثم زياح الجسد والدم الموجودين تحت شكلي الخبز والخمر ، لدى تناولها او توزيعهما على المؤمنين الحاضرين والمستعدين لقبولهما .

وقد تفتتح الزياح الاول صلاة البركة على البخور مع طلب تقديس النفوس بالروح القدس لنكون سامعين لانجيل المسيح وعاملين به ، وينتهي بترنيمة من لحن ܗܠܠܘܝܐ عند العودة من المنبر او من بين الشعب الى المذبح .

اما الزياح الثاني فيبدأ باعطاء البركة بالشكلين المقدسين يمناً وشمالاً من الصمدة وينتهي بعد توزيع الاسرار على المؤمنين (اذا حدث ذلك) ، بتكميل البركة بهما لجهة المحتفل الامامية والورائية ، اي لجهة الشعب مما يعرف «بدورة الكاس والصينية» .

وقبل ان ننتقل الى التنقيب عن اوصاف الزياحات في القداس الماروني وعددها الاجمالي يجدر بنا اكمالًا للفائدة واتمامًا لبحثنا في لفظة الزياح ومعانيها ان نشير الى سائر المآخذ التي تؤخذ بها هذه اللفظة في لغة المسيحيين عدا استعمالهم لها في ما يختص برتبة القداس.

فلنرجع بحسن اسلوب للسؤال مجددًا عن اصل الكلمة اللغوي: ان لفظة زياح اذا اعتبرناها مشتقة رأسًا من اللغة العربية زاح واساسًا من السريانية ܙܘܚ كان معناها اللفظي نقل الشيء من محلّ الى آخر وحركه من مكان الى غيره.

وعليه فاستعمالها عند المسيحيين يكون بمعنى طائفًا بالشيء او اليه باحتفال من مكان معين الى مكان آخر بغية التكريم او الوقار او العبادة الجمهورية ويكون الطواف عندئذٍ بشيء من الابهة ومع هذا المعنى ينطبق التحديد الذي نجده في كتاب الرتب الروماني: وتوصف به كل انواع الزياحات التطوافية كزياح الشعانين وزياح المسيح يوم الجمعة العظيمة وزياح الكاهن الجديد والولد المعمد الخ.[٥]

اما اذا اعتبرناها مشتقة رأسًا من الاصل السرياني ܙܘܚ فتكون لفظة زياح لفظة دخيلة على العربية ويكون معناها: رفع الشيء. المقدس حاملًا اياه محركًا حركة بينة المغزى واضحة المعنى كأن تكون للبركة كما في زياح القربان المقدس وزياح الايقونة[٦]. او كأن تكون لتقديم المزيح فوق الرؤوس الساجدة اظهارًا للاعتراف به او الايمان به او عرفانًا للجميل له والشكر على النعم كما في زياح دورة الكاس والصينية او كزياح الصليب في ايام الصوم وقد يكون بهذا المعنى ما يقوله السمعاني عن عبارة ܙܘܚ ܘܙܐܐ[٧].

وقد يتوسع بهذا الاستعمال فيقال عن المؤمنين الذين كانوا يقبلون في الماضي القربان المقدس على اياديهم اليمنى مرتكزة على اليسرى ليتناولوه من ثم بأفواههم ان ابناء البشر يزيحون جسد الرب على ايديهم: ܘܒܢܝ̈ܢܫܐ ܗܘܘ ܡܙܝܚܝܢ ܠܗ ܥܠ ܐܝܕܝܗܘܢ (من الالحان السابقة للشرتقة في طبعة القداس الاولى سنة ١٥٩٤).

وعليه تكون كل حركة تبريك بالاشكال المقدسة زياحًا أكان في القداس ام خارجًا عنه.

انا نحن نتوخى حبًا بالوضوح في المعاني حصر البحث في الحركات الانتقالية التطوافية في القداس ونصرف النظر عن سائر معاني الزياح لغة وطقساً وتوسيعاً.

وعلى هذا الاساس لا يبقى في القداس الماروني بحسب حالته المعروفة منذ طبعه لاول مرة في ١٥٩٤ حتى ايامنا سوى زياحين، زياح كتاب الانجيل المقدس ثم زياح الاشكال المقدسة من المذبح الى الشعب لمناولته ومن هنا الى المذبح تذكارًا للموتى المؤمنين وطلباً لراحة نفوسهم اولئك الذين احبوا الملك المسيح في اورشليم السماوية .. ܕܪܚܡܘ ܗܘܘ ܡܫܝܚܐ ܒܐܘܪܫܠܡ ܕܒܫܡܝܐ . (طبعة سنة ١٥٩٤)

حول وجود هذين الزياحين لا يمكن اثارة اي شك نظرًا للنصوص المحفوظة في كل الطبعات على السواء بزيادة او بنقص ما خلا الطبعة الاخيرة والطبعات المصنوعة لاجل الكهنة المسافرين .

انما قد يجوز التساؤل :

٢ ــ هل من زياح عند صمدة القرابين في بدء القداس الماروني؟

ان الرب يسوع عندما وضع سر الافخارستيا استعمل الخبز والخمر الموجودين امامه على طاولة العشاء السري ليحولهما الى نعمة وهبة سماوية . لذلك جل ما يفترض هو اعداد الخبز والخمر على المذبح قبل البدء بحفلة او رتبة سر الافخارستيا.

وهذا لا يعني كما يقول العلامة يونغمان[8] ان الصمدة او اعداد القرابين تشكل بذاتها رتبة طقسية فانه يكفي بان يجلب احدهم الى المذبح ذينك العنصرين قبل ان تبدأ الرتبة الدينية المعروفة بالقداس ولهذا يلاحظ في المستندات القديمة عدم وجود اية دلائل تثبت ضرورة اعداد القرابين فانه ما دامت الافخارستيا تجري مع الوليمة الاخوية Agape لم يكن هناك اية حاجة لاعداد الخبز والخمر لأنهما كانا بذات الفعل على طاولة الوليمة. (وقال لهما امضيا واعدا لنا الفصح لنأكله) لوقا ٢٢/٨ .

ومع ذلك ففي بداية القداس السرياني عامة والماروني بنوع خاص « صمدة القرابين » ترافقها حركات لها رموزها ونصوص تفرعية ، لها قيمتها وخطتها التوجيهية بما قد يشكل رتبة طقسية شبه مستقلة لو صح التعبير . ولا عجب في

ان يكون السريان الذين اشتهروا قبل غيرهم بتمويلهم على النظريات الرمزية[9] قد انشأوا رابطة وثيقة بين صمدة القرابين في اول القداس وبين الذبائح النظرية منذ فجر البشرية . وقد جعلوا من قداسهم خلاصة الذبائح التي نص عنها الكتاب المقدس في العهدين .

والواقع ان صمدة القرابين بما فيها من خبز وخمر وبخور ترتبط مباشرة مع ذبيحة ملكيصادق[10] حبر الله العلي كما ترتبط بالوقت نفسه بنا. على ما يذكر في نصوص الصلوات التي تقال فيها ، بالتقادم والقرابين والعشور والصدقات التي كان يجلبها المؤمنون مع الزكاة والنذور ويقدمونها لبيت الله او للكهنة او الديورة او الفقراء.[11] فهذا يلفت نظرنا بالحاح الى ضرورة تقدير محتويات القداس الماروني على ضوء مبدأين شاملين: كل جزء فيه له قيمته الارتباطية بما سبقه من طقوس وعبادات لدى شعب الله المختار ، وله قيمته الاخرى الاستقلالية التي تأتيه من سذاجة الحوادث التي جرت في تاريخ المجتمع المسيحي الناشئ . ومن يجهل هذين المبدأين يتعذّر عليه فهم حقيقة القداس السرياني الماروني فيجد فيه خلطاً لا مفر منه في المعاني وفي الاصول والنصوص[12] . ان الحقيقة هي ان صمدة القرابين المختارة مما تبرع به الشعب المؤمن تتصل مباشرة بالتقادم الزكية التي ارتضى بها الرب منذ الاجيال القديمة وعليه نجد العادة منذ ايام الرسل بان لا يتقدم احد الى الاجتماعات الاخوية وهو فارغ اليدين (اعمال ٢ / ٤٤ ، ٤ / ٣٢-٣٥) وإلّا عدّ تقدمه هذا عاراً عليه فيقول القديس قبريانوس مثلا : كيف تتجاسر يا غني ان تدخل الكنيسة خالياً من القربان وانت تتناول من القربان الذي قدمه الفقير؟ (دوبهي ٣٨٩/١) [13] .

وكذلك يقول القديس قيصاريوس : فليخزَ من نفسه الرجل المكتفي عندما يشارك الغير في قربانهم[14] .

اما المشكلة التي تخلقها لنا المستندات التي تقابلها بعضها ببعض هي هذه : هل حدث يوماً او في تاريخ ما ان وضعت السلطة نظاماً للتقدم من المذبح بغية تسليم الشماس او الكاهن القرابين التي يجلبها من بيته كل مؤمن : وهل اتخذ مثل هذا النظام شكل تطواف او زياح ؟

من المؤكد ان التقدم الافرادي المنتظم لتسليم التقادم الى خدام المذبح لا

يمكنــه ان يشكل زياحاً بالمعنى الطقسي ومن البديهي ان يأتي كل مؤمن مصطحباً عطيته في وقت مبكر قبل الاجتماع ليستودعها من يلزم او كما يذكر كتاب « وصية الرب يسوع » Testamentum Domini وهو مستند سرياني او سوري المنشأ ، ليستودع المقدّم قربانه في غرفة الخدمة[١٥].

ولكن اول ما يظهر ذكر هذه العادة اي استيداع الصدقات والتقادم في غرفة الخدمة – هو في الجيل الخامس مع مؤلفات ديونيزيوس المنحول المعروف في مؤلفه عن المراتب الكنسية[١٦].

فحيث جرى مثل هذا الاستيداع كان من الطبيعي ان يفسح المجال لزياح سابق او لاحق لتكريم هذه القرابين مما اثار شكوك بعض اباء الكنيسة مثل البطريرك اوطيخيوس المتوفى في سنة ٥٦٥ فحاربوا كل تكريم خارجي للقرابين قبل تقديسها[١٧].

هذا ما جعل العلامة الدويهي ايضاً يكتب مقطعه المشهور في هـذا المعنى حيث يقول بشيء من الجزم في موضوع لم يتمكن معاصرونا الجزم فيه لفقدانهم المصادر الكافية :

« ... فلما انتشرت الديانة المسيحية واطمأنت الخواطر امر الملوك بفتح الكنائس وحينئذ امر الآباء اصحاب الكرسي الانطاكي بأن تصمد الاسرار منذ ابتداء القداس على المذبح الكبير على شبه مـا صنع السيد المخلص قدام تلاميذه دون ان ينقل القرابين من موضع الى موضع » فان المسيح واحد وفي موضع واحد اخذ الخبز وباركه وقدسه وفرّقه على التلاميذ . فتبع اهل الشرق مشورتهم وحمدوا عاقبتها .. »[١٨].

لقد دونا هنا هذا النص للدويهي ونحن ندرك ان الكثيرين من مطالعيه يعرفون مخالفته لرأينا في الاساس فالدويهي أخذاً عن المؤلفين الغربيين الذين درس عليهم او درسهم في اوربا ظن حينئذ ان اصول الرتب الشرقية والاوليـة في الكنيسة هي المحفوظة لدى اليونان البيزنطيين مع ان مثل هذا الرأي الخاطىء لا يحتاج في يومنا الى اي رد اذ قد ثبت للناقدين والباحثين المعاصرين لنا ان الرتب البيزنطية لا تمثل الا مرحلة متأخرة جداً من مراحل الطقوس الشرقية . انما للسبب المشار اليه، وربما لكون الدويهي انفش ببعض المخطوطات السريانية

الملكية الاصل وبالتالي البيزنطية التي وجدت بين ايدي الموازنة عرضاً وصدفة ، قد ارتأى بان « صمدة الاسرار المقدسة منذ ابتداء البيعة مـا كانت تصير على المذبح الكبير بل في موضع مخفى عن نظر الشعوب الغربية . . . »[١٩]

واننا ننصح بان يقابل القارئ المرضعين المغايرين اللذين يأتي الدويهي فيهما على ذكر هذه الامور فالموضع الاول هو الذي ذكرناه اخذاً عن المجلد الثاني لمنارة الاقداس في باب زياح الاسرار ونقلها الى المذبح الكبير .

اما الموضع الثاني فهو الذي تجده في المجلد الاول صفحة ٤٠١ في باب تبخير الاسرار بعد صمدها حيث يقول قولاً بادي الشبهة من جهـة الاسناد التاريخي قوياً من جهة التحقيق الوضعي :

« في مبتدإ الكنيسة كانت الاسرار تصمد في الخزانة (سكرستيا) او على مذبح صغير من جهة الشمال وكان ذلك يصير سراً . . . وفي العهد العتيق كان القربان يقدم على مذبح والبخور على غيره حسب مـا امر الله موسى بان يقيم مذبحين احدهما للذبيحة والآخر للبخور ، ولما اجتمع المجمع الاول في نيقيـة نظر اصحابه في جميع امور الديانة المسيحية ووضعوا لها قواعد وسنناً بحسبما الهمهم الروح القدس وتأملوا شأن التقدمة المانحة الغفران وقد كان الله ازال عنهم نير الكفار وابطل تسليات الناموس وأمرهم بتقريب جسده الكلي قدسه وان مذبح الذبيحة ومذبح البخور كانا اشارة الى موته تعالى على خشبة الصليب فدا. للعالم وانه اعطانا ذلك الجسد بعينه لنقدمه في السر فدية عن شعبه. وعليه فقد امروا بان يقام في الهياكل مذبح واحد لا غير يقدم عليه القربان والبخور معاً». ومن ذلك الزمان امروا بان يصير اعداد التقدمة اي صمدها في بيت القـدس على المذبح بدلاً من اعدادها في الخزانة . فأخذ اهل الشرق من ذلك الحين يعدون الاسرار في اول القداس واما اللاتين فبعد قراءة الانجيل واما الروم فقد ثبتوا على العادة القديمة والى الآن ينصبون مذبحين غير ان ما قضى به الآباء جديداً هو الاجدر والاولى[٢٠] .

اما عن هذا النص الوجيه فلا يجوز الا التنويه بنقصه عندما يستشهد بمجمع نيقيا ، ولا يظهر أن مثل هذا المجمع اصدر مثل هذه القرارات خصوصاً وان المسيحيين لم يتسلموا من الناموس سوى الاضطهاد وذهنية الحطية والفساد اللذين

طالما حاربها المعلم بولس المختار فمن هذا القبيل لا علاقة للعبادة المسيحية بالعبادة اليهودية[٢١].

ولاجل الفائدة ايضاً نختصر وصف صمدة القرابين في القرون الوسطى نقلاً عما حفظه لنا الدويهي وغيره.

كان الكهنة يخرجون ايام الآحاد والاعياد المفرحة يصحبهم شماسان قاصدين الشعب في جمع الخبز والخمر لاجل التقدمة فيجمع احد الشماسين الخبز من الشعب والآخر الخمر ثم يعودون جميعاً الى الكنيسة لتقدمة القداس ولم يكن الكهنة المحتاجون (كل هذا مأخوذ عن الكتبة اللاتين ...) وحدهم يفعلون هذا بل سائر الاساقفة ايضاً حتى بابا رومية[٢٢].

او كان الشماسان ينتظران الشعب عند مدخل الكنيسة فيستلمان منهم التقادم ثم ينقلاها الى جهة المذبح فيبخرها الكاهن بجملها ثم يختار منها رئيس الشمامسة او الكاهن نفسه ما يعرف انه ضروري للخدمة وشركة الشعب(اي متناوليهم) فيصلي عليها القطعة المعهودة: «ايها الاله العظيم والعجيب الذي قبل قربان عبيده المؤمنين » ثم ينقل القربان الذي اختاره نحو وسط المذبح قائلاً مع اشعيا النبي: قُدِّم وهو خاضع ولم يفتح فاه كشاةٍ سيق للذبح وكحمل صامت امام الذين يجزونه (اشعيا ٥٣/٧)«وهذا الرأي بيّن التأثر باراء علماء الطقوس المعاصرين للدويهي . « ثم يمسكه بيديه الاثنتين ويقدمه لله رافعاً به يديه وقائلاً : اللهم الذي قبل قربان هابيل الخ .. ثم يرسم به صورة الصليب على الصينية ويضعه عليها ويقول مع موسى النبي: جعلت يا رب كرسي مجدك في مقدسك فاصلحه يا رب بيديك الرب يملك الى ابد الابدين» (خروج١٥/١٧—١٨) ويغطيه بالنافور الصغير قائلاً مع داود « الرب ملك ولبس البهاء ».. . مزمور ٩٢/١[٢٣].

وبما ان الدويهي يأنف من ان يعتبر تقدمة الخبز والخمر وسائر القرابين المرافقة لها من نوع ذبيحة ملكيصادق الكاملة في نوعها[٢٤] فلهذا يجتهد في تبيان ما تشير اليه بالرمزية (شأنه في ذلك شأن معاصريه في اوروبا) كل الحركات والآيات التي ترافق هذه التقدمة ليجعل منها استعداداً للذبيحة جسد الرب ورسماً لتجسد ابن الله الكلمة في احشاء البتول . ويزيد قائلاً ان الكاهن يمسك البرشانة بيديه ويقدمها لله رافعاً اياها لانه هكذا كان الآباء يقدمون له تعالى

قرابينهم برفع الايدي . وهكذا ايضاً قدم السيد المخلص ذاتـه للآب ويداه مبسوطتان على الصليب[٢٥] .

اما في الخمر فيقول: لم يكن الكاهن منذ البدء يمزج الخمر بالماء في الكاس بل ان رئيس الشمامسة يفعل هذا وهو ايضاً يختار القربان مما يقدمه[٢٦].. في ابتداء البيعة كان رئيس الشمامسة وحده يتولى مزج الخمر بالماء في الكأس وعندما كان الكاهن يقدم لله القربان كان يـأتي رئيس الشمامسة ويأخذ الكأس ويضع فيها الخمر صرفاً ثم يمزجها بالماء ويضعها عن يمين القربان . (لكن لتغيب الشمامسة وللحوادث اخرى) أمرت البيعة بان الكاهن يمزج الكاس ويوزعها على المؤمنين .[٢٧] والكأس انما كانت توضع عن يمين الصينية لان الرب طعن بالحربة في جنبه الايمن حيث هو الكبد ينبوع الدم ... والى الآن لم تزل الكأس توضع في بعض الكنائس عن يمين الصينية . وفي بعضها توضع شرقيها لانه اسهل في رسم الصلبان والتبخير وغيرها .

اخيراً يوجه الناقور الكبير نحو الشماس ليبخره ثم يغطي به كل الاسرار «رسماً للبهاء والمجد اللذين اتشح بهما جسد الرب»[٢٨].

وقبل ان تنقل صلاة « اللهم اسألك ان تجعلني » الى المحل الذي هي فيـه اليوم كان الكاهن المحتفل حالاً بعد تغطية الاسرار يبخرهـا ويبخر الصليب والمذبح والكهنة والشعب قائلاً مع الجمهور كله « القرابين النقية » اي نشيد اقبل يا واد التائبين . ومما يجدر ذكره هنا هو ان هذه التبخيرة لا يجوز لاي كان القيام بها عندما يكون المحتفل رئيس الكهنة بل عليه هو ان يقدم هذا البخور لان نذور الشعب وقرابينهم وعطورهم تقدم لله على يد الحبر المنتخب[٢٩] .

على ان الغاية من كل هذه هي المساهمة في الذبيحة المقدسة والاشتراك في الوليمة العائلية التي تجمع المسيحيين وتوفير ضروريات المعيشة للكهنة وخدمة الاقداس . . .

واظن ان هذه الافكار والاعمال هي البدائية في طقس انطاكية واورشليم وانما بقيت على حالها عند السريان لان التطور الاجتماعي والحرية اللذين تمتع بهما الدين المسيحي في الاقطار البيزنطية واليونانية ما كادت الكنائس السريانية تصل اليهما حتى كانت انقلبت الاوضاع السياسية (القرن السابع) فبقيت الاعمال

الطقسية على حالها البداني، فاعداد القرابين امر مشترك بين جميع المسيحيين، اما ان يكون له محل متميز عن المذبح الكبير لتنقل القرابين المعدة عليه بزياح وتطواف الى المذبح الكبير فهذا امر يختص ببعض المناطق حيث لعب فن بناء الكنائس الملوكية Basilica دوره واتسع المجال للتطواف، وفصل حائط مرتفع في وسط الكنيسة بين الشعب والمذبح الكبير Iconostase فحيث لم يحدث شيء من هذه الامور لم يجر ايضاً وضع القرابين على مذبح خاص ثم نقلها الى المذبح الكبير « وصمدة الاسرار أو تقدمة القرابين » التي قد يمكن ان تشكل لذاتها حدثاً او عملاً طقسياً مستقلاً، يجوز أيضاً اعتبارها من وجهتين مرتبطتين في المعنى والتاريخ اي من وجهة الشعب المسيحي كجماعة دينية جديدة تحتاج الى رموز جديدة واجتماعات جديدة تشرك بين المؤمنين، ثم من جهة الذبائح الدينية في شريعة الطبيعة المحفوظة في قلب كل انسان.

وفي كلا الوجهتين نرى الوليمة العائلية وذبيحة ملكيصادق الفطرية ضروريتي الوجود في بداية القداس الماروني السرياني .

لكن لا نرى سبباً لتقدير وجود زياح قرابين ما كان له من لزوم في محيطنا السرياني وفي كنائسنا الصغيرة الحجم منذ ما عرفها التاريخ .

٣ ــ زياح كتاب الانجيل المقدس

هناك ادلة تثبت ان في القداس الماروني رتبة اخرى شبه مستقلة بذاتها لكنها تدخل في سياق الاستعدادات التي تسبق ذبيحة الافخارستيا ويمكننا تسميتها ذبيحة اللسان والاذان او قربان وليتورجيا الكلام الموحي[٢٠] وهي تبدأ بما ظاهره يتفق مع ترتيب احدى الصلوات الفرضية الصغرى مما جعل البعض يسميها صلاة الساعة الثالثة لانها تبدأ بالآيات التي تبدأ بها الساعات الفرضية وكان الكاهن يقترب مجدداً الى المذبح فيقول : لبيتك يا رب اقتربت ... ثم يتلو صلاة افتتاحية ويتبعها بالمزمور ارحمني يا الله ويرفقه بتبخيرة عمومية ويقول الدويهي اننا نطلب في هذا الجزء من القداس النور لعقلنا والمخافة وحسن الترتيب لنقف قدام الله بالطهارة والقداسة ليشرق علينا بغنى حكمته ومجد اسراره ومعرفة لاهوته لنخدمه كما يليق به[٢١] فيغفر خطايانا برحمته ويجدد فينا روحاً مستقيماً

ويرشدنا الى طرقه ويردنا عن الضلال (راجع القطعة التي يقولها الكاهن بعد المزمور ارحمني يا الله).

وبعد هذا الطلب تبدأ تحريضات الشماس وحساية وتسابيح الكاهن لتحضر قلوبنا واذاننا لنسمع كلام الله الحي بخوف ونقبله برعدة.

ثم تقال الحساية الملحنة على انغام افرامية والاصل في من يبدأ بها ان يقبل أولا يد الرئيس المحتفل والجالس على الكرسي دلالة على ان معرفة الاسرار هي صادرة عن العلي والكاتدرا التي يجلس عليها يشار بها الى كرسي الله في هيكل قدسه[٣٢].

ويتبع ذلك التسبيح بالتقديسات الثلاث مع البخور فوق الاسرار ويشار بها بقول الدويهي الى عماد السيد المسيح وحلول الروح القدس عليه وان كلامه يستحق القبول كقول يوحنا: والروح يشهد ان المسيح هو حق... (اولى يوحنا ٥/٦)[٣٣] وكما أمر الرب من السماء ان نسمع لابنه والروح شهد له، هكذا نذعن لكلام بشارته[٣٤].

وقد رسمت البيعة المقدسة عندما نريد قراءة هذا الناموس في البيعة ان نقدمه بالتقديسات والتراتيل والتهاليل[٣٥].

ثم يقول الشماسة المزمور قبل الرسالة ܐܦܢܐ ܡܥܡ ܦܡܬܠܡܢ...

اما التهليل فلا يقال قبل النبوات ولا قبل الرسائل بل قبل الانجيل لانه وحده يدل على ابتهاج القديسين في الملكوت حيث يشاهدون الله عياناً ومواجهة فان معنى هللويا: مجدوا صاحب الجنود. والتهليل يقال ثلاث مرات.. وبين التهليل يقال دائماً الفتقام من كلام العهد العتيق ويقال فتقاماً من اللفظ والاجابة. وحينئذ يبدأ بمرحلة القراءات[٣٦].

وقد رسم اباؤنا بطاركة انطاكية ان لا تقرأ سوى الانجيل الطاهر الذي هو قوة الله وحياة من يؤمن به مع فصل من رسائل بولس المصطفى لانجيل الله[٣٧].

ونلاحظ تقريباً بغرابة ان الموارنة لا يقرأون الا من رسائل بولس ولكن استغرابنا ينقلب اعجاباً عندما يثبت لنا بالتروي والمقابلة ان هذه العادة هي من اقدم العادات في الكنيسة اذ ان اللاتين انفسهم في فروض الآحاد وقداساتهم

لا يقرأون على مدار السنة الا من بولس الرسول ما عدا بعض شواذات [٢٨].

ثم فيما يدعو الشماس الشعب ليبقى في سكوت وينصت ويشكر كلمة الله الحي يضع الكاهن بخوراً ويبدأ بمدح الثالوث المجد بجوهر واحد وسلطة واحدة... ويسأل الرب ان يرفع عن قلوب السامعين الحسد والغش ثم يلتفت الى الشعب ويمد يمينه ويدعو لهم بالبركة، التي منحها الرب لتلاميذه في جبل الزيتون وعلية صهيون.

والمؤمنون منذ ابتداء النصرانية الى الآن لم يزالوا يكرمون الانجيل بايقاد المصابيح وبالبخور ويخضع له ملوكهم ويعكف عليه رؤساؤهم وعندما يقرأ يقوم جميع اولاد الكنيسة على اقدامهم ويكشفون رؤوسهم... اذ يعتقدون ان الناطق فيه هو روح الرب ملك السلاطين ورئيس الاحبار [٢٩].

على ان هذا الوقار يصير خاصة في خدمة الاسرار، بالأعياد الصارخة عندما يخدم القداس رؤساء الكهنة فانه بعد تلحين الثلاثة التقديسات يخرج رئيس الشمامسة من الخزانة وعلى صدره كتاب الانجيل ويتقدمه الشمامسة بالمنائر وهم يرتلون المزمور والكهنة بالمباخر وهم يلوحون بالمراوح فيخرجون من الباب الشمالي ويدخلون من الباب الملوكي. (هذا الوصف مأخوذ عن الروم).

وبعد قراءة الرسالة يتقدم رئيس الشمامسة فيقبل يد الراس قائلاً ܒܪܟ ܡܪܝ فيباركه قائلاً ܐܠܗܐ ܢܫܡܥ ܨܠܘܬܟ. وبعد ان يرتل الشمامسة التهليل والكهنة القتفام يسير به الى المنبر ومعه اثنان من الابودياكونية (اي الشدائقة) فيصرخ الرسائلي: ܩܕܡ ܣܒܪܬܗ اي (امام بشارة مخلصنا) ثم يترجم احد الكهنة: ܕܦܪܘܩܢ ܡܫܝܚܐ.. ثم ان الرسائلي ينادي الشعب قائلاً، تقدموا الى امام فيباركهم رئيس الكهنة قائلاً: ܫܠܡܐ ܠܟܠܟܘܢ.

ثم ان رئيس الشمامسة يفتح الانجيل على المنبر ويسمي كاتب الانجيل قائلاً ܡܢ ܐܘܢܓܠܝܘܢ.. والرسائلي يصرخ كونوا بالسكوت ثم يقول رأس الشمامسة ܠܟܠܟܘܢ ܘܫܠܡܐ فيطلب الشعب البركة قائلين ܒܪܟ ܡܪܝ وحينئذٍ يقوم الرئيس عن الكرسي ويباركهم قائلاً ܫܒܘܚܬܗ ܕܡܪܝ... وعندما يباركهم يكونون مكشوفي الرؤوس قائمين بخوف وورع في حين ان حامل المبخرة يبخره

ويكرر رئيس الشمامسة الترجمة اي ܡܢ ܐܘܢܓܠܝܘܢ والشعب يطلب الرحمة قائلا: ܡܪܝ ܐܬܪܚܡ ܥܠܝܢ.

واذ ذاك يبدأ رئيس الشمامسة بقراءة الانجيـل بصوت عالٍ ونغمة لذيذة مهيبة ونطق منتظم ويختمه بكلمة ܠܥܠܡܝܢ ويطويه وينزل فيقبل يد الرئيس وعند نهاية الفصل فان الرئيس يخاطب الشعب قائلا: ܫܠܡܐ ܠܟܘܠܟܘܢ.

ويشار بخروج الانجيل من الخزانة على صدر رئيس الشمامسة الى الكلمة الازلية من حضن ابيه وتزوله الى الارض في الجسد على يد جبرائيل رئيس الملائكة [٤٠].

ويدور الانجيل في وسط الشعب ويسجدون له ويقرأ الانجيـل في موضع عالٍ ... والذي يقرأ الانجيل يرسم اشارة الصليب... [٤١].

ويقرأ الانجيل رئيس الشمامسة بالسرياني ويترجمه رئيس الكهنة بلغة البلد لاجل فهم الشعب وافادتهم واشارة الى ان الانجيل الذي ينادي به خدام القداس في جميع اقطار الارض هو بنفسه الذي ينطق به المسيح وكتبه المبشرون في الكتاب [٤٢].

ويمنح رئيس الكهنة في بدء قراءة الانجيل السلام للشعب وعنـد تمامه الامان... ويلوح بالمراوح فوق الانجيل وتسرج امامه المنائر ويوقد البخور.

من حين اعطى الله الناموس الزم الكهنة بقراءته وتعليمه للشعب (اعمال الرسل ١٣/١٤ـ١٦). وهكذا التزم كهنة العهد الجديد بتلاوة الانجيل المقدس قبل غيره ثم بتفسيره. وكان رؤساء الشمامسة قديماً يقرأون الانجيل ثم يعظ رؤساء الكهنة شارحين ومفسرين. ثم سمح الآباء للكهنة (حتى بحضرة الاسقف) ان يعظوا الشعب واذنوا في غيابهم للشمامسة ان يقرأوا المواعظ في البيعة [٤٣] (وهذه وضع بدلاً عنها مع الزمن ما يعرف بالكرازات أكان ذلك مما يقوله الشماس وحده ام مما يقوله اليوم الكاهن مفترضاً ان القطعة يقولها الشعب معه على لحن ܚܣܝܐ أو ܫܒܝܠܐ.

هذه هي الخطوط الكبرى لزياح الانجيل عندنا وقد يعرض للباحث ان يتساءل عن امور جمة مثلا كيف ساغت ترنيمة التقديسات الثلاثة عن قراءة الانجيل الملحنة وجعلت لوحدها قبل الرسائل ثم كيف اندثرت الكرازات وكيف

ضاع الطابع السرياني للانجيل الماروني الخ . . .

ثم كيف ضاع زياح الانجيل بكامله من طقسنا؟

لا شك ان اولى الخطوات الزياح بكتاب الاناجيل تعود الى ابسط الاسباب وهي : الاجلال العظيم لهذا الكتاب ثم ضرورة تلاوته الاحتفالية من على منبر بالقرب من الشعب .

فكتاب الاناجيل بصفته حاوياً كلام المسيح يعدّ خاصة عند الشرقيين مشخِّصاً[٤] للمسيح نفسه مما ادى بالبيزنطيين الى ان يفخموا تجليده بالفضة والذهب وايقونة المسيح الملونة – وقد ساعدهم كثيراً ثراء الاوقاف وكرم الوافدين على مثل هذه المظاهر الجليلة . وهو وحده الشيء الذي يحل وضعه على المذبح المقدس برفقة سر القربان الاقدس .

ولا عجب ان يطاف به بين الشعب فيسمى زياحه عند الروم μικρὰ εἴσοδος micra eisodos او الدخلة الصغرى ، وان تضاء الشموع امامه ويحرق البخور بغزارة وتكشف الرؤوس اجلالاً ويتبارك به البعض ساجدين ومطأطئين الرؤوس وقد بقيت حتى يومنا هذه العادة مرعية في الكثير من الكنائس المارونية اذ يركع الكبار والصغار تحت كتاب الانجيل ويطلبون بان يتمم الكاهن به على رؤوسهم او ان يحمله احدهم على رأسه طيلة تلاوته على الشعب .

اما الاجلال والوقار اللذان رافقا هذا الكتاب المقدس فقد يختلفان درجة وحرارة بحسب الظروف الاقتصادية في كل كنيسة ومن الواضح ان الكنائس السريانية عامة والمارونية اللبنانية بنوع خاص قد تمتاز بتقواها الأولية المرافقة لفقر احوالها اكثر من فخامة الفنون والابهة وزونق التطواف الذي تسمح به احوال الكنائس الملوكية والمعابد الرهبانية في بلاد الروم والغرب . هذا مما يخولنا ان نوجز هذا القسم الثاني من صلاة الفجر الاعدادية للقداس تحت عنوان « ذبيحة الكلمة في كنيسة الكلمة Opfer des Wortes in der Kirche des Wortes » بالمقابلة مع ذبيحة ملكيصادق في كنيسة او كهنوت الطبيعة ، ومع ذبيحة السر في كنيسة او كهنوت الاسرار[٥] Kirche des Sacramentes .

ويكفي لذلك ان نتذكر كيف يبدأ الكاهن والشعب في تلاوة الانجيل اذ يجيبون على اعلان الكاهن للانجيل المناسب بقولهم : يا ربنا ارحمنا – فيتابع

الكاهن قوله ܡܫܡܥܢܝ ܠܡܫܡܥܬܟܘܢ وكأن كلامه موجه للمسيح الذي سيسمعهم اقواله: ليرحمنا ربنا ويرحم جميع اولاد الكنيسه المقدسة وابناء المعمودية الغافرة ثم يشكرون جميعاً: ليسوع المسيح ربنا تسبيح وشكر وبركة من اجل كلامه الحي العائد لفائدتنا ولابيه الذي ارسله. وعند اللاتين أثر مماثل لهذا الشكر الموجه المسيح رأساً: Gloria tibi Dominé.Laus tibi Christe.

وقد ذكر لي الاب ده ماريه De Marey, Redemp عن اخوتنا الكلدان الفارسيين L'Eglise des Perses انهم يسمعون للانجيل المقدس ويجيبون على كل جملة منه بالمرافقة مع موضوعها اما بالعزم على الابتعاد عن محرماتها بقولهم مثلاً: نعم يا رب صحّ ذلك أو لن نفعل مثل هذا ابدا او هكذا نريد ان نفعل يا رب الخ... وكأنهم امام المسيح المتكلم فيهم.

والقديس اغناطيوس النوري يقول ان ملجأه الانجيل كأنه جسد المسيح يسوع[٤٦].

اما عن طريقة تلاوته فمراسيم الرسل توجب ان لا يتلوه اي قارئ الا اذا كان كاهناً او شماساً انجيلياً[٤٧] وان يكون في تلاوته من البساطة المشفوعة بالنغم ما يوحي للسامعين المعرفة والاحساس بان المسيح منتصر في مجده بعد القيامة، وبعد تلاوته يقبله ويقدمه المؤمنين لتقبيله علامة السلام والامان بالرب يسوع وما فائدة التبخير الموجود اليوم عند تلاوة قانون الايمان الا لادغام المؤمنين بضباب العطر الطيب والرائحة الذكية التي تنشأ عن سماع كلام المسيح والايمان به والعمل بموجبه[٤٨].

والبرهان العملي على ذلك ان الشعب المؤمن يبقى واقفاً بخشوع ووقار في هذا الوقت الى تمام التبخير اي بعد ان يكون سمع الانجيل وشكر المسيح على تعاليمه ورافق الاكليروس بترنيمهم مقطعاً شبه كرازة شعرية عن موضوع معين في اسرار المسيح المتجسد او اسرار قديسيه المؤمنين به والذين عملوا بشيئته واشترك الشعب بهذا الايمان مردداً بصوت جمهوري قانون الايمان بكامله.

ويظهر لي ان الترنيمة التي شبهتها بكرازة شعرية مقتضبة والتي تتغير بحسب الاعياد ما هي الا لمرافقة الكاهن او الانجيل بزياح العودة الى المذبح الذي جاء منه بكتاب الاناجيل على اني لا اجد تاريخاً ممكناً لمثل هذا الزياح في

القرون الاولى . فقد يكون بجد ذاته تابعاً لتنظيم صلاة الفجر اكثر منه لتنظيم القداس الذي يبدأ مستقلاً عما سبقه في اول النافور مع العلم ان النوافير كلها تبدأ في نقطة معينة بالرغم من اختلاف مؤلفيها وعصورهم وبقطع النظر عن القسم الاعدادي الذي ذكرناه كأنه لا وجود له او كأنه يتمتع ببعض الاستقلال المكاني او الزمني عن رتبة الذبيحة السرية .

والعلامة يونغمان رأي لعلّه مصيب بـه أكثر من غيره حيث يقول : كان القسم الاول من القداس الحالي يشكل فرضاً الهياً : احدى الساعات القانونية (Una autentica hora canonica).

وله قواعده المختلفة تمام الاختلاف عن قواعد القداس فكان من الممكن القيام بهذا القسم في كنيسة ثم الذهاب الى كنيسة اخرى للاشتراك بالافخارستيا . . ونعرف عن رهبان القديس سابا في وادي قدرون في القدس (حيث الرهبان كانوا من بلدان مختلفة اللغات) انهم كانوا ينقسمون جماعات تقيم كل منهـا في لغتها الوطنية الرتبة الدينية الاعدادية بما فيها من صلوات وقراءات ثم يجتمعون معاً في كنيسة واحدة للاحتفال بسر الافخارستيا ابتداء من النافور في اللغة اليونانية[٤٩].

اما سائر الابحاث والاستنتاجات عن الزياح بالانجيل المقدس وكيف اهملته اليوم الطائفة فاننا نتركها لفرصة اخرى على امل ان نلاقي مساهمة في هذا العمل من قبل الدارسين الورعين .

٤ ــ زياح الشوتفه او مناولة الشعب

ليس من جوهر الذبيحة ان تنتهي بالوليمة اي بان يشترك فيها الحاضرون مع المقدم لها : انما في الواقع يتبع ذبيحة العهد الجديد، بحسبما وضع معاليمها المسيح وليمة مقدسة تشترك فيها اسرة الرب الاله، اولئك الذين بقوة المعمودية يختصون بالمسيح ويؤلفون معه جماعة قلبية باطنية فيقتربون من الله بصفتهم شعباً مقدساً،فشركة القديسين اي الكنيسة بمعناها اللاهوتي يجب ان تظهر في شركة السر أي في الشوتفه او المناولة اذ لا يصح قول Communio او شوتفه بدون إن يشترك كثيرون في الذبيحة الواحدة ويتناولوا جزءاً منها[٥٠] . هـذا والنصوص الكتابية اي الاسفار الالهية تعرض لنا الافخارستيا بشكل وليمة اكثر منها

ذبيحة حتى ليضطر اللاهوتيون ان يفردوا مقالات خاصة ليثبتوا طابعها الذبائحي. أما كون الافخارستيا وليمة وذبيحة منذ تأسيسها، فانك لتجده مفصلاً عند يونغمان الذي يوضح العوامل التي دفعت اللاتين الى تصويب اهتمامهم الذبيحة اكثر منهم للوليمة، بينما دفعت البروتستان للتفريط بالاهتمام للوليمة دون الذبيحة بتاتاً. ويونغمان يعلن بكل ثقة ان مفهوم «الذبيحة» لا يكفي وحده ليستوعب كل ما يضمنه جوهر الافخارستيا[١] . وفي القديم كان غير معقول ان يشترك المؤمن في الوليمة دون ان يشترك في الذبيحة فقبلة السلام بين الحاضرين مترجبة في الطقوس الشرقية منذ بداية النافور[٢] مما يدل ان طهارة القلب والاستعداد اللائق للاشتراك بالذبيحة واجبان مع انهما ليسا كذلك فيما لو افترضنا حريّة الاختيار للاشتراك فقط في الوليمة دون الذبيحة، وبالتالي امكانية الفصل والتفريق بينهما. ومن الثابت ان المسيح بعد ان قدّس الخبز والخمر جاعلاً منهما جسده ودمه ذبيحة العهد الجديد قام وناول كل فرد من تلاميذه جزءاً من ذلك[٣] . وهكذا يقول الدويهي :

«ان السيد المخلص عندما قدس جسده تناول هو اولاً جسده بيديه ثم وضع لكل واحد من التلاميذ جزءاً في يده وتقربوا وعندما قدس الكأس تناول هو اولاً الكأس ثم ناول لواحد واحد منهم وعلى شبه ذلك في بدء البيعة كان جميع الكهنة يأخذون جسد الرب من الصينية ويضعونه في اكفهم اليمنى ويسندونه باكفهم اليسرى ثم يطأطئون روؤسهم ويتقربون من كفوفهم ولاجل ذلك في حساية مار يعقوب التي نقرأها في أحد الكهنة نطلب منه قائلين : ܠܐ ܬܚܪܘܟ ܠܟܦܘܗܝ ܗܠܝܢ ܡܪܝܐ ܕܛܥܢ ܦܓܪܟ ... (فلا تحترق يا رب تلك الكفوف التي حملت جسدك).

وبعد ان يتقرب الكاهن كان يأخذ من الجسد ويضعه للشمامسة والرجال ايضاً في اكفهم، كقولهم في آخر الخدمة : ܐܝܕܐ ܕܦܫܛܝ ܡܘܫܛܝܢ ܢܩܒܠܢ ܡܢܟ ܥܪܒܘܢܐ ܒܪܗ ܕܐܠܗܐ[٤] . الايدي التي بسطت كفوفها فلتقبل منك عربوناً يا ابن الله. واما النساء فكنّ يتناولن جسد الرب على اكفهن لكن لا على اللحم بل في خرق او في اوانٍ نظيفة ومكرمة. اما دم الرب فكانت الكهنة تتناوله اولاً ثم يتناول الشمامسة ثم يأخذ رأس

الشمامسة الكأس ويناول الشعب..

ثم ان الآباء بطول المدة امروا الكهنة ان يفتوا الخبز المقدس في الكأس ويناولوه للشعب في الملعقة[٥٥] ثم ان الرؤساء في بعض الكنائس امروا بابطال هذه العادة اما لاجل الخطر واما لان الملعقة كانت توضع في افواه كثيرين مختلفي المزاج واما لان كثيرين لم يكونوا يقبلون الخمر كالاولاد والنساء. ولاجل ذلك صار البعض منهم يمدون الجوهرة بالكأس وبعد ذلك يتناول منها الكاهن ويناول باناملهِ الشعب كما يفعل الارمن . وآخرون يغطسون اجزاء الجوهرة في الدم ويقربون الشعب كما مأمور في الشرطونية عندما ان يتقرب الكهنة عندما يقبلون وضع اليد . وآخرون يقربون الجسد وحده كما تفعل الكنيسة الرومانية[٥٦] .

واما عن طقس المناولة للشعب في اطوار التاريخ فاننا نجد انه خلق عن ذلك شبه مشكلة اعطيت لها حلول مختلفة مع مرور الايام او اختلاف الامصار.

عندما كانت العادة العامة تأمر ان يتناول كل الحاضرين كان من الطبيعي ان يبقى كل واحد واقفاً في محله فينزل اليهم خدمة المذبح من كهنة وشمامسة ويقربونهم[٥٧] وهذه العادة يذكرها الكتاب الاول للطقوس البابوية Ordo Romanus في الغرب لكنها لم تحفظ الا في الطقوس الشرقية . اما عند الموارنة فلم يبق منها الا آثارها الكتابية التي تثبت وتدل كيف كانت تجري هذه الشوتفة . فالابيات التي تقال بعد «عبيدك والساجدون لك» والتي ينقص منها اليوم في كل حال اثنا عشر بيتاً كانت مدونة في طبعة سنة ١٥٩٤ تدل على الكثير مما كان يجري في زياح الاسرار نحو الشعب لشوتفته كما يسميها الدويهي ثم في عودة الاسرار الباقية مع تذكار الموتى المؤمنين الذين يفترض ان الذبيحة تقدمت لاجلهم والشوتفة تقدمت عن موتى المتناولين هكذا .

اما حيث عدد المؤمنين كان ضئيلاً او عدد «المتقربين» قليلاً فكان يسمح لهم ان يتقربوا عند المذبح او بالاحرى عند الدرابزين الذي يفصل بين الخورس وبهو الكنيسة ما عدا النساء اللواتي حظر عليهن مجمع اللاذقية[٥٨] ان يقتربن من المذبح .

والذين كانوا يتقربون يقبلون القربان على اكفهم وهم وقوفاً .

وقد تلاشت هذه العادة عندنا منذ تأثرنا بعادات اللاتين . وعادة المناولة ركوعاً لا تعتبر عندهم قديمة العهد بل يثبت العلماء انها ليست اقدم من القرن التاسع وانه ما اضمحلت تماماً عادة التقرب وقوفاً في اوروبا قبل القرن السابع عشر.

اما قدمية التقرب وقوفاً في الشرق والغرب فمحفوظة الاثار في كيفية تقرب الكاهن المحتفل والاسقف وسائر الكهنة في القداس المشترك

وقد اظهرت الآثار التصويرية في القرن الخامس ان المسيح دار على تلاميذه يناولهم وهم وقوفاً[٥٩] اما المتناول فكان عليه ان يغسل يديه سابقاً فيقبل اولاً (يد الذي يناوله) ويقدم له يديه بالشكل الذي وصفه لنا الدويهي ثم يمسح بالقربان حواسه ماساً به عينيه — وهذه عادة سريانية صرف اول من ذكرها افرعات[٦٠] ثم يصلّب به على وجهه او جبهته فيقبله ثم يأكله لاحساً كما يلحس الكلب سيده على حدّ ما يقول افرعات[٦١] . وفي هذه الاثناء يرتل الشمامسة والخورس مع الكاهن المحتفل والشماس الموزع، الابيات المعروفة بعد (عبيدك والساجدون لك) . وليست العبرة في النصوص الحالية بل لعلّ في اول عهد الكنيسة مقاطع خاصة فقدناها اليوم كانت ترافق توزيع القربان على المؤمنين . وربما المزمور ١٤٥/١٤٤ (أعين الكل اياك تترجى وانت تعطيهم الطعام في حينه)[٦٢] ، ثم المزمور ٣٤/٣٣ كانا مستعملين عند الحاجة انما الاكيد ان بعض الآيات منها محفوظة حتى ايامنا في الطقوس السريانية : (حيث يقول ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب). وهذه الآية مذكورة في كل الآثار المسيحية الاولى التي تصف اشتراك المؤمنين بالقربان المقدس .

عندما يكمل الكاهن شوتفة الشعب، يعود صاعداً الى درجة المذبح فيرفع الصينية بين أنامل يديه ويقدمها لله عن انفس الموتى اذ يقول : اقبل يا رب قربان ساجديك واصفح برحمتك عن انفس موتاهم . وعند تمامها يضع الصينية فوق الكأس فيضبط الصينية بيمينه والكأس بشماله ويرفعها اذ يقول : ايها الملك السماوي اقبل قرابين عبيدك ...[٦٣] وليس ما يمنع ان يكون الكاهن قد بدأ بالصلاة المتغمة لاجل راحة الموتى المؤمنين من حين توجهه الى المذبح حاملاً بيديه ما تبقى من القربان الفاضل عن شوتفة الشعب، فان الابيات المحفوظة في طبعة سنة ١٥٩٤ تحتوي على قطعتين انتقاليتين لا تجدهما في

الطبعات الجديدة مما عدّد الوقت حتى يصل الكاهن الى المذبح ويصنع الاشارات الوارد ذكرها في نص الدويهي .

والسبب في الصلاة لاجل الموتى مع رفع الاشكال المقدسة المتبقية يعرضه الدويهي قائلاً « ان البرشانة تقسم مثالثة فالتي تعطى للاحيا. (كاهن وشعب) تدل على مقامهم في هذه الحياة والتي توضع في الكأس تدل على مقام المطوبين في المجد والتي تتأخر الى ما بعد المناولة تدل على مقام الموتى . فالاحيا اتحدوا مع الرب في السر المقدس بواسطة المناولة والمطوبون قد اتحدوا معه في المجد بواسطة المشاهدة واما الاموات الذين ما صار لهم ان يتحدوا معه في السر ولا في المجد فقد رسمت البيعة ان تقدم عنهم الجزء الذي انقسم وتأخر لاجلهم حتى يوصلهم الله الى الشركة معه في المجد ولذلك نرفعه هنا بين ايادينا ونقدمه عنهم حتى مثلما هو بقوته ما ترك جسد ابنه يرى الفساد بل اقامه بمجد عظيم من بين الاموات واصعده الى السما. كذلك يتيمهم برحمته ويصعدهم الى حيث هو»[٦٤] .

بهذا ينتهي زياح الشرتفه لكن الرتبة لا تنتهي به بل بزياح الاسرار الاخير حيث يدور الكاهن امام كل الشعب وهو ضابط بيديه الاسرار اذ يقول بصوت مرتفع : « ايضاً وايضاً بك يا رب نحن معترفون والتماجيد لك مقربون لانك اطعمتنا جسدك واسقيتنا دمك الحي . . .

وعندي ان هذا الزياح الاخير هو اول زياح للقربان المقدس عرفه التاريخ والثانية منه الاولى والاخيرة هي رفع القربان المقدس بشكليه امام الشعب لمباركته وتثبيت ايمانه ولشكران المسيح على نعمه « فيرجعون الى بيوتهم مسرورين . والمراد بتكرار لفظة « ايضاً وايضاً» . . . هو ان بيعة الله مؤمنة أمانة ثابتة بأن جسده قد هرق اولاً على الصليب وها هنا هرق في السر لمغفرة الخطايا . ثانياً « لانه في رفعة الاسرار فوق الرأس قلنا نعم يا رب على التحقيق والتوكيد آمنا ونؤمن كما آمنت بك البيعة المقدسة » . « فذلك الاقرار بنفسه نكرره ها هنا اذ نقول ايضاً وايضاً وكما اننا هناك اقررنا بتثليث الاقانيم وتجسد الكلمة كذلك ههنا يصير الاقرار بالحقيقتين»[٦٥] .

هذا الزياح هو افضل تراث محفوظ لنا وبه نمتاز عن الكثير من الكنائس الشرقية والغربية ولو اجتهدنا في تبيان نصوصه ومعانيه لربحنا خيراً جمًّا لنا ولمؤمنينا .

اما تاريخ انتظامه في قداسنا مبدئياً فهو بدون شك من القرن الاول اذ جاء على ذكره يوستينوس في دفاعه الاول[٦١] .

اما كيف كانت نصوصه وحركاته بالتمام فهذا امر لا يمكن مراقبته الا بالعودة الى المخطوطات والمقارنات الطقسية مما يتعدى نطاق هذا الدرس .

٥ ــ هل من زياح لنقل القرابين بعد الانجيل ؟

ان البحث عن وجود زياح لنقل القرابين بعد الانجيل ينطوي على نتائج البحث السابق له عن تاريخ هذه النقلة وضرورتها . وعندي ان الذين بحثوا هذا الموضوع مؤخراً والذين استنتجوا وجود هذه النقلة عند الموارنة قد تورطوا في استنتاجاتهم لانهم لم يراعوا اصول الابحاث الطقسية وبدأوا من حيث كان يجب ان ينتهوا .

هناك اذاً مقدمات لا بد منها ولا يسوغ تناسيها الا اذا اتخذنا مؤلفاً غريباً أكل الدهر عليه وشرب كنبراس سيضيء لنا ونهتدي به ولكن على غواية اذ ان الضال لا يمكنه ان يعلم الجاهل .

١ ــ ان ابحاثنا في الطقوس مرتبطة بواقع محسوس وتاريخي يفترض اصولاً متعددة لا يمكن التغاضي عنها . ومنها اننا مرتبطون بذات الفعل بالشكل الهندسي الذي نتصوره في فكرنا او تحققه في الواقع عن بناء . كنائسنا التي اما أن تسمح او لا تسمح بان تجري فيها نقلة للقرابين . وكنائسنا بدون شك لم تكن ابداً على شكل واحد لكن من المؤكد انها لم تتسع ابداً ليكون فيها مذابح وخلوات متعددة كما هي الحال في البناء البيزنطي والروماني مثلاً .

٢ ــ التقدمة شيء والنقل مع زياح القرابين شيء آخر . والاولى لا تفترض الثاني والقداس عامة والماروني خاصة لا يفترض حتماً وجود تقدمة بالمعنى اللاهوتي : يعني ان التقدمة إما تفهم بصمدة القرابين اي اعدادها على مذبح القداس وهذا حدث طبيعي لا بد منه ، واما ان تعني حركة طقسية يقصد منها الصلاة لله ليقبل القرابين المعدة لتتحول الى جسد المسيح ودمه[٦٢] . ولكن كلاهما قد لا يدخلان حتماً في طقس القداس بصفته ذبيحة العهد الجديد ، خصوصاً وان صمدة القرابين عند الموارنة السريان هي مبدئياً ذبيحة ملكيصادقية ولها علاقة بالبواكير

والتقادم المأخوذة من الاملاك والبساتين ܠܩܘܪܒܢܐ ܘܠܥܘܗܕܢܐ ܕܡܝ̈ܬܐ وهي ذبيحة منفصلة نظرياً théoriquement عن ذبيحة الكلمة (القراءات الناموسية والتي يليها اخيراً ذبيحة السر (افخارستيا العهد الجديـد) . وصمدة الاسرار اصلها المأدبة التي كانت بدون شك في بداية الاجتماع Agape ثم التقادم التي كان المؤمنون يأتون بها من بيوتهم ولا يعقل ان يمسكها كل بيده من اول الاجتماع حتى تنتهي ذبيحة الكلمة « او رتبة القراءات » .

اما نقل القرابين مع كشفها فهذا كان يجري فقط في الكنائس الموجود فيها مخبأ او خزانة او مائدة خصوصية « πρόθεσις برودسيس » مجاورة للمذبح الكبير وكان يجري ذلك بعد تلاوة الانجيل فيما لو كان هناك موعوظون . . . ولكن في اي امكنة وفي أي عصر كان الموعوظون يشكلون طبقة خاصة من المؤمنين وهل يجوز افتراضهم منذ بدء الكنيسة وفي كل اقطار العالم المسيحي ؟ هذا مردود اليوم بمحض العودة الى المنطق والتاريخ العام وقطع النظر عن التاريخ البيزنطي والروماني .

٣ — قياس البحث في الامور الطقسية هي النصوص المستعملة والنصوص يجب ان تتكلم عن نفسها اي عن معانيها وعن غاياتها وعندئذ تصدق ، ويزيد في تفسير النصوص وتوجيه معانيها الحركات التي ترافقها اذا كانت توافقها ويزيد في تفسير النصوص والحركات المحيط والبناء الذي تجري فيه والالحان التي ترتل بها او هي قابلة الترتيل بها فيما لو كانت موزونة شعراً .

والحال ليس في نص « انا هو خبز الحياة » ما يلزم كونه مرافقاً لنقل الاسرار اي القرابين من موضع الى آخر مع العلم اننـا لا نملك اليوم النص الاصلي الاصيل لهذه القطعة[٦٨] .

اما الذين ارتكزوا على آراء ومصادر الاب هانسنس Hannssens فكان الاولى بهم ان يعودوا إما الى مؤلفات احدث منه[٦٩] وأوسع اطلاعاً واما ان يقوموا هم بما لم يتوفر للاب هانسنس ان يقوم به وهو الذي صرح لي في مقابلتي له في روما سنة ١٩٥٦ ان اقباله على درس ونشر موضوع مؤلفـه ضرب من الجنون والهوس الشبابي فـان الموضوع اكبر بكثير من ان يستوعبه شخص واحد . وكنت حينئذ اطالبه بتكميل كتابـه بخصوص الاجزاء الاخرى عن

الفروض الالهيــة الشرقية التي كنت اسعى لوضع اطروحتي عنها وقد اقر ان الكلام المجازف دفعه الى اخطاء وعرضه الى اخرى مما حدا به الى الاعراض عن اتمام المؤلف الذي بدأ به . اما أخوه بالرهبنة العلامة يونمبان فقد توفق فوق كل مزيد في كتابه عن القداس الالهي والمصادر الذي يسردها تفيد جـداً للباحث عن القداس الشرقي[٧٠] .

٤ — قد يكون هنــاك سبب وجيه لزياح القرابين بعد الانجيل في تلك الكنائس التي درجت لديها عادة حفظ جزء من قربان سبق تقديسه ليدمج في القربان الجديد ، ولكن هل من أثر لمثل هذه العادة عندنا ؟ [٧١] . وأين ابتداء الكنيسة السريانية من القرن الرابع عشر الذي تم فيه ترتيب الدخلة الكبرى البيزنطية لنقل القرابين ؟

وهناك تفاصيل عديدة لا مجال لسردها تثبت لنا ان لا زياح للقرابين بعد الانجيل عند الموارنة ولعل المقاطع والنصوص المقولة عندئذ هي لمرافقة الانجيل في عودته من المنبر الى المذبح مع العلم ان انشودة « انا هو خبز الحيــاة » لا تقال كل يوم بل هناك غيرهـا لايام الاسبوع كلها ولأغلب الاعياد الربانية والمريمية واعياد القديسين كما ان هناك انشودة يقولها الخادم في هذا الوقت شبه كرازة (ولعل الانشودة الاولى جزء من هذه الكرازة) تقول « فلنقف كلنا مصلين » وهذه لا علاقة لها بزياح القرابين ولا بنقلها .

اخيراً ان المعروف عن الطقس الاورشليمي المحفوظ حتى عند اللاتين اليوم (الدومنيكان والكرمليين القدماء. الخ.) انه يصمد القرابين منذ اول رتبـة القداس . فاذا تذكرنا ان الطقس الاورشليمي المذكور انتقل الى اوروبا اقلّـه منذ القرن الثاني عشر ، وأن تأليفه هو عين تأليف القداس السرياني من جهة تركيب الرتب والحركات الظاهرة ، وان نصوص بولس الرسول تفترض وجود المآكل والمشرب في المحـل نفسه الذي تجري فيه من بعد « رتبة تذكار آلام المسيح وموته حتى مجيئه » وأن القرابين المصمودة على المذبح تبخر لوحدهـا كل مرة يبخر المذبح ، اعتبرنا ان صمدة القرابين عند السريان الموارنة ثابتة في بداية القداس وبالتالي من المستحيل افتراض زياح لنقل القرابين بعد تلاوة الانجيل ، اللهم الّا اذا اهتممنا بتأمين نظرية بعض اللاهوتيين اللاتين الذين يريدون جمع

التقدمة الى الذبيحة عن اقرب طريق بالرغم من ان الشرقيين السريان لم يعيروا أية اهمية لمثل هذا الجمع بين التقدمة والذبيحة ولم يعتبروها ابداً من ضروريات الذبيحة في ما عدا اعداد القرابين على المذبح بقطع النظر عما قد يعني مثل هذا الاعداد بالنسبة للذبيحة السرية .

ختام

ليس لدي ختام افضل من ان نستوحي المعلم غوارديني لننهي بعبارات من روحه هذا البحث عن الزياحات في القداس الماروني . يقول غوارديني : ان الاختصاصيين خطرون في كل آن وأين وهم اشبه بالذباب والديدان يمتصون الحياة من صاحبها رويداً رويداً الى ان يفتقر دمه وينسل[٧٢].

« لكن عندما يتدخل الاختصاصيون في امور الهيكل والمعبد فليس اخطر منهم واحرى بغضبنا » .

ان الرجل البسيط الذي يرتاد الكنيسة عند الاحتفال بالقداس الالهي والذي لا يرغب سوى في تقديم واجب الخضوع والعبادة لله ، والمرأة الفقيرة ، التي حنت ظهرها اثقال الحياة والتي تأتي الى الهيكل لتجد شيئاً من السلوى عن اتعابها واحزانها ، وكل جمهور المؤمنين الذين يتقربون من المعابد ليقووا ايمانهم بالرغم من صلابة قلوبهم وينهلوا الشجاعة الكافية للقيام بواجباتهم اليومية النكداء ، كل هؤلاء يفقهون جوهر الطقوس ويشعرون بها اكثر من اختصاصي يسعى مثلاً لادراك جمال حركة او مقطع من النافور او من التقدمة او من الكرازات او ليستوعب عن طريق التحاليل والتواريخ والمقابلات قيمة زياح الاسرار او زياح الانجيل المقدس في القداس الماروني[٧٣].

« ... انما الطقوس والرتب وضعت قبل كل شيء لتكون اداة لخلاص النفوس » .

وجوهر الطقوس ليس في جلال الحركات والمواقف ولا في وقع الانغام ولا في صدى التعابير والنصوص الخطابية كما لو كنا نحضر تمثيل رواية روحية او

دراما مقدس Auto espiritual o drama sacro . كلا بل جوهر الطقوس في ان تخطو بواسطتها تلك النفس المخلوقة على صورة الله خطوة جديدة تقربها اكثر فأكثر الى الله الذي خلقها .

... وجمال الطقوس لا يظهر الا لمن يتولّع بحقيقتهـا سابقاً . واستيعاب جمال الطقسيات في قداسنا الماروني يتحقق لكل واحد بنسبة امكانياته الشخصية من ثقافية ونفسانية وصحيّة ومن ذوق نوّرته بعض المعلومات التاريخية الصادقة ووجهه شيء من الانتباه اما للنصوص المسموعة او لتلك التي تتلى بجهة الكاهن المحتفل في كتاب يدل المؤمن ويرافقه الى الكنيسة ليكتشفها . جعلنا الله ممن يسعون السعي الحسن ويقرعون ليفتح لهم .

لمحة تاريخية

عن

أشهر مؤلفي الطقس الكلداني ومنظميه

بقلم الخوري افرام بدي

المقدمة

فخر الأحفاد في تراث الأجداد. وعلى اهمية التراث يُقاس مجد تاريخ الأمة وفخرها. فلما كان فرض الطقس الكلداني من أهم ما أورثه لنا آباؤنا وملافنتنا الاجلاء، صممنا ان نتطرق الى بحث أهم مواضيع واقسام استورثناهـا من هؤلاء الملافنة الدارجة اغلبها حتى الآن في طقوسنا الحالية . وعليه سوف ندوّن جدول أشهر المؤلفين الآراميين من الاجيال الاولى للمسيح حتى فجر الجيل العشرين . اما هؤلاء المؤلفون والكتّاب فهم على مختلف كنائسهم الآرامية : شرقيين كانوا أم غربيين .

وانا في هذا البحث نلفت انتباه القارئ الكريم الى اننا نعني هنا بكلمة الطقس « الصلاة الفرضية » اذ ان كلمة الطقس (الليتورجية Liturgie) في معناها الواسع تعني القداس والفرض . ولما كان هدفنا من هذا البحث الفرض الكلداني وأقسامه بحسب استعمال الكنيسة الكلدانية ، فضّلنا ان لا نتوسع في البحث وان لا نتكلم على طقس القداس الالهي الذي وحده يتطلب بحثاً دقيقاً خاصاً وان لا نذكر الآباء والملافنة الذين عملوا في تصنيف او ترجمة القداس كمار آبا الذي ترجم قداس الرسل لمار أدي ومار ماري من اليونانية الى الكلدانية . غير اننا عندما نأتي الى ذكر احد مؤلفي فرضنا الكلداني سوف ننتهز الفرصة ونذكر بعضاً من تآليفه الخارجة عن موضوع صلوات الفرض الكلداني .

مار يعقوب اسقف نصيبين
(٣٠٩ - ٣٣٨)

في مدينة نصيبين أشهر مدن الشرق بالقديسين والملافنة والعلماء. وُلد واشتهر أحد عظماء القديسين الكلدان في الجيل الرابع وهو مار يعقوب الملقّب بالنصيبيني. ومدينة نصيبين كانت تُدعى ܡܕܝܢܬ ܬܚܘܡܐ (مدينة الحدود) . اي كانت تقع على حدود المملكتين الرومانية والفارسية. ومن ألقاب هذه المدينة: ترس المدن المحصنة . رئيسة ما بين النهرين . رئيسة المغرب . أم العلوم . مدينة المعارف وام الملافنة . فيها فُتحت اول مدرسة في الشرق أسسها مار يعقوب بمعاونة تلميذه مار افرام . اما مار يعقوب فصار اسقفاً على نصيبين سنة ٣٠٩ . شيّد فيها كنيسة فاخرة قُبر فيها عند موته . حضر المجمع النيقاوي مع مار افرام سنة ٣٢٥ .

تآليفه هي بالأكثر عن الصلاة والفضائل الإلهية والأدبية وحياة السيد المسيح والتاريخ . ومن الجدير بالذكر ان لمار يعقوب الفضل الاول في افتتاح وانشاء مدرسة نصيبين التاريخية الشهيرة التي طار صيتها وبرز فيها أشهر علماء ومؤلفي طقوس الطوائف الآرامية عامةً والطقس الكلداني خاصة . فكانت نبراس الفضيلة والعلم يشعّ منها مدفقاً أنواره على آفاق الكون باسره مدة أجيال عديدة ومن البارزين فيها كالقديس افرام ونرساي الملفان وابراهام ابن اخيه ومار آبا وبولس الفارسي وبرصوما وهوشاع الثاني واليشاع بر قوزباي ويوحنان دبيت ربان وغيرهم . . .

لقد أتى ذكر القديس يعقوب عند كافة الطوائف الشرقية . وعند الكلدان بقي في الجمعة الاولى من سابوع الصيف .

مار شمعون برصباعي البطريرك
(٣٢٩ - ٣٤١)

كان جاثليق المسيحيين على كرسي المدائن بالشرق الفارسي . توفي شهيداً في يوم جمعة الآلام ١٧ نيسان سنة ٣٤١ في الاضطهاد المدعو « الاربعيني » مع عدة اساقفة وكهنة وشمامسة[1] .

(١) تاريخ كلدو وآثور للسيد ادي شير ، ص ٦٨ (بيروت ١٩١٢) .

جا. في تريخ السمعاني والسيد أدي شير والاب نصري وكتاب ܡܫܡܫܢܘܬܐ ܕܥܕܬܐ ܗܘܦܟܐ أن مار شمعون هو الاول الذي ادخل في الكنيسة المشرقية ترتيب تلاوة الصلوات القانونية بصفين متقابلين (ܚܘܕܪܐ) . اخذ هذا النظام عن القديس اغناطيوس اسقف انطاكيا الذي كان قد وضع هذا الترتيب في كنيسته حسبما جا. في المخطوط المدعو ܡܫܡܫܢܘܬܐ ܕܥܕܬܐ ܗܘܦܟܐ ص : ٤٥ الذي يذكره عبد يشوع الصوباوي وهذا نصه : «ܐ̈ܢܫܝܢ ܡܢ ܡܠܦ̈ܢܐ ܥܕܬ̈ܢܝܐ ܐܡܪܝܢ ܕܐܓܢܛܝܘܣ ܝܗܒ ܕܢܫܬܡܫ ܒܥܕܬܐ ܒܬܪܝܢ ܓܘܕܝܢ ܐܝܟ ܕܚܙܐ ܗܘܐ ܒܚܙܘܐ ܠܡܠܐܟ̈ܐ ܕܗܟܢܐ ܒܬܪܝܢ ܓܘܕܝܢ ܡܫܡܫܝܢ ܗܘܘ ܠܬܫܡܫܬܐ ܐܠܗܝܬܐ».
أي : «ان بعضاً من الكتّاب الكنسيّين يقولون انّ اغناطيوس وضع ان يصلّوا في الكنيسة بصفين متقابلين حسبما شاهد في الرؤيا ان الملائكة هكذا كانوا يخدمون العظمة الالهية بصفّين متقابلَين » .

ومار شمعون هو الذي قسم مزامير داود النبي الى ܡܪ̈ܡܝܬܐ ܘܗܘ̈ܠܠܐ. وألف صلاة: ܫܘܒܚܐ ܠܟ ܡܪܢ ܕܒܪܬܢ... ثم ܠܟ ܡܪܐ... ܡܪܢ ܫܡܝܢܐ.. ܒܫܡܐ ܕܬܪܥܝܬܐ ܘܒܫܘܠܐ اذ كان يقدس في السجن اخير قداسه يوم خميس الفصح ١٦ نيسان سنة ٣٤١ . وألّف ܐܦܢ ܥܠܝܢܘܢ... بينما كان يشجع الشهدا. اثنا. الاستشهاد. تُرتل هذه الانشودة في قداس الاحد الجديد .

مار افرام الملفان

(+٣٧٣)

وُلد مار افرام في بد. الجيل الرابع في نصيبين من أب كان كاهناً وثنياً فتلمذ واعتمد على يد مار يعقوب النصيبيني احد آبا. المجمع النيقاوي . امتنع عن اقتبال الكهنوت تواضعاً منه فمكث شماساً طيلة حياته . بعد ان قضى وقتاً ما في آمد ذهب فسكنَ الرها (أورهاي Edesse) حيث توفي في ٩ حزيران سنة ٣٧٣ . انه على رأي المؤرخين الأشهر بين آباء الكنائس الآرامية وسيرة

حياته كُتبت قليلًا بعد وفاته ومن جملة الواقفين على حياته القديس غريغوريوس النصيبي وبلاديوس[1] .

من تآليفه : شرح الكتاب المقدس بعهدَيه القديم والجديد . وهو الأقدم بين مخلفات آباء الكنيسة الآرامية . اما العهد الجديد فكان مطابقاً للدياتسارون (انظر شابو ٢٥-٢٦) . وله ايضاً مداريش ومياسر وتراتيل وتسابيح وتراجم وقصائد (ܣܘܓܝܬܐ) عديدة . من المداريش التي تقال في الاحد الرابع للسوبار « ܒܪܝܟ ܣܘܒܪܟ ... » ثم « ܡܫܘܚ ܒܪܐ » . ومن السوغيثات المجموعة التي نشرها الاب يوسف قليتا في الموصل سنة ١٩٢٦ . ومن تسابيحه « ܠܟ ܡܫܒܚܢܘܬܐ ܐܠܗܝ ... » ومن الجدير بالذكر النبذة عن حياة القديس وتآليفه في كتاب ܡܕܪܫܐ ܦܫܝܛܬܐ ما تعريبه : « لقد أورث لنا مار افرام (كنارة الروح ونبي السريان وشمسهم شعاع العلم . عمود الكنيسة المعلم الكبير . والمفسر العظيم مار افرام) كنزاً ثميناً وغنياً من الكتب شعراً ونثراً تفوق الوصف . . . » ومن جملة تآليفه في حقل الطقس الكلداني صلوات فرض الباعوت (ܒܥܘܬܐ) وفرض الموتى . وتسابيح مثل :

ܡܫܒܚ ܡܪܝ ... ܢܘܗܪܐ ܕܢܚ ܠܥܘܡܩܐ . ܘܐܝܠܝܢ ܢܦܩܐ
ܘܣܕܪܬܗ . ܘܡܪܝ ܡܫܘܚ . ܘܫܘܢܝ ܙܒܢܐ . ܘܚܘܫܒܐ
ܐܡܝܢ . ܘܢܗܪܐ ܘܚܫܘܟܐ . ܘܕܪܝ ܐܡܬܐ . ܘܠܟ ܡܫܒܚܢܘܬܐ
ܐܠܗܝ . ܘܡܫܒܚܢܘܬܐ ܕܟܝܢ . ܘܡܘܬܒܐ ܕܝܘܡ ܘܕܠܠܝܐ ܕܢܚ
ܕܟܠܐ . ܘܫܘܒܚܐ ܡܢ ܟܘܠܢܐ . (ܐܡܝܢ) : ܡܕܢܚܐ ܐܬܐ ܗܘ
ܘܫܡܫܐ ܕܫܝܢܘܬܐ . ܘܠܐܝܠܝܐ ܡܪܝ . ܘܡܕܒܪܐ ܡܫܒܚܢ
ܘܡܫܒܚܝܢ ܠܡܪܝܢ . ܘܡܫܡܫ ܗܘ ܟܠܝܠܗ . ܘܫܘܒܚܐ ܕܟܠܐ
(ܐܡܝܢ) : ܕܡܫܒܚ ܗܘ ܟܕ ܐܡܝܢ . ܘܐܠܗܝܢ ܡܪܝܐ . ܘܠܠܡܝܢ

(١) طالع سيرة مار افرام المفصلة في تاريخ كلدو وآثور للسيد ادي شير ، مجلد ٢ ، ص ٤٦ . وذخيرة الأذهان للاب نصري . وسيرته طبعة الآباء الدومنيكيين في الموصل . وكتاب ܡܕܪܫܐ ܦܫܝܛܬܐ والآداب السريانية لشابو ، ثم كتاب A. Baumstark : *Geschichte der syrischen literatur*, (Bonn 1922) والسماني طبعها في روما سنة ١٧٤٣ .

ܡܫܡܠ ܟܢܪ ܠܗ . ܘܢܝܚܐ ܕܦܬܓܡܐ . ܘܢܝܚܐ ܘܡܠܐ ܕܝܫܡܐ .
ܘܦܬܓܡ ܡܕܪ . ܘܐܡܪ ܐܠܗܐ . ܘܐܠܗܐ ܡܕܝܢܚܐ . ܘܦܠܘܓ̈ܝ
ܡܕܝ ܐܢܘ . ܘܡܟܝܢܐ ܟܢܐ ܠܗܘܢ . ܘܡܟܦܠ ܘܠܐ ܡܕܝܢܐ . . »

وغيرها التي جعلته ان يسبق الاولين والآخرين...[1].

وجاء في تاريخ كلدو وآثور : انه اتى في التاريخ السعردي ان لمار افرام قداساً يقدس به الملكيون . وكان يقدس به النساطرة ايضاً في نصيبين الى ايام مار يشوعياب الحديابي الذي رتب الصلوات واقتصر على النوافير الثلاث المستعملة عندنا اليوم[2].

مار افراهاط الحكيم

يُدعى ايضاً الحكيم الفارسي او يعقوب افراهاط . وُلد في بدء الجيل الرابع . وعلى رأي آخر وُلد في نهاية الثالث . مسقط رأسه بجوار نينوى وكانت حينذاك بلاد الفرس . ومن المحتمل ان مركز اسقفيته كان دير الشيخ متى . توفي اكيداً بعد سنة ٣٤٥ التي فيها كتب مقالته الاخيرة اي الثالثة والعشرين. هل ترى مات شهيداً في اضطهاد شابور الثاني الذي دام من سنة ٣٤٠ حتى سنة ٣٧٩ ؟[3].

خلّف لنا كنزاً أدبياً يتألف من ٢٣ مقالة تسمى «ܬܚܘܝܬܐ» (البراهين) على الاحرف الابجدية . والمقالة الثالثة والعشرون دعاها ܥܠ ܣܓܘܠܐ أي (العنقود) .

(طالع حياته ومؤلفاته في ܡܕܒܪ ܦܛܪܘܠܘܓܝܐ :١ صحيفة ܟܐ تم شابو : الآداب السريانية ص : ٢٣).

---

(١) ܡܕܒܪ ܦܛܪܘܠܘܓܝܐ : المجلد الاول ، ص ܠܒ.
طالع ايضاً فهرست مخطوطات برلين ، المجلد الاول ، ص ١٢٤ .

(٢) كلدو وآثور ، صحيفة ٤٧ .

(٣) cf. BAUMSTARK, p. 44

مار اسحاق الجاثاليق
(٣٩٩ – ٤١٠)

كان بطريركاً اثناء مجمع ساليق (Seleucie) الثاني حيث انتظمت الاجزاء الجوهرية لطقوسنا سنة ٤١٠ . وأمر ان الطقوس والصلوات الممارسة في كنيسة ساليق وقطيسفون تكون واحدة وتدرج في جميع الكنائس السريانية الشرقية (الكلدانية) . كان المجمع قد عُقد في كانون الثاني سنة ٤١٠ وهي السنة الحادية عشرة للملك يزدجرد . ومن جملة ما حتم به المجمع توحيد الطقوس مثلما كانت في بيعة المدائن وان لا تُقدّم الذبيحة الالهية في البيوت وان تُعيّد كل الكنائس سوية اعياد الميلاد والدنح والقيامة وتصوم سويةً . كان معاوناً لمار اسحاق في كل ذلك ، مار ماروثا اسقف ميافرقين[1]

مار ماروثا أسقف ميافرقين
(٣٩٩ – ٤٢٠)

ان مدينة ميفرقط (ܡܝܦܪܩܛ) يدعوها اليونان والعرب ميافرقين . كان اسقفها مار ماروثا في نهاية الجيل الرابع . رجل عالم وطبيب حاذق . حضر مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ (تاريخ عمرو في تاريخ كلدو وآثور ٩٩) ضد هرطقة الماقدونيين القائلين بان روح القدس ليس هو الله . وحضر ايضاً مجمع انطاكيا ضد هرطقة المصليين سنة ٣٨٣ . ومما اشتهر به ايضاً مار ماروثا ان قياصرة الرومان كانوا يرسلونه مراراً الى المدائن لعقد الصلح بين المملكتين الرومية والفارسية . واول سفرته عندما جلس يزدجرد على سرير الملك سنة ٣٩٩ . وفي معونة هذا الملك نجح نجاحاً تاماً في إصلاح أمور الكنيسة الكلدانية وعاون مار اسحاق الجاثاليقا في رئاسة مجمع ساليق الكلداني سنة ٤١٠ . وبقي في بلاد الكلدان نحو ثلاث سنين خلالها جمع قصص الشهداء الذين استشهدوا على عهد الملك شابور الثاني . من تآليفه التي يحدث عنها ايضاً مار عبديشوع الصوباوي : تراتيل ܣܗܕܐ (الشهداء) الجاري استعمالها صباحاً ومساءً في الطقس الكلداني . وكتاب ܡܕܝܢܬ ܣܗܕܐ (مدينة الشهداء) ترجمه السمعاني الى اللاتينية سنة ١٧٤٨ . وتفسير لقوانين المجمع النيقاوي وتاريخه ترجمه الى الالمانية

(١) طالع تاريخ كلدو وآثور ص ١٠٣ وتاريخ الآداب السريانية لبومشتارك .

(براون Braun O.S.C. Munter 1898) . للمرة الثالثة رجع ماروثا الى المدائن سنة ٤١٨ ليرافق يهبالاها الجاثاليق الذي ارسله يزدجرد الملك بالسفارة الى القسطنطينية ثم توفي سنة ٤٢٠ اثناء انعقاد مجمع يهبالاها في السنة عينها[1] .

يعقوب السروجي
(٤٥٢ – ٥٢١)

يعقوبي المذهب وُلد سنة ٤٥٢ في قرية كورتام في مقاطعة ساروغ . تثقف في مدرسة الرها الفارسية الشهيرة . منذ عمر ٢٢ اخذ يصنّف القصائد من جملتها عن رؤيا حزقيال ثم صار اسقفاً لساروغ سنة ٥١٩م . توفي سنة ٥٢١ . أَلَّف ܡܠܦܢܘܬܐ ܕܚܕܘܐ ܕܩܝܡܬܐ : موعظة فرحة القيامة وترتيلة للعذراء : ܬܘܠܕܬܗ ܡܕܡܪܬܐ ܕܡܫܝܚܐ ܠܥܠܡ ثم ترتيلة ܐܦ ܕܩܝܡܬܐ ...[2] وله عدة تسابيح واناشيد وميامر وقصائد مستعملة في طقس السريان . منها طبعها الاب بيجان بطبعة لايبسك بالمانيا[3] .

تأودورس المبسوطي

وُلد تأودورس في مبسوط (Mopsueste) في الجيل الخامس . ويُكنّى بالمفسّر (ܡܦܫܩܢܐ ܕܟܬܒ̈ܐ ܐܠܗܝ̈ܐ : مفسر الكتب الالهية) . اما مبسوط فكانت مدينة يونانية تقع في آسيا الصغرى . من تصانيفه المحفوظة في طقسنا الكلداني : المجد لله في العُلى على ما جاء في كتاب : ܡܢܝܢܐ ܕܟܬܒ̈ܐ ܕܡܚܒܪ̈ܐ صحيفة ٧١ « ܬܐܘܕܘܪܘܣ ܣܡܗ ܫܘܒܚܐ ܕܒܡܪ̈ܘܡܐ ܠܐܠܗܐ ... » اي ان تأودوروس هو واضع : المجد لله في العلى[4] .

له تآليف عديدة خارج المواضيع الطقسية كتفسير انجيل مار يوحنا وغيرها

---

(١) تاريخ كلدو وآثور ، المجلد ٢ ، صحيفة ٩٩–١٠١

J. B. CHABOT : *Litterat. syr.*, p. 41, Paris 1934.

(٢) فهرست المخطوطات الشرقية ببرلين .

(٣) طالع حياته وتآليفه في الآداب السريانية لشابو .

BAUMSTARK, *Geschichte der syrischen Literatur*, p. 148

(٤) ان المخطوط المدعو ܡܢܝܢܐ ܕܟܬܒ̈ܐ ܕܡܚܒܪ̈ܐ اي جدول اسماء المؤلفين يذكر من جملة المؤلفين الكلدان النساطرة حيبا الكبير الذي اشتهر في مدرسة الرها وترجم من اليونانية الى الكلدانية مؤلفات تأودورس المفسر (الآداب السريانية لشابو) .

جمها ساشو (لايبسك سنة ١٨٦٩)[1]

مار غريغوريوس اسقف شوشتر .

كان من الأهواز (الفرس) ترهب وانطلق الى نصيبين فالرها ثم ذهب الى جبل إيزلا ومنه إلى قبرص. وضع انشودة : ܐܬܬܠܡܝܕܘ ܒܟܢܘܫܝܟܘܢ قبل سنة ٤٦٦ حيث صار رئيساً على الدير لكنه عاد الى إيزلا حيث قضى نحبه. كان معاصراً لمار باباي الجاثاليقا وألّف كتاباً في السيرة الرهبانية محفوظاً في الفاتيكان ونسخة منه في القلاية البطريركية[2].

برصوما

عاش في الجيل الخامس وكان مطراناً على نصيبين. وفاته بين سنة ٤٩١—٤٩٦. تنسب اليه ليتورجية القداس ومؤلفات أخرى كتعازي وقصائد ومداريش وتسابيح مثل: ܠܟ ܡܪܝܐ... (طالع كتاب الفرض ܕܩܕܡ ܘܕܒܬܪ)[3].

ويُفيد المستشرق شابو ان برصوما عاون نرساي في تنظيم مدرسة نصيبين التي حلّت محل مدرسة الرها وأضحت المركز الاعلى للعلم عند السريان المشارقة (الكلدان)[4].

نرساي الملفان
(+٥٠٢)

من أشهر علماء كنيسة المشرق . وُلد في معلثايا[5] في بدء الجيل الخامس وتوفي في غرة الجيل السادس. ومما يجدر بالذكر هو ان مدرسة الفرس واصلت تقاليدها في مدرسة نصيبين على عهد نرساي عندما كان مديرًا لها . (طالع الآداب السريانية لبومشتارك) . من تآليفه أنشودة ܡܪܢ ܝܫܘܥ ܡܠܟ ܡܫܒܚܐ... ،ܘܡܫܝܚܐ ܕܟܢܫ ܒܐܠܗܘܬܗ.. هتان الاستاتان تتالان في ܡܘܬܒܐ ليوم الخميس الذي يلي باعوثا. قالها نرساي حين خروجه من

(١) شابو ، صحيفة ١٤٩ .

(٢) تاريخ كلدو وآثور للسيد أدي شير ، مجلد ٢ ، ص ٤٥ – (طبع ١٩١٢ ، بيروت) و ܡܕܪܫܐ لعبد يشوع الصوباوي ص ܦ (طبع ١٩٢٤ : الموصل).

(٣) مخطوط ܡܘܡܪܐ ܕܡܟܬܒܢܘܬ ܕܗܘܦܟܐ لمار عبد يشوع الصوباوي .

(٤) شابو : الآداب السريانية ، صحيفة ٤٩—٥٠

(٥) معلثايا : قرية صغيرة تقع على بضع كيلومترات غرب دهوك في شمال الموصل بالعراق .

الرها بينما كان المخالفون يضطهدون الكنيسة ويحرقون بعضاً من كتبه سنة ٤٥٧[1] وجاء في جدول مار عبديشوع الصوباوي ان لنرساي شرحاً لمدة اسفار من العهد القديم وألف مئات من المقالات . ثم «ܬܪܥܣܪ ܦܢܩܝܢ ܡܐܡܪ̈ܐ: ܬܠܬܡܐܐ ܘܫܬܝܢ ܒܡܢܝܢܐ. ܘܦܘܫܩ ܐܪ̈ܙܐ ܘܡܥܡܘܕܝܬܐ. ܘܒܘܝܐ̈ܐ ܥܡ ܬܘܪ̈ܓܡܐ. ܘܬܫܒ̈ܚܬܐ ܘܡܬܥܝܪ̈ܢܘܬܐ» . اي «ان نرساي ألف ١٢ مجلداً من الميامر بعدد٣٦٠ ، وتفسير الاسرار والعماد والتعازي والتراجم وتسابيح ومواعظ» وله ليتورجية واحدة . ومن قصائده هي طقسية مثل : ܒܫܠܡܗ ܕܡܪܢ ... ܘܫܠܡܗ ܕܐܒܐ .. ܐܘܡܬܐ ܕܒ̈ܢܝܐ ...
ܒܪ ܐܠܗܐ ܕܫܠܝܚ ... ܐ ܠܐ ܢܫܡܐ ܥܢܝܐ ܒܒܥܘܬܗ ...
ܒܨܘܡܐ ... ܒܥܢ ܠܗ ܡܪܢ ܠܒܥܘܬܗ .. ܝܪ̈ܚ ܐܠܗܐ ...
(طالع كلدو وآثور . وشابو وبومشتارك).

البطريرك مار آبا الكبير
(+٥٥٢)

اصله من الفرس وتثقف في مدرسة نصيبين ثم صار جاثاليقاً سنة ٥٤٠ — ٥٥٢ . قام بأسفار الى اسكندرية وقسطنطينية ثم صار بطريركاً على ساليق وقطيسفون . كان له إلمام في الآداب اليونانية وقام باتصالات بين كنيسة الفرس وكنيسة اليونان. في سنة ٥٤٤ عقد مجمعاً لاصلاح أمور البيعة. له تراجم وقوانين في المزامير: ܩܢܘ̈ܢܐ أي وضع صلوات قانونية للمزامير بعد كل هولال ومرميث. وضع صلاة تسبيحية للصوم الكبير : ܡܫܒܚܢܐ ܡܪܝ كما ونظّم تلاوة الصلوات في الفرض كما روى عمرو المؤرخ. مار عبديشوع الصوباوي ينسب اليه ترجمة كاملة للعهد القديم والجديد وتفاسير عن العهدين كما وله تاريخ كنيسة المشرق ترجم ليتورجية القداس التي لتأودورس المبسوطي من اليونانية الى الكلدانية . ولا زالت مستعملة عند الكلدان الكاثوليك والنسطوريين . الا ان الكلدان يطلقون على هذه الليتورجية الآن اسم «ܩܘܕܫܐ ܕܫܠܝ̈ܚܐ:

---

(١) تاريخ كلدو وآثور ، المجلد ٢ ، ص ١٣٧ .

القداس الثالث »[1]. لمار آبا ايضاً ܬܘܪܓܡܐ يُقال قبل الانجيل في ܕܘܟܪܢܐ ܕܡܪܝ ܦܬܝܘܢ[2] .

توما الرهاوي

هو من الرها (Edesse) ومرافق مار آبا الكبير. إذًا في الجيل السادس. له تآليف عن الميلاد والدنح (الغطاس) وقصيدة عن نظام السنة الطقسية — له رسالة عن الموسيقي الكنائسية (ܕܠܗܡܘܠܐ)[3]. وله تسبحة : ܕܡܫܡܫܝܢ ܠܗܘܢ ܥܠ ܣܘܟܠܗ . ܡܫܝܚܐ ܕܫܡ ... (انظر ܕܩܕܡ ܘܕܒܬܪ) .

ابراهام بيت ربان
(+ ٥٦٩)

ابراهام كان في الجيل السادس . وهو ابن اخت نرساي الملفان وخليفته في إدارة مدرسة نصيبين . توفي سنة ٥٦٩. له تفاسير عن الكتاب المقدس وقصائد وعونيتان (أناشيد) ومقالات جدلية . وله ايضاً مداريش وتركيب مقالات وتسابيح منها تسبحة : ܫܬܩܦ ܥܠ ܝܠܕܬܗ ܕܒܟܒܝ̈ܐ ...[4] (طالع كتاب الفرض ܕܩܕܡ ܘܕܒܬܪ).

خنانا الحديابي

حدياب هي في جوار اربيل (في العراق) . شهرته سنة ٥٧٠ — ٥٨١ . درس في نصيبين تحت ادارة ابراهام ابن أخي نرساي . ثم صار رئيساً على مدرسة نصيبين سنة ٥٧٢ . له تصانيف في جمة الذهب : ܥܢܘܬܐ ܕܕܘܟܐ

(١) الآداب السريانية لشابو ، صحيفة ٥٣ ؛ وبومشتارك : تاريخ الآداب السريانية — الملخص ص ٤٥ .

(٢) ܟܬܒܐ ܕܬܘܪܓܡܐ لقس قليتا ، ص ܡܗ وفهرست مخطوطات برلين .

(٣) CHABOT, *ib.*, p. 54; BAUMSTARK, *ib.*, p. 121

(٤) فهرست مخطوطات برلين : المجلد ١ ، صحيفة ١٢٥ .
شابو ، صحيفة ٤٢ .
كلدو وآثور ، ٢٧٦ .
السمعاني في أدي شير ١ : ٧٢ .

التي تلي العنصرة. ومقال عن اكتشاف الصليب المقدس وموعظة لأحد الشمانين وقانون الايمان في العماد حسب الاعتقاد النسطوري[1]. له ايضاً ܡܫܬܐ ܘܕܡܟܬܐ ܠܘ ܢܦܫܐ ... (ܕܫܢܝܢ ܘܕܒܝܬܐ).

باباي ܒܪ ܢܨܝܒܢܝܐ (ابن النصيبين)
(+ ٥٨٨)

أصله من بلاد الفرس . وكان تلميذاً في دير مار ابراهام الكشكري في إيزلا. توفي سنة ٥٨٨ • من تصانيفه : ܡܐܡܪܐ ܠܬܫܡܫܬܐ ܕܥܠܝܡܘܬܐ ܘܐܕܫ ... ܡܫܬܐ ܘܕܡܟܬܐ ܘܡܬܢܝܚܬܐ...(ܕܫܢܝܢ ܘܕܒܝܬܐ) . له ميامر عن التوبة وعدة تسابيح . طالع تآليفه في كتاب الآداب السريانية لشابو وبومشتارك[2].

عنانيشوع الراهب
(الجيل السابع)

كان معاصراً ليشوعياب الثالث. وكان في شبوبيته رفيق الدرس ليشوعياب الثالث الحديابي . فصار مساعده في تنظيم الصلوات الفرضية والطقوس اذ كان ماهراً في فن الموسيقى[3] . وجاء في كتاب الرؤسا. (ܟܬܒܐ ܕܪܫܢܐ) لتوما المرجي[4] ما يلي: «انتدب يشوعياب الحديابي لمعاونته في تنظيم الطقوس» عنانيشوع الراهب . وعنانيشوع هو مؤلف ومنظم النسخة الثانية لكتاب فردوس الآباء الغربيين (ܦܪܕܝܣܐ ܕܡܥܪܒܐ)[5] . وكان هو واخوه يشوعياب (وليس هو يشوعياب البطريرك) من بلد حدياب ودرس كلاهما في مدرسة نصيبين وترهبا في الدير الكبير . وزار عنانيشوع الاراضي المقدسة وارض الصعيد ... وكان

(١) A. Baumstark, *ib.*, p. 127 وتاريخ الكردينال تيسران، تعريب القس الصائغ (هو المثلث الرحمة المطران سليمان الصائغ)، صحيفة ١٥٥

(٢) A. Baumstark, *ib.*, p. 132

(٣) J. B. Chabot, *Littérature syriaque*, p. 100

(٤) مجلة النجم ، ايار ١٩٣٥ .

(٥) يذكر السيد أدي شير في تاريخه كلدو وآثور (مجلد ٢ ص ٢٨٦) ان الاب بيجان طبعه سنة ١٨٩٧ وعلى رأي المستشرق شابو: الآداب السريانية ، صحيفة ١٠٠ « لقد نظم وأضاف عنه نيشوع على نسخة فردوس الآباء الأصلية المنسوبة الى بلاديوس والقديس هيرونيموس » .

عالماً في الطقوس والموسيقى. فالمؤرخ توما المرجي يؤكد لنا انه كان لمانيشوع أخ طبيعي اسمه يشوعياب وليس يشوعياب البطريرك الحديابي[١].

باباي الكبير
(+ ٦٢٧)

كان باباي من ܒܝܬ ܥܝܢܬܐ في مقاطعة بيت زبداي وكان معلماً في مدرسة نصيبين ثم دخل دير إيزلا حيث كان مار ابراهام الكشكري رئيساً ثم خلف ابراهام مار داديشوع في الرئاسة ثم باباي الكبير. له ٨٤ مؤلفاً طقسياً وتاريخياً واجتماعياً وعلى ما جاء في جدول مار عبديشوع الصوباوي وفي مجموعة تراجم طبعة الموصل للأب قليتا سنة ١٩٢٦ ان تسبحة ܒܪܝܟ ܚܢܢܐ ܕܒܬܘܠܘܬܗ .. تعود الى باباي وكذلك ܫܘܒܚܐ ܕܝܘܡܐ: ܫܘܒܚܐ ܠܟ ܐܠܗܐ (ܕܨܦܪܐ ܘܕܪܡܫܐ) ܘܐܦ ܕܫܒܥܬܐ ܫܒܝܚ ܒܫܘܒܚܐ (ܕܨܦܪܐ ܘܕܪܡܫܐ). وله كتاب في انتصارات العذراء التي تُذكر في مدار السنة وفي بقيّة الاعياد والتذكارات. وله ايضاً ميامر وصلوات عديدة (تاريخ ذخيرة الأذهان للاب نصري).

يوحنا ܒܪ ܦܢܟܝܐ (برپنخاي)

في أواخر الجيل السابع. أصله من پنك من بيت زبداي على ضفاف الدجلة شمال مدينة الموصل (العراق). من مؤلفاته سبع مجلدات. منها لاهوتية وتاريخية وعن الحياة الرهبانية. وكتب ܪܘܫܡܐ (رُبُط) ܘܡܫܡܠܝܬܐ (كمالات). ألف ܚܠܡ ܕܝܠܕ ܕܡܠܟܐ ܘܕܒܝܫܐ. ثم ܡܕܪܫܐ ܟܠܗ ܥܕܢ..[٢] وصلاة ܕܠܡܫܪܐ (ܘܟܠ ܐܦܝ...). ثم صلوات فرضيّة للأحد

(١) النجم: السنة الاولى: عدد ٧، صحيفة ٣٠؛ وتاريخ كلدو وآثور، صحيفة ٢٨٦ (مجلد ٢).

(٢) في كتاب مخطوط: ܚܕܪܐ في الموصل يذكر ان ܡܕܪܫܐ ܟܠܗ هي من تآليف القس شمشا صيدنايا. كما وورد في مخطوطة القس وردا لعازار سنة ١٧١٥ (بين فهرست مخطوطات برلين) مجلد ١: مخطوطة ٦٥، صحيفة ١٤٤ ان القس شمشا ألف عونية ܡܫܒܚܝܢ ܠܐܠܗܐ ܚܢܢܐ ثم ܩܘܡ ܡܫܝܚ ܕܡܫܒܚܐ ܠܐܒܐ..

الجديد والروح القدس والباعوث . (طالع ܡܕܪ̈ܫܐ لعبديشوع الصوباوي صحيفة ܟܘ)[1] .

البطريرك يشوعياب الثالث

الجاثليق الحديابي (أربيلي). بطريركيته سنة ٦٥٠ — ٦٦١ . اليه يرجع ترتيب كمال الفرض الالهي . ما عدا ܚܘܕܪܐ . رتّب الطقس نهائيًا ونظمه بمساعدة الراهب عنانيشوع . حتم على كل الكنائس ان تسير بموجبه دون زيادة او نقصان وتمّ ذلك في الدير الأعلى (ܕܝܪܐ ܥܠܝܐ ܕܡܪܝ ܓܒܪܐܝܠ) في جهة الموصل الشمالية على ضفة الدجلة . ورتّب السنة الطقسية على حياة المخلص : ܡܕܒܪܢܘܬܐ . وقسمها على ܫܒܘ̈ܥܐ (مجموعة سبعة اسابيع). وجعل ان يكون بدء السنة الطقسية في الأحد الأول من سابوع ܣܘܒܪܐ (المجيء) . فجعل سابوع المجيء (او البشارة) السابق لعيد الميلاد٤ أسابيع. ٢ً العماد او الدنح ٧ أسابيع . ٣ً الصوم الكبير ٧ اسابيع . ٤ً القيامة ٧ اسابيع. ٥ً الرسل ٧ اسابيع . ٦ً القيظ (الصيف) ٧ اسابيع . ٧ً ايليا النبي . يختم هذا النظام بأربعة اسابيع تقديس البيعة[2] . وهذا الطقس هو حسب تقاليد الكلدان آتٍ من الرسل متلمذي المشرق . ألف ايضاً مار يشوعياب أغلب ܬܫܡܫܬܐ ܕܥܡܕܐ . (اما ترتيب ܚܘܕܪܐ صار بعدئذٍ وترتب رويدا رويدا) .

قال المؤرخ توما المرجي : ܬܫܥܝܬܐ ܕܡܕܢܚܐ (ܟܬܒܐ ܕܪ̈ܝܫܢܐ ص١٧) « ان يشوعياب بدأ بتنظيم الطقوس مذ كان مطرانًا في أربيل »[3] . والكاتب دوشين يقول : « ان التقاليد النسطورية تنسب الى يشوعياب الثالث النظام النهائي لسائر ليتورجيات وطقوس الكنيسة المشرقية كما هي في حالتها الحاضرة »[4] .

من تلاميذ يشوعياب كان كوركيس الجاثليق الذي ألّف انشودة : ܠܐܘܪܐ ܬܡܝܗܐ ܕܒܝܬ ܚܠܝܐ تقال يوم الاثنين للباعوث (طالع : ܡܫܡܫܢܐ ܕܫܡܫܐ صحيفة : ܨܠܒ). بعد ان انجز البطريرك يشوعياب عمله في الطقوس

(١) تاريخ كلدو وآثور ٢٩٨—٢٩٩ وشابو ١٠٥ .
(٢) CHABOT, p. 99-100 ثم مجلة النجم لكانون الاول سنة ١٩٣٧ .
(٣) مجلة النجم ايار سنة ١٩٣٥ ؛ صحيفة ١٧٢ .
(٤) DUCHESNE : *Origines du culte chrétien*, p. 72

صادقه جميع الآباء في الدير الأعلى ليُستعمل في جميع الكنائس المشرقية. الغالب على الظن ان يشوعياب للاشتغال في هذا العمل الخطير أقام في الدير سنة ٦٥٧ — ٦٦١ حينما ثارت الفتن الاهلية في جنوبي العراق على عهد علي بن أبي طالب. فاضطر يشوعياب على ترك المدائن والانزواء في دير ܒܝܬ ܥܒܐ. وربما انتقل من هناك الى الدير الأعلى بهمة عنانيشوع[1]. نظَّم ايضاً طقس العماد وحل المراطقة وطقس التوبة العلنية وتقديس المذبح (طالع شابو ص١٠٠ وتاريخ الاب عطايا).

ورد في جدول عبديشوع الصوباوي ١٥ تأليفاً. مما يخص الغرض هو ما يأتي: عونيتات. قصائد. مداريش. طقس العماد (ܥܡܕܐ). والغفران (ܚܘܣܝܐ). رتبة تقديس المذبح (ܕܩܘܕܫ ܡܕܒܚܐ) وتقديس الماء (ܕܩܘܕܫ ܡܝܐ). ܕܡܘܡܬܐ (الحلف). تجديد الخميرة (ܚܘܕܬ ܡܠܟܐ). صلوات سوباعا (ܫܘܒܥܐ) ورتبة الحوذرا (ܚܘܕܪܐ). يلاحظ الصوباوي ان هذه الرتب لم تأخذ كلها مبدأها من البطريرك يشوعياب. فان وجودها يفترض مع اوائل الجمعية المسيحية ما بين النهرين والفرس[2].

له ايضاً صلوات في طقس الرسامات (ܫܘܡܠܝܐ ܕܟܠ ܬܟܣܝܢ). وتبريك المائدة ܦܬܘܪ ܡܪܢ ... وتبريك الفواكه والصبيان والمرضى وغيرها... (راجع عن تآليفه ايضاً الاستاذ جان دوفيليه). ومخطوطة برلين سنة ١٤٩٦ ص١٤٥ حيث يذكر ايضاً ان مار يوسف مطران جزيرة قردو ألَّف صلوات اختتام القداس: ܗܘܝܬܘܢ ܒܪܝܟܝܢ ܠܡܪܝܐ... ثم ܐܬܘܬܐ ܕܒܪܝܟ...[3]. ان كوركيس الاربيلي ينسب ܟܠܗ ܟܘܪܣܝܐ ܘܡܕܪܫܐ ܣܗܕ ܣܗܕܘܬܐ الى يشوعياب الثالث. ولكن نصاً أقدم من يشوعياب يذكر وجود ܟܠܗ ܟܘܪܣܝܐ والنص موجود في مجمع سبريشوع البطريرك سنة٥٩٦[4].

---

(١) مجلة النجم، ايار ١٩٣٥، صحيفة ١٧٣.
(٢) نجم: حزيران ١٩٢٩ ثم شابو (٩٩—١٠٠)
(٣) J. Dauvillier : *Droit chaldéen*,1939, col. 5
(٤) الآداب السريانية لشابو، صحيفة ١٩٩ — عن يشوعياب طالع ايضاً تاريخ كلدو وآثور ٢٨٥

البطريرك كيوركيس الاول
(٦٦١ — ٦٨١)

كان جاثاليقاً خلف البطريرك يشوعياب الثالث (حسبما جاء في: شابو صحيفة ١٠٢) من سنة ٦٥٨ حتى سنة ٦٨٠ . ولد في كفرا في مقاطعة بيت كرماي وهو صديق الجاثاليق يشوعياب الثالث الذي أوصى ان يكون جبو كيوركيس خلفاً له بعد موته[١]. بعض من تآليفه اضيفت الى الفرض منها تسابيح وعونيثات (اناشيد) ومواعظ التي تتلى في باعوثا . سنة ٦٧٦ عقد مجمعاً في ديرين .

يعقوب الرهاوي
(٦٤٠ — ٧٠٨)

يعقوبي المذهب . وُلد في نواحي انطاكيا سنة ٦٤٠ . تثقف في مدرسة دير قنسرين وكمَّل دروسه في الاسكندرية سنة ٩٧٧ ثم سيم اسقفاً للرها . توفي سنة ٧٠٨ . نقَّح ترجمة العهد الجديد المسماة ܦܫܝܛܬܐ (البسيطة) وقسم الكتاب المقدس الى فصول ووضع فيه الحواشي وفسَّره . له مقالة في درجات القرابة وكتاب في الفلسفة وفي الايام الستة . والنحو الآرامي . له ليتورجية واحدة وكتاب ܐܓܪܐ يحوي طقس العماد والاكليل وتبريك الماء . نقل عدة كتب من اليونانية الى الكلدانية[٢].

ابراهام بر ليفي (ܒܪ ܠܝܦܐ)

انه من بيت قطر وعاش في نهاية الجيل السابع وبدء الثامن. اهتمَّ بتفسير الفرض الكلداني[٣] وخدمة الاسرار (ܦܘܫܩ ܬܫܡܫܬܐ) بدون ان يذكر الاصلاح الذي عمله يشوعياب في الطقس . ذكر الاستاذ جان دوفيليه في كتابه : الحق القانوني الكلداني : « ان ابراهام كان من بيت قطراي ألّف

(١) A. Baumstark, *ib.*, p. 288

J. B. Chabot, *ib.*, p. 102

(٢) تاريخ كلدو وآثور : مجلد ٢ ، صحيفة ٣٠٣ .

وشابو صحيفة ٨٤ — وابن العبري ١ : ٢٧٥٤ .

(٣) *Institutiones Liturgicae*, Tome II, par I.M. Hanssens, s. j., n° 699, c. 27.

كتاب عرض الصلوات والفروض الطقسية وهذا الكتاب يتضمن تعليقات وتعليمات قانونية بخصوص الطقس هي كلها رمزية وسرية ضمن نطاق البساطة . وليست غايته تجديد نظام الطقس حسب يشوعياب الثالث »[1].

كوركيس الفارسي

نشأ في الجيل الثامن وهو الملقب بكوركيس الثاني الفارسي مطران نصيبين. كان في عهد يشوعياب الثالث . ألّف : ܣܘܟܠܐ ܠܬܫܡܫܬ ܥܕܬܐ ܟܠܗ̇... (ܕܦܘܫܩ ܘܥܠܬܐ) تُقال في ܦܘܫܩܐ ܕܟܬܒܐ . (طالع مخطوط ܡܫܡܫܢܐ ܕܥܕܬܐ ܕܩܘܕܫܐ صحيفة ܩܠܗ) .

باباي الجبلتي (ܓܒܠܝܬܐ)

ان باباي كان راهباً وعائشاً على زمان البطريرك صليدا زخيا ٧١٤ — ٧٢٨. كان قد اختص هذا في تجديد الموسيقى الكنسية والالحان الطقسية الكلدانية. اما السمعاني فنهوا لقّبه ببباي النصيبيني[2] . هو الـذي ألّف تراتيل الشعانين (ܥܠ ܕܘܪ̈ܒܝܐ) للأولاد والبركات التي تقـال في اكليل الزواج وفي الخطبة. واليه تعود هـذه التراتيل الطقسية : ܒܥܘܬ̈ܐ ܗܝ ܕܡܪܝ. ܗܘܐ ܠܚܘܕܝܗ̇. ܕܢܟܣܬ ܕܢܬܐ . اسس كنائس في حدياب بمقاطعة طيرهان . وله ميامر ورسائل وقصائد متنوعـة وعونيتات لمختلف صلاة فرض النهار حسب الساعات[3] .

قبريانوس النصيبيني
(٧٤١ — ٧٦٧)

كان مطران نصيبين . بنى اول كنيسة نسطورية كلدانية في وسط يعقوبي في تغريد . وعمّر للمرة الثانية كاتدرائية نصيبين . وضع طقس الرسامات :

(١) J. Dauvillier: *Droit Canon*, col. 45.
عن حياة ابراهام برليفى طالع ايضاً تاريخ بوشتارك وفهرست ܡܟܬܒܢܘܬܐ لعبد يشوع الصوباوي وتاريخ الآداب السريانية لشابو ص ٥٩ .

(٢) J.B. Chabot: *Litter. syr.*, p. 205.

(٣) A. Baumstark: *ib.*, p. 212.

ܚܘܫܒܢܐ ܕܟܠ ܙܒܢܝ̈ܢ (ܕܡܫܬܠܡܢܘܬܐ)[١] بمساعدة يشوعياب الحديابي واسرائيل ܡܕܡܟ ܘܩܐܡ (عن مخطوطة في القلاية البطريركية سنة١٥٦٩). ونشر كتاب غريغوريوس النازيتزي[٢] واشترك ايضاً في وضع كتب ادبية كغيره من الكتّاب الكلدان الذين اشتهروا في الجيل الثامن اكثر من غيره في هذا المضمار .

البطريرك طيماتاوس الأول
(٧٨٠ — ٨٢٧)

أصله من حزّا في الحدياب . جلس على كرسي البطريركية بساليق ٧ ايار سنة ٧٨٠ . في زمانه ازدهرت وانتشرت الكنيسة الكلدانية النسطورية خاصة بواسطة رسالاتها في آسيا الوسطى . له مئات من الرسائل منها تُرجمت الى اللاتينية (براون: باريس ١٩١٤). وله كتاب الجدالات وقصائد طقسية لايام الآحاد مدار السنة كلها . وله مجموعة من القوانين للكنائس الشرقية مستقاة من المجامع الطائفية الكلدانية كمجمع اسحاق ويابالاها وداديشوع واقاق وباباي ومار آبا الاول الخ...[٣].

ينسب اليه بعض الكتّاب تسبحة ܐܕܘܪ ܕܫܡܝܐ كما هو مذكور في كتاب مجموعة التراجم للقس قليتا (طبعة الموصل سنة١٩٢٦) . ولكن كتاب الفرض ܕܩܕܡ ܘܕܒܬܪ ينسب هذه التسبحة الى يازدين وكذلك : ܫܡܥ ܡܪܝ. اما هذه الاخيرة فان فهرست مخطوطات برلين (صحيفة ١٢٥) فيؤيد ان مؤلفها هو يازدين .

يوحنان بيت ربان
(٨٥٠ +)

عاش يوحنان في الجيل التاسع وكان معاصراً للبطريرك سبريشوع الثاني .

(١) للوقوف على كيفية انتخاب ورسامة الاسقف في الكنيسة الكلدانية القديمة طالع كتاب:
J. Dauvillier: *Les Provinces chaldéennes de l'Extérieur au Moyen Age*, p. 265.

J. B. Chabot: *Litter. syr.*, p. 106. (٢)
A. Baumstark: *ib.*, p. 213.

(٣) J. B. Chabot: *Litter. syr.*, p. 148.
R. J. Bidawid : *Les Lettres du patriarche nestorien Timothée I* — Citta del Vaticano, 1956.

مات سنة ٨٥٠ . له بحوث واسئلة عن العهد القديم والجديد وتآليف عن تركيب القالات وعونيتات ومداريش[1] . ومن جملتها مداريش الكهنة : ܡܕܪ̈ܫܐ ܕܟܘܗ̈ܢܐ ܕܥܕ̈ܬܐ .. وتسبحة : ܫܘܒܚܐ ܠܡܠܟܐ ... (طالع فهرست مخطوطات برلين صحيفة ١٢٥ و١٨٤) .

ايليا (برشينايا) ܒܪܫܝܢܝܐ
(٩٧٥)

كان مطراناً لنصيبين . كاتب مشهور . ولد في نصيبين سنة ٩٧٥ . صار راهباً ثم مطراناً على نوهدرا (قرب دهوك شمال الموصل) سنة ١٠٠٢ ثم على نصيبين . عاش بعد الياس الاول البطريرك الذي مات سنة ١٠٤٩ . له مقالات تضرعية عديدة : منها ما يُتلى في يومَي الثلاثاء والاربعاء من باعوثا . (طالع حياته وتآليفه في كتاب الآداب السريانية لشابو) . كما وصنّف بالكلدانية ايضاً شيئاً من القطع الطقسية والقواعد الصرفية . ومعجماً عربياً كلدانياً ومن مؤلفاته بالعربية قوانين المجمع النيقاوي . وعلى البتولية ومحاوراته مع الوزير أبي القاسم المغربي في حقائق الايمان المسيحي سنة ١٠٢٦[٢] .

البطريرك إيليا الأول
(١٠٢٨ – ١٠٤٩)

او الياس الأول الجاثليق دامت بطريركيته من حزيران سنة ١٠٢٨ الى ايار ١٠٤٩ كان أصله من كرخا دجدان . كان له تآليف لغوية واليه يعود ترتيب طقس السجود في ܦܢܛܩܘܣܛܐ (العنصرة) سنة ١٠٢٩ . مع تنظيم طقس تكريس المذبح بدون زيت (ܩܘܕܫ ܡܕܒܚܐ ܕܠܐ ܡܫܚܐ) وإدخاله في الكنيسة النسطورية . وتأليف جدلي عن الديانة المسيحية والإرث والزواج . وأضاف الى ܟܬܘܒܐ : ܥܠ ܫܘܠܛܢܐ ܕܐܒܗ̈ܬܐ ...[٣] .

---

(٢) السمعاني ، في كلدو وآثور للسيد أدي شير ، صحيفة ٢٧٦ .

(٣) تاريخ الكنيسة الكلدانية للكردينال تيسران ، تعريب القس سليمان الصائغ ، صحيفة ١٦٩ .

(١) A. Baumstark, *ib*., p, 286.

البطريرك ايليا الثالث
(١١٧٦–١١٩٠)

هو الجاثاليق الملقب « أبو حليم » . وُلد في ميافرقين . كان في اول امره ميطرابوليطاً في نصيبين ثم سِيم بطريركاً في المدائن ٢٥ كانون٢ سنة ١١٧٦[١]. له صلوات عديدة تتلى قبل ܨܠܘܬܐ ܕܫܦܪܐ (صلاة الصبح) لاعظم الاعياد والتذكارات وآحاد الصوم . جاء في فهرست مخطوطات برلين الكلدانية ما تعريبه: « كتاب صلوات الاعياد المارانية ألفه رحمه الله مار ايليا مطران نصيبين الملقب « ابو حليم » . فان الفهرست يذكر احد المخطوطات المتضمنة تآليف مار ايليا صحيفة ١٤٤ . في الصحيفة ذاتها من الفهرست يُذكر مخطوط آخر يدعى: « ܨܠܘܬܐ ܕܩܘܡ ܡܘܬܒܐ ܘܕܫܦܪܐ » .

البطريرك سبريشوع الرابع
(١٢٢٢ – ١٢٢٤)

هو ابن قيوما . في عهده استعملت الكنيسة الشرقية في صلواتها الثانوية بعضاً من قصائد كوركيس وردا الأربيلي . استُعملت لا سيما في اعياد العذراء القديمة في الجلسات (ܡܘܬܒܐ) السابقة ܠܥܐܕܐ ܕܒܬܘܠܬܐ . منها عونيثة الميلاد : ܠܡܠܟܐ ܕܠܥܠܡ ܠܡܠܟܘܬܗ ܘܒܢܐ ... ܬܡ ܩܡ ܡܫܝܚܐ ... ܘܗܘܐ ܒܪܢܫܐ ܘܗܘܐ ܒܒܣܪܐ ... ܠܗܘ ܡܫܡܫܢ ܠܗ ܚܝܠܘܬܐ ... ܘܡܠܟܐ ܕܐܬܚܙܝ ܒܒܣܪܐ ...[٢].

خاميس ابن قرداحي

عاش في الجيل ١٣ . كاهن أربيلي معاصر لكوركيس وردا وابن العبري. كان شاعراً بليغاً. له اكثر من ٣٠ قصيدة طقسية تدور حول سر التجسد ومريم العذراء والقديسين. وله ايضاً ٧٠ ܗܘܠܠܐ لأيام الآحاد والاعياد من الجملة: ܒܥܘܬܐ ܡܫܢܝܬܐ . ومن تآليفه المعروفة : ܟܕ ܐܬܡܠܟ ܗܘܐ ܒܚܕܡܠ . . . (طالع ܣܘܓܝܬܐ لدير السيدة) . وله ܬܘܟܠܬܐ تقال قبل

(١) J. B. Chabot: *Litter. syr.*, p. 108.

(٢) فهرست مخطوطات برلين لمخطاط عبديشوع سنة ١٥٢٨ .

الانجيل في القداديس الاحتفالية (حتى الآن في بعض القرى بشمال العراق). من هذه التراجم نشرها القس قليتا في الموصل (نحو ص: ܩܓ)[1].

عبديشوع الصوباوي
(+ ١٣١٨)

عبديشوع الصوباوي او النصيبيني واسمه ايضاً عبديشوع بر بريخا على ما جاء في تاريخ الكردينال تيسران (ص ١٧٠) والدكتور بومشتارك. ولد في اواسط الجيل ١٣ في جزيرة ابن زبدى على ضفاف الدجلة. قضى صبوة حياته في الرهبنة بدير مار أحا ومار يوحنان بقرب الجزيرة واقتبل الرسامة الاسقفية على ابرشية سنجار (شيكار) وبيت أرباي في طور عبدين على يد مار يابالاها بر توركايي بطريرك المشرق سنة ١٢٨٥. ثم اقتبل رسامة المطرانية من البطريرك يابالاها المذكور لإشغال كرسي نصيبين. وقد ذكر ذلك نفسه في كتابه ܡܪܓܢܝܬܐ (المرجانة). توفي سنة ١٣١٨ على عهد البطريرك طيماثاوس الثاني[2].

ان عبديشوع هو أحد مشاهير الكتبة الكلدان النساطرة. وبه تنتهي سلسلة كتبتهم المبرزين كما تنتهي بابن العبري سلسلة مشاهير اليعاقبة.

تآليفه: بشهادته هو نفسه في كتاب ܡܪܓܢܝܬܐ صحيفة ܩܕ. (طالع ايضاً تاريخ الادب السريان لشابو وللدكتور بومشتارك).

١) كتاب تفسير للعهد القديم والجديد وترجمة الاناجيل المسجّعة والمقسمة على ترتيب قراءات الطقس الكلداني. (نسخة منه موجودة في مكتبة مخطوطات المتحف البريطاني في لندن. ٢) كتاب الجامع الذي يشرح حياة السيد المسيح. ٣) وكتاب المنظومات: ܦܪܕܝܣܐ ܕܥܕܢ (فردوس عدن) وهي ٢٢ قصيدة في محبة الحكمة والعلم (مكتبة دير السيدة). ٤) القوانين السنهادوسية اي مجموعة قوانين وأحكام كنسية (مكتبة دير السيدة). ٥) كتاب ܡܪܓܢܝܬܐ (المرجانة)[3] الملقب ايضاً بالدرة: في حقيقة الاعتقاد والفلسفة واللاهوت (مخطوطة منه في المكتبة البطريركية). ٦) الاسرار الخفية للفلسفة

---

(١) طالع فهرست مخطوطات برلين: ܗܘ ܟܬܒܐ ܕܡܬܩܪܐ ܡܪ ܥܒܕܝܫܘܥ.

(٢) مجلة النجم، حزيران سنة ١٩٣٨.

(٣) ܡܪܓܢܝܬܐ (المرجانة) طبعت في الموصل: المطبعة الآشورية سنة ١٩٢٤.

اليونانية. ٧) الاسكولسطيقوس لحل المبتدعات ضد الهراطقة : (حل المبتدعات في الدين عن طريقة الفلسفة المدرسية تلك الفلسفة التي عنت في القرون الوسطى والاخيرة في الشرق المسيحي خصوصاً. ٨) كتاب نظام الاحكام والشرائع الكنسية الذي يشتمل على ١٢ مقالة في محبة الحكمة والعلم. ٩) كتاب فرائد الفوائد في اصول الدين والعقائد ألفه سنة ١٣١٢ (مكتبة كنيسة الكلدان ببغداد). ١٠) تفسير الرسائل لارسطاطاليس التي كتبها لاسكندر. ١١) ديوان الألحان الشعرية الكلدانية. ١٢) شهر وريد ويظهر من اللفظة انه كتاب فارسي ولكنه وضعه في العربية كما ذكر هو نفسه. ١٣) مجموعة المكتبة النساطرة. (دير السيدة). ١٤) الختام ܚܘܬܡܐ (٥ نسخ في دير السيدة) تتلى منها عند انتهاء القداس: ١٥) رسائل متنوعة. مقالات. تراجم. تعازي. مقالة في التثليث والتوحيد والحلول والاتحاد (منها في المكتبة العامة الوطنية بباريس).

كوركيس وردا

هو كوركيس الأربلي . ذو الصوت العندليبي . عاش في الجيل الثالث عشر . له قصائد تدور على أفخر اسرار الديانة المسيحية وفضائل العذراء. ومنها على الابرار والتوبة. تُستعمل منها في اعياد العذراء والقديسين في ܚܘܕ̈ܪܐ . له كتاب تفسير الخدم الكنائسية : ܦܘܫܩ ܠܬܫܡܫ̈ܬܐ مجلدان في سبعة ميامر. ووضع أبيات ܥܠ ܫܡܫ̈ܐ لاجل تلبيس البطريرك واليه تعود انشودة : ܡܟܝܠ ܡܪܝ ܥܡ ܒܪܝܬܗ . ثم بعض من عونيتات ܕܒܥܘܬ̈ܐ [1] .

البطريرك طيماثاوس الثاني
(١٣١٨ — ١٣٣٢)

بعد وفاة البطريرك يابالاها الثالث خلفه طيماثاوس الثاني سنة ١٣١٨ . له كتاب عن القوانين الطقسية فيما يخص الاسرار الكنسية او بالاحرى الطقوس

(١) فهرست المخطوطات الشرقية لبرلين سنة ٢٠٢٦ يونانية الموافقة لسنة ١٧١٥م عدد المخطوط ٦٥ بيد القس وردا ، صحيفة ٢٤٤ .

والرتب المقدسة مقسمة على سبعة فصول : الكهنوت . تكريس الكنيسة . المعمودية . القربان المقدس . الحياة الزهدية . رتبة الدفن . الزواج[١] .

البطريرك مار عبديشوع الرابع
(١٥٦٧+)

كان في أول أمره نسطورياً في بازبدى قرب دياربكر وصار بطريركاً كاثوليكياً خلفاً لمار يوحنا سولاقا الذي قُتل سنة ١٥٥٥ . ولقد ارسل صورة إيمانه الى البابا بيوس الرابع في روما. ألّف حوتامات وعونيتات وقصيدة تقريظية للبابا بيوس الرابع تبتدئ ب: ܐܘ ܕܡܫܡܠܝܢ ܟܠܗ ܐܠܗܐ ܠܐܠܝܬܐ ܡܫܡܫܢܐ . ونظم فصول الانجيل للأيام الطقسية في اللغة العربية . وكان هذا الكتاب محفوظاً في جزيرة عمر[٢] . واليه تنسب هذه الابيات في ܦܠܘܚܘܬ ܡܕܝܢܐ : ܐܘ ܒܪܘܝܐ ܕܒܪ̈ܝܬܐ . ܐܝܟ ܐܠܗܐ ܡܚܝܢܐ . ܒܫܘܝܘܬ ܗܘܝܐ ܕܒܪܘ ܠܟ . ܢܗܘܐ ܒܝܬ ܢܘܗܪܟ. ܒܠܒܝ ܒܪܝ ܦܪܘܩܝ .

جاء في تاريخ نيافة الكردينال تيسران (تعريب القس سليمان الصائغ سنة ١٩٣٩[٣] ما يلي :

« على عهد البطريرك عبديشوع الرابع كان اينـاد الحبشي يوحنا بابتست (J. Baptiste) زائراً رسولياً الى الشرق. ولا دليل لمجيء هذا القاصد الرسولي الى الموصل إلا رسالة البابا بيوس الرابع الى البطريرك فيما يعلمه بسفر القاصد يوحنا (في ٢٣ شباط سنة ١٥٦٥) ثم جواب البطريرك بهذا الشأن ... وان بعضاً من نصوص الرسالة الموفدة الى البطريرك تبين الصعوبات التي كانت تعترض الكلدان المتحدين في استعمال طقوسهم ، في وقت كانت المساعي مبذولة لتوحيد الليتورجيات في الغرب وربما تحت تأثير هذه الصعوبات نشأ ما نشأ من الاختلافات الطقسية في الهند : « عليك .. ان تبذل كل الهمّة في ان يكون ايمان الذين هم تحت رئاستك متفقاً مع الكنيسة المقدسة الرومانية الجامعة وان لا يختلف عنه بشيء مما هو ضروري للخلاص . اما فيما يتعلق بالطقوس والحفلات فكنا نرغب

(١) J. B. Chabot: *ib.*, p. 108.

(٢) مجلة المشرق سنة ١٩٠١ ، صحيفة ٨٤٧ .

(٣) خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية ، صحيفة ١١١ .

الانسب وهو ان يكون هذا ايضاً متفقاً ، مع ذلك اننـا نغضي على عوائدكم وطقوسكم القديمة التي صارت قابلة للاستعمال ونسمح بان تحافظوا عليها ، إلاّ في الاسرار والامور الاخرى المتعلقة بالإيمان والضرورية للخلاص فلا بد لكم كما قلنا من اتباع الكنيسة الرومانية الأم لجميع المؤمنين بالمسيح ومعلمتهم». بعد ان عاش عبديشوع في سعرت في دير مار يعقوب الحبيس مات فيه سنة ١٥٦٧».

القس عطايا مقدسي

وُلد في القوش في الجيل السادس عشر . كاتب شهير وخطاط ماهر . له تسابيح تُتلى في سابوع الصوم. له عدة ܬܘܫܒ̈ܚܬܐ [1] . لقد خطّ في يده اربعة اناجيل بالحرف الاسطرنجيلي الكبير في سنة واحدة فريدة في نوعها : والنسخ الاربعة الحقيقية موجودة في القوش ودير السيدة والقلاية البطريركية وبطناي . سهواً نُسب اليه تصنيف التقويم السنوي المعروف بـ ܦܘܪܫ ܙܒ̈ܢܐ من قبل بعض المؤرخين . والحقيقة انه للقس اسرائيل رابا حسبما جاء في عدة مخطوطات وفهارس .

في مخطوطة ٦٦ من فهرست مخطوطات برلين صحيفة ٢٥٤ نقرأ ما يلي عن تآليف القس عطايا الملقب آتيلي : « ܬܘܫܒ̈ܚܬܐ ܕܡܕܪ̈ܫܐ ܥܠ ܦܬܓܡܐ ܡܕܡܫ ܕܬܘܫܒܚܬܐ ܕܟܠܗ ܕܫܢܬܐ ܟܬܒܐ ܕܟܠܗ ܫܢܬܐ ܘܕܥܐܕ̈ܐ ܡܕܪ̈ܫܐ ܘܫܘܚܠܦܐ ܠܥܐܕܥܐܕ̈ܐ ܕܫܢܬܐ ܕܩܘܕܫܐ. ܫܢܬ ܐܘܠܓ، (يونانية : الموافقة لسنة ١٥٢٢ ܟܬܒ : ܐܝܟ ܟܬܒܐ الخ . . .

ربان ابراهام سلوخايا
(+ ١٥٥٦)

أصله من ܒܝܬ ܣܠܘܟ . كان في دير مار أوجين في جبل إيزلا وله تقرير عن العلاقات بين كنيسة النساطرة وكنيسة الهند سنة ١٤٩٩ — ١٥٠٩ . من تآليفه هذه الابيات المستعملة لتبريك الاشهر : ܬܘܒ ܒܪܟ ܠܒܢ̈ܝܟ

(١) مجلة النجم ، ايار سنة ١٩٣٨ ، صحيفة ١٧٥ .

ܒܪ ܢܒܬ ... ܫܡܥܘ ܡܠ ܟܠܢܬ ܕܐܪܡܘܬܐ .. ܚܝܠܐ ܫܡܝܐ ܠܟܘܡܬܐ وكيفية استعمالها سنة ١٥٢٦ [1] .

يجدر بنا هنا ان نذكر ابن اخيه المدعو كورئيل سلوخايا الذي ألف : ܡܪܝ ܒܪܝ ܠܟܘܢ ܫܒܩܬܐ ... ܘܡܪܝ ܡܒܣܡܢ ܡܫܡܫܢܐ ...

مار جبرائيل حصن كيفا
(١٥٧٠ – ١٦٢٠)

كان مار جبرائيل مطراناً على حصن كيفا . وُلد سنة ١٥٧٠ في كركوك وترهب في دير مار أوجين قرب نصيبين فأقيم أسقفاً على حصن كيفا . ولما عقد مار ايليا السادس الكاثوليكي مجمعاً في آمد كان جبرائيل بين من نبذ النسطرة وزار روما[2] .

اشتهر في سنة ١٦١٦ . كان من الساعين الذين اهتموا بالوصال بالكنيسة الرومانية . من تآليفه قصائد في التوبة وعونيثات خشوعية أدرجتها الكنيسة الكلدانية في صلاة تبريك الشهر . منها : ܡܪܝ ܒܪܝ ܠܟܘܢ ܫܒܩܬܐ .. و ܐܡܪ ܐܠܗܐ ܚܝܠܐ ... و ܘܡܪܝ ܡܒܣܡܢ ܡܫܡܫܢܐ [3] . توفي جبرائيل نحو سنة ١٦٢٠

يوسف الثاني
(١٦٦٧ – ١٧١٣)

يُلقب بمعروف . ولـد في تكليف . كاثوليكي المذهب . كان كرسي بطريركيته في ديار بكر . نال التثبيت من الكرسي الرسولي في ١٨ حزيران سنة ١٦٩٦ [4] . توفي سنة ١٧١٣ . اليه يُنسب تنظيم ܚܘܕܪܐ (فرض الأعياد

(١) A. Baumstark, *ib.*, p. 332-359.

(٢) مجلة المشرق سنة ١٩٠١ ص ٨٥٠

(٣) ذخيرة الأذهان للاب نصري : صحيفة ١٨٤ من المجلد ٢ .

(٤) تاريخ الكردينال تيسران تعريب القس صائغ ، صحيفة ١٢٧ .

وتستقى سيرة حياة مار يوسف الثاني من كتاب ألفه هو : ܡܚܙܝܬܐ ܕܟܝܬܐ (المرآة الصافية) اذ يقول ان عمره كان ١٤ سنة عندما انتقل من تلكيف الى آمد (دياربكر) . وبعد ثماني سنوات نال درجة الكهنوت ثم المطرنة على يد مار يوسف الاول ... الخ .

والتذكارات). وفي كتابه ܣܘܡܟܐ ܕܟܬܒܐ يذكر التآليف التي صنَّفها وبينها يذكر الفنقيت ܦܢܩܝܬܐ الذي رتَّب فيه الأعياد والتذكارات (طالع تاريخ الكردينال تيسران تعريب القس الصائغ ص ١٧١) . أدخل في الفرض عيد الختانة وتذكار مار بثيون وعيد ولادة العذراء. مع تنظيم عيد انتقال العذراء.. له كتاب الخدم الكنسية (ܦܘܠܚܢ ܬܫܡܫܬܐ) . تُنسب اليه ايضاً : عيد زيارة العذراء. والبشارة وقتل الاطفال وعيد دخول المسيح الى الهيكل. وعيد مار يوسف . وعيد الجسد . وتذكار مار نيقالاوس والقديسة بربارة . ونقَّح لأول مرة فرض الاعياد الاخرى من البدعة النسطورية . وألَّف تذكار الاربعين شهيدًا. وتذكار مار يعقوب المقطع وتذكار الربان هرمزد . وتذكار مار أوجين .

مما ينبغي ملاحظته هو ان بعضاً من هذه الاعياد المذكورة هي اقدم من عهد مار يوسف الثاني كأعياد انتقال العذراء. ومار يعقوب المقطع ومار بثيون وربان هرمزد . ومنها تأليفه كعيد الختانة سنة ١٦٩٠ وبعض المخطوطات تقول انها في سنة ١٦٩٤ [1] والقديسة بربارة ومار نيقالاوس والقديس يوسف وزيارة العذراء في سنة ١٧٠٧ . ويُعتقد ان أعياد الجسد والتقدمة والبقية وضعها بعد عيد الختانة والاعياد الثلاثة الاخرى . اما عيد انتقال العذراء. فهو ليس منه إنما نظم صلواته تنظيماً وليس تأليفاً[2]. ولا ننكر ان يوسف الثاني ينسب الى نفسه ترتيب فرض عيد الانتقال . وتُرى بما يقوم هذا الترتيب ؟.. يُنسب اليه ايضاً ترتيب تذكار مار أوجين . فتذكار ܡܪ ܐܘܓܝܢ كان يُقام في بعض الكنائس ذكرًا لمار آبا الكبير . أما يوسف الثاني فعيَّن تذكار ܕܡܪ ܐܘܓܝܢ اكراماً للقديس أوجين وعمَّمه بين الكنائس . في فرض عيد الجسد يُلاحظ ان معظم صلواته هي مجموعة من الالحان موضوعها سر القربان المقدس. وفي فرض بشارة العذراء. صلواته مستقاة من سابوع السوبار .

---

(١) مخطوطة القلاية البطريركية التي كتبها الشماس هومو سنة ١٧٦٦ .

(٢) بعض كتب ܚܘܕܪܐ لا تنسب ترتيب او تنظيم عيد الانتقال الى يوسف الثاني مثلاً الكزا المكتوب سنة ١٨٦٨ وهو المخطوط الخاص بكنيسة القديسة مسكنتا في ايام وعناية البطريرك يوسف أودو .

الشماس كيوركيس الصائغ الموصلي

في اواسط القرن الثامن عشر . كان كاثوليكياً وجلب الى الكثلكة ايليا الحادي عشر بطريرك النساطرة . وسعى في التمسك بالعوائد الابوية الطقسية الموافقة للايمان . وهذا ضد من كان يميل بنوع غير مرتب الى إدخال في الطقس الكلداني عوائد غربية خاصة لاتينية[1] .

القس يوسف ابراهيم الراوندوزي
(+ ١٨٣٢)

عاش القس يوسف في اواخر القرن الثامن عشر . بقي في مليبار مدة خمس سنوات ثم عاد الى كركوك فبغداد . توفي سنة ١٨٣٢ . له قصائد بالتركية ومداريش كثيرة للموتى ومراثٍ على مار يونان الذي استشهد في بغداد بزمانه . وألف قاموساً في الآرامية الفصحى والدارجة ونحواً في الآرامية . وترجم من العربية الى الآرامية ياقوت الكهنة وميزان الزمان . وكتاب التأملات في آلام المسيح وفي عذابات جهنم وبعض رسائل من العهد الجديد . وكتاب شرح الاسرار لمار يوسف الثاني . والرسائل المجموعة التي تقرأ على مدار السنة في الكنيسة الكلدانية وكتاب الأباطيل[2] .

القس خدر الموصلي

كان في اوائل القرن الثامن عشر . اهتدى من النسطرة بواسطة الآباء الكبوشيين بالموصل . ذهب الى روما سنة ١٧٥٥ . وألف كتباً شتى منها معجماً كبيراً في الآرامية والعربية والتركية . منها نسخ في روما ودار البطريركية الكلدانية ودياربكر ودير الشرفة . له مداريش ومقالات تعزية على الموتى تقال عند الكلدان والسريان . كما وله مدائح وتسابيح بالعربية[3] .

يوسف الخامس
(١٨٠٤ — ١٨٢٨)

هو اغسطين هندي لم يثبت بطريركاً بل لبث مطراناً على ديار بكر من

(١) مجلة المشرق سنة ١٩٠١ ص ٨٥٣ .
(٢) مجلة المشرق سنة ١٩٠١ ص ٨٥٢ .
(٣) مجلة المشرق سنة ١٩٠١ ص ٨٥٢ .

نيسان سنة ١٨٠٤ حتى سنة ١٨٢٨ (طالع تاريخ الكنيسة الكلدانية للكردينال تيسران تعريب القس سليمان الصائغ صحيفة ١٣٣) . هو الذي في ايامه طُبع طقس القداس بالزيادات وبالحذف . اما ما حذفه فهي **ܟܕ ܪܗܛܝܢ ܠܒܝܬܟ** ... ووضعوا مكانها : انا اعترف لله . وحذفوا **ܕܐܬܡܛܝܬ ܡܢ ܦܠܚܘܬܐ ... ܡܘܕܐ ܐܢܐ ... ܘܡܫܝܚܐ ܥܠܡܝ ܕܟܠܢܐ** ... ووضعوا مكانها **ܐܢܐ ܕܩܢܘܡܟ** ... وبدء انجيل مار يوحنا كالطقس اللاتيني وتغييرات أخرى يطول بنا الشرح عنها (طالع تاريخ السمعاني) إلا ان هذه التغييرات ما برحت قائمة حتى عاد نظام القداس على أوليته وأصله .

الاب يوسف كورئيل الفارسي

وُلد نحو ١٨١٥ . درس في كلية انتشار الايمان بروما . ثم كان في بغداد وبعدها تعيّن معلماً للغة الآرامية في كلية انتشار الايمان اهتمّ في روما بطبع المزامير وكتاب **ܟܬܒܐ ܕܚܘܕܪܐ** سنة ١٨٤٢ وترجمة الاقتداء بالمسيح الآرامية . وفي سنة ١٨٦٥ اعتنى باعادة طبع الكتاب عينة ولكن بحجم اكبر مع زيادة بعض الصلوات مترجمة عن اللاتينية . واهتمّ ايضاً في روما بطبع كتب اخرى كلدانية . له مباحث لاهوتية في سر التجسد الالهي[1] . ويُعدّ بين المؤلفين الأحدث عصراً .

يوسف السادس أودو
(١٨٤٨ — ١٨٧٨)

وُلد في القوش سنة ١٧٩٣ من عائلة معروفة باسم « أودو » تتعاطى مهنة الطب . ترهب في دير الربان هرمزد في سنة ١٨٢٢ . ارتسم كاهناً في آمد (ديار بكر) . وبعد وفاة البطريرك نيقالاوس زيعا انتُخب هو خليفة له . تثبت بطريركاً من قبل رومية ١١ ايلول ١٨٤٨ . توفي ١٤ آذار ١٨٧٨ . في أيامه أدخل في الكنيسة الكلدانية فرض الحبل بلا دنس الذي ألفه القس داميانوس الالقوشي احد رهبان دير الربان هرمزد[2] .

(١) طالع تاريخ الكردينال تيسران تعريب القس الصائغ ص ١٧١ عن تأليف كتاب الاب يوسف كورئيل الكلداني الفارسي المطبوع في روما سنة ١٨٥٨ .

(٢) تاريخ الكردينال تيسران للكنيسة الكلدانية تعريب القس سليمان الصائغ ، صحيفة ١٣٦ — ١٣٧ .

القس داميانوس
(+ ١٨٥٥)

وُلد في القوش وترهب في دير الربان هرمزد قرب القوش. توفي سنة ١٨٥٥. أَلَّفَ فرض عيد الحبل بلا دنس وأُدخل في الاستعمال على عهد البطريرك يوسف السادس أودو. ثم ألف صلاة جمعة الموتى (ܚܘܕܪܐ ܕܥܢܝ̈ܕܐ). اما بعض المؤرخين فينسبون تأليف فرض الموتى إلى الراهب شمعون لويس من قرية بيوس. بقي زماناً كاهناً للرعية في بغداد مع القس بطرس بر تَتَر. ترجم كتاب مرشد الكاهن الى الكلدانية[1] ونُشر في مطبعة الآباء الدومنيكيين.

ايليا الثالث عشر
(١٨٧٨ — ١٨٩٤)

هو البطريرك ايليا عبو اليونان. ولد في الموصل. ثبِّت بطريركاً في ٢٨ شباط ١٨٧٩. توفي ١٧ حزيران ١٨٩٤. في عهده وبهمته نُقِّح طقس الفرض بكامله وطُبع في ثلاثة اجزاء في مدينة لايبزيك بالنمسا سنة ١٨٨٦ ولتكميل هذا المشروع القيّم أوفد الى روما مار عبديشوع خياط مطران دياربكر والاب لويس بيجان الفارسي. وكان كتاب الفرض باسم: [illegible] ܐܝܟ ܛܟܣܐ ܕ[illegible] ܡܕܢܚܝܬܐ [illegible] ܟܠܕܝ̈ܐ ([illegible]).

عبديشوع الخامس
(١٨٩٥ — ١٨٩٩)

هو البطريرك عبديشوع خياط. وُلد في الموصل. ثبت بطريركاً ٢٨ آذار ١٨٩٥. توفي ٦ تشرين٢ ١٨٩٩. اذ كان مطراناً وكّله البطريرك ايليا عبو اليونان بطبع الفرض وهو آنذاك في روما مع الاب بيجان. فكمل طبع الفرض الكلداني بثلاثة اجزائه للمرة الاولى سنة ١٨٨٦ في مدينة ليبزيك بالمانيا.

الآب بولس بيجان
(+ ١٩٢٠)

هو راهب لعازري كلداني في اواخر الجيل التاسع عشر. اصله إيراني.

(١) طالع مجلة المشرق سنة ١٩٠١ ص ٨٥٤.

اهتم بغيرة ونشاط في طبع ونشر كتب شتى كلدانية للفرض وغيره . وجاء كتاب الفرض الكلداني بثلاثة اجزائه مطبوعاً في ليزيك لائقاً مقبولاً سنة ١٨٨٦ . توفي سنة ١٩٢٠ بعد ان خلّد ذكرا طيباً .

وهنا يجدر بنا ان نذكر جدولاً بما طبعه الاب بيجان في ليزيك :

١ — الايثيقون لابن العبري
٢ — أعمال احد عشر مجمعاً من المجامع المسكونية .
٣ — اعمال الشهداء والقديسين (٦ مجلدات) .
٤ — تاريخ الازمنة لابن العبري .
٥ — التاريخ الكنسي لأوسابيوس .
٦ — تأ ليف سهدونا .
٧ — ترجمة سبريشوع الجاثاليق .
٨ — ترجمة كيوركيس الشهيد .
٩ — الحمامة لابن العبري .
١٠ — الحوذراء (كتاب الفرض ٣ مجلدات) .
١١ — الرؤساء لتوما المرجي .
١٢ — سيرة ياباًلاها والربان صوما .
١٣ — العفة لايشوع دناح البصري .
١٤ — فردوس آباء البرية لعنانيشوع الملفان .
١٥ — كتاب هرقل
١٦ — الكلام المفيد في الطريقة الرهبانية لمار اسحاق مطران نينوى .
١٧ — المزامير .
١٨ — ميامر مار اسحاق الانطاكي .
١٩ — مار افرام في يوسف الصدّيق .
٢٠ — ميامر منتخبة لمار يعقوب السروجي « عدة مجلدات » .
٢١ — ميامر نرسي في يوسف الصدّيق .
٢٢ — الهداية لابن العبري .
٢٣ — كتاب صلوات بلغة أورميا الدارجة .
٢٤ — شهر مريم بلغة أورميا الدارجة .
٢٥ — سيرة القديسين بلغة أورميا الدارجة .

يوسف عمانوئيل الثاني توما
(١٨٥٢ — ١٩٤٧)

وُلد في القوش سنة ١٨٥٢ . اكمل دروسه الكهنوتية في المعهد الاكليريكي

للآباء اليسوعيين ببيروت . كان مطراناً على ابرشية سعرد ثم بعد انتخابه بطريركاً نال التثبيت من روما في ١٧ كانون الاول ١٩٠٠ . توفي سنة ١٩٤٧ في الموصل . في عهده طُبعت كتب طقسية عديدة منها : ܚܘܕܪܐ ܟܬܒܐ ܘܕܩܕܡ ܘܕܒܬܪ (ܡܙܡܘܪܐ) والمزامير . ܘܟܫܟܘܠ : وطقس العماد والزيجة وطقس الموتى وغيرها ... في مطبعة الآباء الدومنيكيين وفي المطبعة البطريركية بالموصل . ومن الجدير بالذكر انه على عهده ايضاً أعيد طبع طقس الفرض الكلداني بثلاثة اجزائه سنة ١٩٣٨ في روما منقولة بصورة مصغَّرة عن الطبعة الاولى التي تمّت في ليبزيك بالمانيا سنة ١٨٨٦ . سعى بهذا العمل الجليل نيافة الكردينال اوجين تيسران امين سر المجمع المقدس للكنائس الشرقية[1] .

الخاتمة

اليك أيها القارئ اللبيب :

لو اردنا ان نكتب جدولاً عاماً لكافة تآليف القديسين والملافنة والكتّاب والعلماء الكلدان شرقيين كانوا أم غربيين للزمنا عدة مجلدات . فهناك تآليف قيّمة في الروح النسكية والقوانين والأنظمة الرهبانية وسير الزهاد والقديسين وتواريخ الكنيسة وشروح الكتاب المقدس وغيرها . كما ذكر نيافة المستشرق الكبير الكردينال تيسران في تاريخ الكنيسة الكلدانية : ان آداب هذه الكنيسة انتجت تآليف قيّمة شيّقة في شتى المواضيع الدينية والمدنية. الاجتماعية والثقافية . وآداباً رهبانية ضافية كالانظمة والاقاصيص التقوية والتواريخ النسكية . كما وابرزت للوجود مؤلفات لمختلف العلوم من تفسير وفقه وتاريخ وفلسفة ولاهوت ورياضيات وطب... . أننا اقتصرنا في بحثنا هذا على مؤلفي فروض طقسنا الكلداني ومنظميه على قدر ما عثرنا على المصادر الشرقية والغربية . وليكون لنا الفخر والبهجة لو وجدنا بين القرّاء الكرام مَن يسدّ العجز ويكمّل النقص في بحثنا هذا ومنّا له الشكر والتقدير .

(١) طالع حياة البطريرك عمانوئيل الثاني السعيد الذكر في تاريخ نيافة الكردينال تيسران تعريب القس سليمان الصائغ ، صحيفة ١٣٩ .

الفائت من شعر المتنبيء

والمتنبي وولاية صيدا

بقلم أمين نخله

قال الشيخ ابراهيم اليازجي في « العرف الطيب » من كلام له على ما لا يوجد من أشعار المتنبي في ديوانه (ص٦٥١): « على ان الكثير من ذلك ليس جيّد من جيد شعره، ولا فيه ما هو حقيق بأن يضنّ به » . وهو كلام في غاية الصواب . فان هذه المقطعات والقصائد التي تروى للمتنبي مما لم يُذكر في ديوانه، ليس الكثير منها في طَبَقة شعره . وأضف ان نسبة اكثرها اليه يعوزها التحقيق، ولكن المسألة تتعلق بالمتنبي، وناهيك بمسألة تتعلق بالمتنبي . هذا الذي اشتغل به خمسون واحدًا ونيّف من فحولة أهل العربية، والذي في كل يوم يونُ له ذكرٌ وينتشر بريد . فكيف يغفل، اذن، جماعة التنقيب حتى الغثَّ من فائت شعره، وهو على هزاله يهم في تاريخ الرجل، مِن جهات متعددة !.

أمّا كون الذي انتهى الينا من شعر المتنبي في نُسَخ ديوانه الممثلة بالطبع ليس هو كل شعره، فلا يختلف في ذلك اثنان . قال البغدادي في « خزانة الادب » (٢ : ١٣٩ طبعة دار العصور) ينقل من « إيضاح المُشكل » لابي القاسم الاصفهاني : « واخبرني أبو الفتح عثمان بن جنيّ ان المتنبي اسقط من شعره الكثير وبقي ما تداوله الناس » . وقال ابن نباتة في « سرح العيون » (ص ١٧ — طبعة بولاق) : « وله —يريد المتنبي— أشعار لم تدخل في ديوانه » الى آخر ما جاء في هذا المعنى .

وقد جمع الشيخ اليازجي في ذيل « العرف الطيب » طائفة من « الفائت »، عثر على بعضها في بعض نسخ الديوان، وعلى البعض الآخر في تضاعيف كتب

كتب الادب (ص ٦٣٦) . إلا أنه أسقط «مرويات أخر» منها ما لا يحمل اثباته في هذه النسخة — يريد ما فيه خمش لزجه الادب — ومنها ما لم أجد فيه رواية خليقة بالذكر ، فلم أكلف تحريره وشرحه» (ص ٦٥١) .

ثم أفرد الفائت بالتأليف الشيخ عبد العزيز الميمني ، فأخرج «زيادات ديوان شعر المتنبي» وهو اول مؤلف مستقل في هذا الموضوع . وقد أحصى فيه صاحبه نيفاً واربعين قطعة ، او قصيدة ، نتفها على حد قوله ، من اربع نسخ خطية من الديوان ، أهمها نسخة الشيخ الشرواني في ايالة حيدر آباد الاسلامية ، والنسخ الأخر : اثنتان في خانة جامع بومباي ، وواحدة في خزانة حيدر اباد ومن طبعتين قديمتين من الديوان (سنة ١٢٥٧ هـ. و١٢٦١ هـ.) ومن كثير من الدواوين الادبية والمجاميع . وقد عوّل الاستاذ الميمني في الفائت على ما لم يجده في ملفّ شرح العكبري .

ثم وضع الاستاذ البرقوقي في آخر شرحه على الديوان تذييلاً ساق فيه أبياتاً ومقطعات وقصائد من الفائت ، عثر عليها في ذيل شرح الواحدي ، وهي مما لم يذكره الواحدي ، ولا العكبري ، وضمّ اليها اكثر ما جمعه الاستاذ الميمني في كتابه .

ومن الفائت الذي نقله الاستاذ الميمني من النسخة الشروانية ، ولم يوجد في نسخة خطية ، ولا في طبعة قديمة او حديثة ، أبيات على الحاء قالها المتنبي عندما ادعيت قصيدته «جللا كما بي» ، ومنها (ص ١٥) :

لكم الامان من الهجاء فانه فيمن يهجى الهجاء مديح !

قال الاستاذ الميمني في الحاشية على هذا البيت . «وله في المعنى» :

صغرت عن المديح ، فقلت : اهجى كأنك ما صغرت عن الهجاء

ومنه قصيدة في هجاء ابن حيدرة ، هذا بعضها (ص ١٧) :

يا صاحب الجدث الذي شمل الورى بالجود ، ان لو كان لؤمك جودا :
قد كنت انتن منك قبل دخوله ريحاً ، واكثر في الحياة صديدا
واذل جمجمةً ، وأعيا منطقاً ، واقل معرفةً ، واذوى عودا
اسلمت لحيتك الطويلة للبلى ، وثويت لا أحداً ، ولا محمودا

وَدرى الاطبة أن داءك قاتلٌ حتى شفاؤك كان منه بعيدا

قال الاستاذ الميمني في تعليقه على هذا البيت الاخير . « له في المعنى :

قالوا لنا : مات اسحق ، فقلت لهم : هذا الدواء الذي يشفي من الحمق »

الى أن يقول شاعرنا في أولاد حيدرة :

سودٌ ، ولو بهروا النجومَ إضاءةً قل ، ولو كثروا التراب عديدا

شيءٌ كلا شيء لو انكَ منهم في جحفل لجب ، لكنتَ وحيدا

وان قوله (شيء كلا شيء) هو من طرائفه المعروفة في التعبير . قال في قصيدته « لا افتخار إلا » :

ان بعضنا من القريض هراءٌ ليس شيئاً ، وبعضه أحكامُ .

وقال في قصيدته « أعيا وأيسر ما قاسيت » :

وضاقتِ الارض ، حتى كان هاربهم اذا رأى غير شيء ظنه رجُلا .

الى آخر ما جاء له في هذه الشعبة :

ومن الفائت ، وهو جواب عن كتاب (ص ٢٠) :

لئن حمّ ، بعد النأي ، قربي ولم أجد من الوصل ما يشفي الفؤادَ من الوجد

ولم تكتحل عيناي منك بنظرة يعود بها نحس الفراق الى سعد

فلي لحظـات في الفؤاد بقلة من الشوق ، تدنيكم كأنكمو عندي

اذا هاج ما في القلب للقلب وحشةً فرحتُ الى أمر التذكر من بعد

وأنك واجد ، ولا ريب ، ان روح المتنبي يطالعك في كل هـذا ، على كونه ، في الغالب فجًا ، جافًا ، نازلا عن مرتبة الجودة . الا ان هنا ديباجة لفظ ، وانصباب نفس ، والتفات ذهن ، اشبه ان تكون للمتنبي . دع مـا رأيت في بعض هذا الفائت مما يتلاقى وبعض المحفوظ على معنى واحد ، بل على لفظ واحد ! .

هذا ، وقد تُيح لي من سنتين الاطلاع في خزانة الفيكونت طرازي على نسخة خطّية من شرح الواحدي لديوان المتنبي ، في أولها ، وفي آخرها ، كتابات كثيرة ، منها ما له علاقة بالديوان ، ومنها ما ليس كذلك . ومن تلك الخطوط

المثبتة في الصفحة الاولى، ما ننقله هنا بلفظه :

« ديوان المتنبي وله شرح لابي زكريا » (كذا) . ثم : « صاحبه محمد بن محمد عفا عنه الكريم الاوحد » . ويتلو هذا كلمات غير مقروءة . ثم يجيء بعدها : « الله حي . من كتب أبي — وهنا كلمة غير مقروءة — رستم بن احمد الشرواني » . وفي الصفحة الثالثة ما هـذا بعضه ، بحرفه : « وله — اي للديوان - شرح نفيس للأقليلي » (كذا ، بالباء الموحدة) .

وان الشيخ ملتفتٌ ، في ما نظنُّ ، الى هذه العلاقة الشروانية بين نسخة الفيكونت طرازي ونسخة الشيخ الشرواني ، التي عليها عوَّل الاستاذ الميمني :

ويضاف الى ذلك ما ذُكِرَ في « معجم المطبوعات » على بعض طبعات الديوان في الهند ، وهو مما يفتح على المسألة باباً آخر . قال هناك (ح : ١٦١٦) : « ديوان ابي الطيب المتنبي ، بعناية — اي انه طُبع بعناية — احمد بن محمد اليمني الشرواني . كلكته ١٣٢٠ هـ ١ ص ١٠٢ » . فهـا هنا ، كما ترى ، محل لتحقيق طويل ، ليس هذا وقته .

وقد وجدت في النسخة الطرازية جانباً من الفائت الذي جمعه الاستاذان الميمني والبرقوقي ، ووجدتُ ، فوق ذلك ، ابياتاً أربعة لم يظفرا بها ، وليست ، أيضاً ، من طنانات المتنبي . وهي مثبتة في آخر النسخة بخط قديم ، يخـالف الخطوط التي فيها . قال الكاتب : « قال بعضهم : سمعت ابا علي البلخي يقول : سمعت بعض بني اسد يقول : آخر ما سمعنـاه من أبي الطيّب ، عند محاربتنا اياه ، ينشد :

كان الزمان يخرتني بامانه فاذاقني المكروه من حدثانه
فاذ النذير من الزمان لكل من امسى واصبح واثقاً بزمانه .

وقال بعد ايراد هذين البيتين :

«أنشد ابو جعفر العرايمي (كذا) قال : انشدنا ابو الحسين العباسي ، قال : انشدني المتنبي لنفسه بفارس :

دنا ، ودنا ، حتى إذا ما ألفته نأى ، ونأى ، حتى لم يكن أصلا
وقد كان شغلاً للفؤاد دنوه فلما نأى ، زاد الفؤاد به شغلا .

وما دمنا في الكلام على الانف من شعر المتنبي ، يحسنُ ان نستطرد الى

مسألة اخرى، تتعلق بترجمة حياته. وهي ايضاً مما لم يخض في خبره، بعد. وجدت في «الخزانة» للبغدادي نصاً، لا يحتمل التأويل، على اسم العمل الذي كان المتنبي يلتمس من الاخشيدي ان يقلده في بعض الاطراف اللبنانيــة، والذي لمح في كافورياته اليه غير مرة، كقوله في قصيدته «أغالبُ فيك الشوق»:

اذا لم تنط بي ضيعة، أو ولاية فجودك يكسوني، وشغلك يسلبُ!

وكقوله في قصيدته «كفى بك دا.»:

وغير كثير أن يزورك راجل فيرجع ملكاً للعراقين، واليا...

قال البغدادي (٢: ١٣٩)، ينقل من كتاب «ايضاح المشكل لشعر المتنبي»:

«وسمعت من قال: ان كافوراً لما سمع قوله — يريد المتنبي — اذا لم تنط بي ضيعة (البيت) يلتمس ولاية صيدا فاجابه: لا أجسر على توليتك صيدا، لأنك على ما أنت عليه تحدثك نفسك بما تحدث، فان وليتك صيدا، فمن يطيقك!؟».

واذا انت علمت ان ابا القاسم الاصفهاني، صاحب «ايضاح المشكل» هو ممن عاصروا ابن جني ورووا عنه (الخزانة — ٢: ١٣٧)، وان ابن جني كان قد قرأ ديوان المتنبي على صاحبه (وفيات الاعيان — ١: ٣١٢ — الطبعة الاولى) وقال فيه المتنبي (الاعلام — ص ٦٢٤ في مادة عث، ينقل من إرشاد الأريب): «ابن جني أعرف بشعري مني» رأيت ان رواية البغدادي عن الاصفهاني، في مسألة ولاية صيدا، لا يعترض في صحتها شبهة.

معجم تحليل أسماء الاماكن في البلاد العربية

للعلّامة المغفور له عيسى اسكندر المعلوف
عضو المجامع العلمية في القاهرة وبيروت ودمشق

حرف العين

العاصي – نهر العاصي Oronte الارند قال البحتري يذكره :

وكم نفست من حمص من متأسف غدا الموت منها آخذاً بالمخنّق
وكم قطعت أرض (الأرُندِ) إليهم كتائب ترجي فيلقاً بعد فيلق

وهو يخرج من عين اللبوة – ببلاد بعلبك – ويجري الى حمص فيكوّن بحيرة قدس (قطّينه) وقطّينه تحريف كلمة – كتّيني) المصرية بمعنى الحشين الذين عملوا السدة للعاصي فكوّن بحيرة ثم يجري النهر الى حماة وينتهي الى سهل العمق ويجتاز قصبتي انطاكية وجسر الشغر الى أن يبلغ فرضة السويدية (سلوقية) فيصب في البحر الرومي . وكان يقال له في القديم – الاورنت – ثم – الارند – واطلق عليه اسم النهر الكبير ونهر المقلوب ونهر الميماس . واسم العاصي من كلمة أكيي اليونانية .

عرصوص – قرب اسكندرونة من بلاد كيليكية .

العراق – قيل انها تعريب – ايراء – الفارسية بمعنى الساحل لأنها على ساحل خليج فارس أو ساحل شط العرب وقيل إنها من – اور – مدينة و – آو – ماء و – كا – علامة التثنية في لغة الاكديين والشمريين فهي –اور آوكا – بمعنى الرافدين أي نهري دجلة والفرات ويمناها – شنعار – راجعها بحرف الشين .

عرامون – عبرانية – بمعنى الدلب بلدة في الشوف وأخرى في كسروان

وتحريفها – علمان – موقعها شرقي صيدا قال الأثري كلرمون غانو : إن علمان هذه هي مدينة – بلاتانوس – ذكرت في اخبار انطيوخس الثالث وبطلميوس الرابع محب أبيه (٢١٩ – ٢١٨ ق.م) قال المؤرخون ان احد قواد بطلميوس احتل مضيق بلاتانوس بينما كان قائد آخر يدافع عن مدينة برفيريون – عند خان النبي يونس – فموقع علمان يوافق موقع – بلاتانوس – وهي بمعنى الدلب ايضاً . وللتفرقة بينها يقال – عرامون الشوف – وعرامون كسروان .

العريش – مدينة واقعة في فم الوادي بين فلسطين ومصر . وسميت في أشعيا – هرس – بمعنى الخلاص والحب والآن العريش وتسمى – دينوكولورا .

عري – قرية شرقي بكاسين في جزين لبنان على سفح جبل المقابل لها ولفظها سرياني بمعنى الباردة وينبوعها غزير مصدره من تحت الصخور في أعلاها يسمى نبع الناصري نسبة الى الملك الناصر الذي جلس عليه عندما زار تلك النواحي . والجبل في أعلى القرية فيه صخر كبير عليه قلعة – تيرون – اي الصخر الصغير وهي قلعة نيحا . وعري بلدة في حوران اشتهر فيها بنو الاطرش وفيها بئر غسان التي نسب اليها بنو الأزد لما دخلوا حوران ونزلوا حوله بمواشيهم وشربوا من مائه فسموا باسمه .

عرجوش – قرب زحلة تسمى الآن – الفيضة – راجع كركيش فهي تحريفها .

عردعير – عراعير الآن في شرقي البحر الميت .

عسقلان – (فلسطين) راجع اسقلون .

عشقوت – من عشقتو السريانية بمعنى الصعبة بلدة في كسروان .

عفرين – نهر عفرين هو قديماً نهر – عبرا .

عقرقوف – من (عقر) اي قصر او المتهدم منه و – قوف – اسم رجل وقيل انها آرامية (بمعنى قواعد الأساطين) تحليلها (عقرا) الاصل او القاعدة و – قوفا – السواري او (الاعمدة).

عكا – اسم فينيقي معناه – العوجاء – لانها على شكل نصف دائرة وسميت (بتولمايوس) نسبة الى بتوليوس أحد وزراء الاسكندر لانه رممها .

علمان – تحريف عرامون (راجع عرامون) او انها من السريانية مثل ساحل علما بمعنى ساحل العالم .

عماطور – سريانية ومعناها تحت الجبل .

عماص – او – عماس – عبرانية بمعنى – ينابيع حارة .

عنجر – (مقالتنا في المقتطف ٥٥ – ٥٨ سنة ١٩٢٤) اسمها القديم خالكيس او كلشيس يونانية بمعنى النحاس وصوبة بمعنى المحلة وفي كتابات العمارنة سنة ١٥٠٠ ق.م (مات نحاسي) لوجود(جرن النحاس) قربها مما يدل على استخراج النحاس من هناك .

وذكرها الصليبيون باسم (عين غارا) فقالوا – اجرا – و – اميكارا – بالتحريف والعرب قالوا – عين الجر – ووجد اسمها بكتابة –غدة– او –غرة– ولعلها عبرانية بمعنى – عين الغريب – أما لغرابة ينبوعها الدوري أو لوجودها في سفح الجبل المسمّى عند العرب – الجرّ – لتلاطمه او لردها الغارات – عين الغارة – او – عين الجار – من الجيرة . وأصل الأول – غرا – فارسية بمعنى الأبيض لعبادة الشمس او هي كلمة – الجرة – اليونانية ومعناها المرساة ومثلها أنقره في آسية الوسطى . وفي مجلة المشرق (١ :٦٢٦) في نواحي غزة والعريش منازل العرب المعروفين بالخناجرة وهذا مما يذكرنا بقول (بلين) : جبل حنجر – Mons Angaris – ورد ذكره في رسوم بلين الطبيعية .

عنطورا – سريانيتها – عين طورا – اي عين الجبل وهي في كسروان واشتهرت بدرستها القديمة التي اسسها الآباء اليسوعيون سنة١٧٧٣ثم جددها الآباء اللعازريون بعد تعطيلها سنة ١٧٧٣ لما الغيت الرهبنة اليسوعية . واشتهرت مدرستها بتخريج الطلبة في عهديها اليسوعي واللعازري ولا سيما في القرنين التاسع عشر والعشرين للميلاد فظهر منها نوابغ خدموا الدين والعلم والادب ولا تزال عامرة تخدم العلم والادب .

عين الحصحاص – من خراج – الزغرين – في متن لبنان والحصحاص سريانية بمعنى الحصن . ومن خراجها أرض – الشواغير – راجعها بحرف الشين .

عيثا – البقاع – لعلها تحريف (عناث) الهة سورية فقيل – عنيا – ثم – عيثا .

عيناب – بلدة في شوف لبنان سريانية معناها – عين الأب .

عينقني – بلدة في وسط – باعربايا – ومعنى عينقني – عين العشوش – أو

الأوكار سريانية وهي بجانب الدير المسمى باسمها في العراق وعينقني في لبنان ايضاً .

عين سكفتا — في بلدة يبرود في جبل القلمون فوق دمشق يونانية بمعنى — المحفورة .

علين — قرب مدينة زحلة أما تحريف (عليون) الفينيقية بمعنى زُحل او تحريف البعليم العبرانية بمعنى الابعال . ويرجح الرأي الاول ومنها اسم زحلة من — زُحل .

عمريت — اسمها القديم — ماراتوس — في شمالي ارواد .

عيتنيت — فينيقية من عين وتانيت بمعنى عشتاروت (الزُهرة) او تحريف — بعل تانيت .

عين زحلته — ربما عين الزحلة او زُحل .

عمّان — ربة عمّون . وسماها اليونان فيلادلفية .

عيلام — نسبة الى عيلام بن سام وعيلام سامية بمعنى البلاد الجبلية وسماها الأشوريون والعبرانيون سوسيانا وهي بين دجلة وبلاد فارس وهي خورستان الآن ومنها الاهواز .

عيناتا في فلسطين اسمها القديم — عناتوت — سماها غوليلمس الصوري عمواص وتعرف الآن باسم عيناتا — ومثلها في بلاد بعلبك لبنان قرية عيناتا فوق اليمونة ولعلها من الربة عنات او اناتس ربة السوريين عموماً سامية معبودة الآراميين . وركبت منها اسماء كثيرة .

حرف الغين

غزة هاشم في فلسطين — اسم غزة — بلغة مصر ازوتس واسمها القديم اليوناني — ماجوما — بمعنى مكان البحر .

غُوط او قُوط — النطط والأول أشهر قبيلة من الجتيين فان (غوثر) معناه حاذق وهو مشتق من اسم جتة — جتن — ومعناه حذق . وفي القرن الرابع ق.م. صار القوط ذوي نفوذ بين الجتيين فان احد ملوك الجتة كان اسمه — غوتيلاس —

اي غوت الصغير واقترن فيلبس المكدوني بابنته . فقيل بلاد الغوط او القوط نسبة الى تلك القبيلة .

غينه — كسروان لبنان يونانية بمعنى امرأة نسبة الى الزهرة التي نقشت على احد صخورها في حوادث تموز وعشتروت .

غابون — سريانية بالخرش والغاب .

حرف الفاء

الفُراتُ — نهر في العراق معروف واسمه هذا تحريف اسمه العبراني —بريث— وسمته التوراة — كنغو — ومعناه نهر الحياة .

فَرْشُوط — اصلها — فرجوط — وهو اسم جبل كان هناك فقال العرب — فرشوط .

الفَرَيْدِيس — تصغير الفردوس الفارسية وهي قرى منها الفرَيديس قرب قنسرين حلب وفريديس الباروك في شوف لبنان والفريديس قرب دمشق .

فلسطين — بمعنى المتغربين باسم سكانها الفلسطينيين .

فونيقية (و) فينيقية — اسم وضعه اليونان لبلاد كنعان . واسمها بالآثار المصرية — كفتا — و — زاهي — وفي الآثار الاشورية — اخاري — اي بلاد المغرب . قال مسبرو ان اسم فينيقية من — فون — او — بون — عند المصريين بلاد العرب الشرقي وشاطئ خليج العجم حيث كان الكنعانيون والحق بها حرف النسب العربي وقيل ان اسم — فونيقي — يوناني بمعنى النخل لكثرة الشجر فيها قديماً وكان النخل رمز بلادهم .

فَيُوم — بالمصرية القديمة (ف — يوم) فاداة التعريف للمفرد المذكّر — ويوم بمعنى بحر فمعناها البحر لأن أمنمحت الثاني من ملوك الأسرة ١٢ حفر بها البحر المعروف ببحر موريس لري أرضها فسميت بذلك . وفي العربية — اليم — بمعنى البحر تصغير (اليَمّونه) بمعنى البحيرة في بعلبك .

— يتبع —

كتاب ختم الاولياء (تابع)

تأليف أبي عبدالله محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي

تحقيق عثمان اسماعيل يحيى

عالمية الازهر مع اجازة القضاء الشرعي
دبلوم الدولة للدراسات العليا من جامعة باريس
دكتوراه الدولة من السوربون

(السؤال الخامس ومائة) : وما الإزار [١٤٥] ؟

(السؤال السادس ومائة) : وما الرداء [١٤٦] ؟

---

١٤٥) « الجواب : الازار حجاب السر » (الجواب المستقيم، ورقة ٢٥٠ أ).

« الجواب : حجاب الغيرة والستر على تأثير القدرة الالهية في « الحقيقة الخاصة » الكلية، الظاهرة في القدم قديمة، وفي المحدثات محدثة. وهو ظهور الحقائق الالهية والصور الربانية في «الاعيان الثابتة» الموصوفة بالامكان، التي هي مظاهر الحق. فلا يعلم نسبة هذا الظهور الى هذا المظهر الّا الله، سبحانه وتعالى!

فالحجاب الذي حال بيننا وبين هذا العلم، هو المعبّر عنه «بالازار». وهي كلمة « كن». ولا اريد به حرف الكاف والواو والنون، وانما اريد به المعنى الذي به كان هذا الظهور».

(فتوحات : ٢ : ١٠٣ أ)

١٤٦) « الجواب : الرداء (هو) العبد الكلّي » (الجواب المستقيم، ورقة ٢٥٠ أ).

« الجواب : العبد الكامل، المخلوق على الصورة، الجامع للحقائق الامكانية والالهية: وهو المظهر الأكمل، الذي لا أكمل منه، الذي قال فيه ابو حامد : « ما في الامكان ابدع من هذا العالم » ؛ لكمال وجود الحقائق كلها فيه. وهو العبد الذي ينبغي ان يسمى خليفة ونائباً ؛ وله الاثر الكامل في جميع الممكنات ؛ وله المشيئة التامة ؛ وهو أكمل المظاهر.

واختلف العلماء : هل يصح ان يكون منه في الوجود شخصان فصاعداً ؛ او لا يكون إلّا شخص واحد ؟ فإن كان شخص واحد، فمن هو ذلك الشخص ؟ ومن أي قسم هو من اقسام الموجودات ؟ هل هو من البشر او من الجن او من الملائكة ؟

وانما سمّاه « رداء » لانه مشتق من الردى، المقصور ؛ وهو الهلاك. لانه مستهلك في

(السؤال السابع ومائة) : وما الكبرياء [١٤٧] ؟

الحق ، استهلاكاً كلياً ، بحيث ان لا يظهر له وجود عين، مع ظهور الانفعالات الالهية عنه . فلا يجد في نفسه حقيقة ينسب بها شيئاً من تلك الانفعالات اليه . فيكون حقاً كله . وهو قوله ، صلى الله عليه وسلم : « واجعلني نوراً » = اي يظهر فيّ كل شيء ولا اظهر بشيء . وقد يستهلك الحق فيه ، فلا ينسب بوجوده شيء الى الحق . وهو الوجه الذي اعتمد عليه من اثبت « الحق المخلوق به » كأبي الحكم بن برجان وسهل بن عبدالله التستري وغيرهما . واليه أشرنا بقولنا :

انا الرداء انا السر الذي ظهرت   في ظلمة الكون إذ صيرتها نورا

فالمرتدي هو الهالك بهذا الرداء . فانظر من هو المرتدي فاحكم عليه بانه مستهلك فيه ، فتجد حقيقة ما ذكرناه . — فكل مرتد محجوب بردائه عن ادراك الابصار . قال تعالى : « لا تدركه الابصار » . لان الرداء يحجب الابصار عنه ، ولا يحجبه عنها : فهو يدركها ولا تدركه . فالأبصار تدرك الرداء والرداء هو الذي استهلك المرتدي فيه بظهوره . — « ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون » .

(فتوحات : ٢ : ١٠٣ — ١٠٤)

١٤٧) « الجواب : الكبر ما ظهر من دعاوي الخلق في حضرة الربوبية من « انا » على طبقات القائلين بها . (الجواب المستقيم ، ورقة $\frac{١}{٢٥}$) .

« الجواب : ما ظهر عن دعاوى الخلق ، في حضرة الربوبية ، من « انا » على طبقات القائلين بها .

الكبر حال من احوال القلوب ، من حيث ما هي عالمة بمن ينبغي ان ينسب اليه الكبرياء . فان الحق معلوم عند كل موجود . ويتبع العلم الكبرياء : فمن كان أعلم به ، كان كبرياء الحق في قلبه أعظم ممن ليس في قلبه ما يوجب ذلك . فلو كان الكبرياء صفة للذات ، لكانت الذات مركبة . وان كان عين الذات وتجلى ، سبحانه ، وسلب العلم به في تجليه — لم يجد المتجلي له أثر كبر عنده لهذا التجلي ، لجهله به . فإن رزقه العلم به تبعه الكبر . والعلم مما يوصف به العالم لا المعلوم .

كذلك الكبر ، يوصف به من يوصف بالعلم بمن يكون الكبرياء من اثره في قلب هذا الشخص . ولهذا قد ورد « الكبرياء ردائي » . — فهو حجاب بين العبد وبين الحق . يحجب العبد ان يعرف كنه المرتدي به ، وهو نفسه ، فأحرى أن يعرف ربه . ومع هذا ، فلا يضاف الكبر إلا لغير لابسه . فانه حالة عجيبه وكذلك العظمة . فان الحق ما هي صفته (كذا في الاصل ولعل الصواب : ما له صفة) ، لا ذاتية ولا معنوية . فانه يستحيل على ذاته قيام

(السؤال الثامن ومائة) : وما تاج[٣] الملك[١٤٨] ؟

صفات المعاني بها. ويستحيل ان تكون صفة نفسية، من أجل ما ورد من إنكار الخلق له في تجليه مع كونه هو هو. — واذا بطل الوجهان، فلم يبق إلا ان تكون صفة للمتجلي به وهو الكون، أو حالة تعقل بين المتجلي والمتجلى له، لا يتصف بها المتجلى له، لان العبودة تقابل الكبر وتضادها. ومحال ان تقوم بنفسها بينهما. فلم يبق إلا ان تكون من أوصاف العلم فتكون نسبة كبر وتعظيم وعزة، تتصف بها نسبة علم بمعلوم محقق، من حيث ما يؤدي اليه ذلك العلم من وجود هـذه النسب ذوقاً وشرباً. كما تقول في التشبيه وضرب المثل: سواد مشرق، وعلم حسن. فوصف السواد بالاشراق، والعلم بالحسن. وهو وصف من لا قيام له بنفسه بما لا قيام له بنفسه. — فلذلك جعلنا الكبرياء والعظمة حالة تابعة للعلم بالمعظم والمكبر في نفس من عظمه وكبره». (فتوحات: ٢: ١٠٤)

١٤٨) « الجواب : لو كان حاضراً عند السؤال ومنتبها (الاصل : ومنتبه) يحصى الخذف (؟)، وهو الجواب . فافهم! » (الجواب المستقيم، ورقة ٢٥٠ ا).

« الجواب : تاج الملك ، علامة الملك. وتتويج الكتاب السلطاني ، خط السلطان فيه . والوجود « كتاب مرقوم يشهده المقربون » ويجهله من ليس بمقرّب . وتتويج هـذا الكتاب انما يكون بمن جمع الحقائق كلها ، وهي علامة موجده .

فالانسان الكامل ، الذي يدل بذاته من أول البديهة على ربه ، هو تاج الملك ؛ وليس الا الإنسان الكامل . وهو قوله ، صلى الله عليه وسلم : « ان الله خلق آدم على صورته » . وهو « الأول والآخر والظاهر والباطن » . فلم يظهر الكمال الالهي إلا في المركب ، فانه يتضمن البسيط ، ولا يتضمن البسيط المركب . فالانسان الكامل هو « الأول » بالقصد ، « والآخر » بالفعل ، « والظاهر » بالحرف ، « والباطن » بالمعنى . وهو الجامع بين الطبع والعقل . ففيه أكثف تركيب والطف تركيب ، من حيث طبعه . وفيه التجرد عن المواد والقوى الحاكمة على الأجساد . وليس ذلك لغيره من المخلوقات سواه . ولهذا خص بعلم الاسماء كلها وبجوامع الكلم . ولم يعلمنا الله أن احداً سواه أعطاه هذا إلا الانسان الكامل .

وليس فوق الانسان مرتبة الا مرتبة الملك في المخلوقات . وقد تلمذت (الاصل : تلمذت) الملائكة له حين علّمهم الاسماء . ولا يدل هذا على انه خير من الملك ، ولكنه يدل على انه أكمل نشأة من الملك . — فلما كان مجلي الاسماء الالهية ، صح له ان يكون للكتاب مثل التاج ، لانه اشرف زينة يتزين بها الكتاب . وبذلك التتويج ظهرت آثار

س[٣] التاج V ، + وما V .

(السؤال التاسع ومائة) : وما الوقار (١٤٩) ؟

الأوامر في الملك . كذلك بالانسان الكامل ظهر الحكم الالهي في العالم بالثواب والعقاب ؛ وبه قام النظام والخرم وفيه قضى وقدّر وحكم ». (فتوحات ، ٢ : ١٠٤–١٠٥)

١٤٩) « الجواب : حمل اعباء التجلي قبل الفناء فيه : مثل سكرات الموت قبل حلوله ». (الجواب المستقيم ، ٢٥٠) .

« الجواب : حمل اعباء التجلّي قبل حصوله ، والفناء فيه ؛ كسكرات الموت قبل حلوله . وذلك ان للتجلّي مقدمات كطلوع الفجر لطلوع الشمس . وكما ورد في الخبر « عن مقدمات تجلي الرب الجليل بما يترل من الملائكة» والقوى الروحانية « في الضباب ». وهي اثقال التجلي ، التي تتقدمه ، من الوقر وهو الثقل . واذا حصل الثقل ، ضعف الاسراع والحركة .

فسمّي ذلك السكون وقارًا ، اي سكون عن ثقل عارض ، لا عن مزاج طبيعي . فإن السكون الكائن عن الأمر ، الذي يورث الهيبة والعظمة في نفس الصخص ، يسمّى وقارًا وسكينة . والسكون الطبيعي الذي يكون في الانسان من مزاجه ، لغلبة البرد والرطوبة على الحرارة واليبس ، لا يسمى وقارًا . انما الوقار نتيجة التعظيم والعظمة . ولاسيما ان تقدم التجلّي خطاب إلاهي ، فصاحبه أشد وقارًا . لان خطاب الحق ، بوساطة الروح ، يورث هيبة ؛ ولا سيما ان كان « قولًا ثقيلا ».

وقد كان رسول الله ، صلى الله علية وسلم ، اذا نزل عليه الوحي كصلصلة الجرس يجد منه مشقة عظيمة ، ويورثه سكونًا وغشيًا مع الواسطة . فكيف به اذا خاطبه الحق بارتفاع الوسائط ، مثل موسى ، عليه السلام ! ومن كلّمه الله ؟ فاذا كان هذا وامثاله من مقدمات التجلي الإلهي ، فكيف يكون حال الانسان بعد حصول التجلي من الوقار ؟

ألا ترى إلى ما يحصل في قلوب الناس من هيبة الصالحين ، المنقطعين الى الله ، الذين انجر العادة ، عند العامّة ، برؤيتهم ؟ فاذا وقع نظرهم عليهم ، ظهر عليهم من الوقار والسكينة والخمود برؤيتهم ما لا يقدر قدره الا الله ، وهو اجلال المتجلي . يقول بعضهم .

كأنما الطير منهم فوق رؤسهم لا خوف ظلم ولكن خوف اجلال

وقال آخر :

اشتاقه فإذا بدا اطرقت من اجلاله

لا خيفة بل هيبة وصيانة لجماله

فهذا الاطراق هو عين الوقار . – وقال تعالى : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونًا » . – وقال ، عليه السلام : « فلا تأتوها وأنتم تسعون » = يعني الجمعة « وأتوها

(السؤال العاشر ومائة) : وما صفة[ش٣] مجالس الهيبة (١٥٠) ؟

(السؤال الحادي عشر ومائة) : وما صفة[ص٢] ملك الآلاء (١٥١) ؟

وعليكم السكينة والوقار » = اي امشوا مشي المثقلين . وهذا لا يكون الا اذا تجلى لهم في جلال الجمال ».

(فتوحات: ٢ : ١٠٥)

١٥٠) « الجواب : ان اراد حال الجلساء فكما قيل :

كأنما الطير فوق رؤوسهم لا خوف ظلم ولكن خوف اجلال

وان اراد صفة المحل فمواجهة » . الجواب المستقيم : $\frac{١}{٢٤٩}$ — $\frac{ب}{٢٥٠}$) .

« الجواب : لما كانت الهيبة تورث الوقار ، سأل عن صفة مجلسه . اي ما صفته في قعوده بين يديه ؟ — فمن صفته عدم الالتفات ، واشتغال السر بالمشاهد ، وعصمة القلب من الخواطر ، والعقل من الافكار ، والجوارح من الحركات . وعدم التمييز بين الحسن والقبيح . وان تكون اذناه مصروفة اليه ، وعيناه مطرقتين الى الارض ، وعين بصيرته غير مطروسة . وجمع الهم ، وتضاؤله في نفسه . واجتماع اعضائه اجتماعاً يسمع له ازيز . وان لا يتأوه ، مع جمود العين عن الحركة . وان لا تعطيه المباسطة الإدلال .

فإن جالسه بتقييد جهة ، كما كلمه بتقييد جهة من حضرة مثالية ، « كجانب الطور الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة » — فليكن سمعه بحيث قيّده . فإن اطلق سمعه لاجل حقيقة أخرى تعطيه عدم التقييد — وهو تعالى قد قيّد نفسه به في جانب خاص — فقد اساء الادب ، وليس هو في مجلس هيبة .

ولا يكون صاحب مجلس الهيبة صاحب فناء ، لكنه صاحب حضور او استحضار ، لا يرجع ولا يجرح ولا يرفع ميزاناً ولا يسمى انساناً ، فان الانسان مجموع اضداد ومختلفات » .

(فتوحات: ٢ : ١٠٥)

١٥١) « الجواب : روحاني » (الجواب المستقيم $\frac{ب}{٢٥٠}$) .

« الجواب : روحاني . وذلك ان المُلك لا يتصف به الا الجماد خاصة ، وهو اشد الخلق طواعية لله سبحانه ، المعترف بانه مُلك لله سبحانه . على ان جميع ما سوى الله مُلك له . ولكن الفضل في المُلك ان يعلم انه مُلك ، وان تكون (الاصل : يكون) معاملته مع الله معاملة من هو مُلك لله . وليس ذلك الا للمهيّمين من الملائكة والجمادات .

واما النبات ، فلم يتصف بذلك كل النبات . فان منه من لا يخرج الا نكدا . ولكن

ش٣ صفات ٧ . ص٢ صفات ٧ .

باقي الخلائق ؛ فيهم من قام بحق كونه مُلْكاً ومنهم من لم يقم بذلك في كل صنف . وبهذا وصفهم الحق، سبحانه ، فقال : « وله يسجد من في السماوات ومن في الأرض طوعاً وكرهاً ». فالطائع في الامكان ان يكون صاحب كره ؛ والكاره في الامكان ان يكون طائعاً . فاعظم الآلاء ، وأتمها ، بل هي النعمة المطلقة ، ان يرزق الخلائق طاعة الله ؛ فانهم لذلك خلقوا .

فملك الآلاء هو الذي ملكته النعمة لله . وهو قوله ، عليه السلام : « احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه » . وكل ما سوى الله متنعم . فكل ما سوى الله منعم عليه . فكل من تعبدته نعمة الله لله فهو ملك الآلاء . والآلاء من جملة الملك ، فيحتاج الى نعمة ؛ وتلك النعمة عين وجودها وبقائها في المتعين عليهم : فالنعم ملك الآلاء ، ايضاً .

فإذا كان ملك الآلاء المنعم عليهم ، ردتهم النعمة الى الله . فكان ملكهم لله بتلك النعم؛ فهم ملك الآلاء : فملك الآلاء من كان بهذه الصفة .

واذا كان ملك الآلاء عبارة عن عين الآلاء ، فصفة هذا العين ان لا تنسب إلّا الى الله؛ فان نسبت الى غير الله، فذلك من جهة المنعم عليه لا من جهة النعمة . والمنعم عليه هو المذموم بقدر ما اضاف من الآلاء الى غير الله .

لما تلا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، سورة الرحمة ، العامّة لجميع ما خلق الله ، دنيا وآخرة وعلوّاً وسفلاً ، على الجن ، فما قال في آية منها : « فبأيّ آلاء ربكما تكذبان؟ » إلّا قالت الجن : « ولا بشيء من آلائك ، ربّنا ، نكذب » . فمدحهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لأصحابه بحسن الاستماع ، حين تلاها عليهم ولم يقولوا شيئاً من ذلك .

ولم يكن سكوتهم عن جهل بأن الآلاء من الله ، وان الجن أعرف منهم بنسبة الآلاء الى الله . ولكن الجن وفت بكمال المقام الظاهر ، حيث قالت : « ولا بشيء من آلائك ، ربّنا ، نكذب » . فان الموطن يقتضيه . ولم تقل ذلك الصحابة من الانس ، حين تلاها عليهم ، شغلاً منهم بتحصيل علم ما ليس عندهم ، مما يجيء به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم!

فشغلهم ذلك الحرص عن تعبير الزمان ، الذي يقولون فيه مما قالت الجن ، ان يقول النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ما يقول من العلم فيستفيدون . فهم اشد حرصاً على اقتناء العلم من الجن . والجن أمكن في توفية الأدب ، بما يقتضيه هذا الموطن من الجواب ، من الانس .

فمدحهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بما فضلوا به على الانس . وما مدح الانس بما فضلوا به على الجن ، من الحرص على مزيد العلم بسكوتهم عند تلاوته . ولاسيما والحق يقول لهم : « واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا » . والسورة واحدة في نفسها ، كالكلام غير التام . فهم ينصتون حتى يتمّها .

فجمع الصحابة ، من الإنس ، بين فضيلتين لم يذكرهما رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،

وذكر فضل الجن فيما نطقوا به . فان نطقهم تصريح بالعبودية بلسان الظاهر، وهم بلسان الباطن ايضاً عبيد . فجمعوا بين اللسانين بهذا النطق والجواب . ولم يفعل الانس ، من الصحابة ، ذلك عند التلاوة فنقصهم هذا اللسان .

فكان توبيخ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إيَّاهم تعليماً بما تستحقه المواطن ، اعني مواطن الالسنة الناطقة ، لينتبهوا فلا يفوتهم ذلك من الخير العملي . فانهم كانوا في الحيّز العلمي في ذلك الوقت . وحكم العمل في موطنه لا يقاوم العلم ؛ فان الحكم للموطن . وحكم العلم في موطنه لا يقاومه العمل .

والجن غرباء في الظاهر . فهم يسارعون في الظهورية ، ليعلموا أنهم قد حصل لهم فيه قدم لكونهم مستورين . فهم الى الباطن اقرب منهم الى الظاهر . والتلاوة كانت بلسان الظاهر . والانس في رتبة الظاهر ؛ فحجبهم عن الجواب ، الذي أجابت به الجن ، كونهم اصحاب موطن الظاهر . فذهلوا عن الجواب لقرينة حال موطنهم . ولو وفقوا به لكان احسن في حقهم . فنبّههم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، على الأكمل في موطنه ، وهو المعلم فنعم المؤدب !

فمن اراد تحقيق ملك الآلاء ، فليتدبر سورة الرحمن من القرآن ؛ وينظر الى تقديم الانس على الجن في آيها وقوله تعالى : «خلق الانسان» ايضاً . فابتدأ به تقديراً ورتبة نطقية ، ختماً به على الجن وان كان الجن موجوداً قبله . (وهذا) يؤذن بأنه وان تأخرت نشأته (: الانسان ، فهو المعتنى به في غيب ربه . لانه المقصود من العالم لما خصه به من كمال « الصورة » في خلقه « باليدين » « وعلم الأسماء » والافصاح عما علّمه بقوله : « علّمه البيان » .

وبعض اصحابنا يطلق ملك الآلاء على ما يحصل للعبد من مزيد الشكر على نعم الله . فذلك القدر ، لمن حصل له ، يسمى ملك الآلاء : فهو ملك الشاكرين . الذي شكر نعم الله بلسان حق ، وناب الحق مناب العبد من اسمه « الشكور » ، وهو شكره لعباده على ما كان منهم من شكرهم على ما أنعم عليهم ليزيدوا في الاعمال في مقابلة شكره ؛ فيكون ما جازاهم به من ذلك على قدر علم الشاكر بالمشكور ، والله هو الشاكر في هذا الحال ، وهو انما بنفسه ؛ فالجزاء الذي يليق بهذا الشاكر ، لو جوزي ، هو الذي يحصل لهؤلاء الشاكرين الذين لهم هذا الحال : فهذا الجزاء يسمى ملك الآلاء . وهو اعظم الملك .

وهو قوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » = اي نعم ربها — جمع آلاء — والى ربها المضافة اليه هنا ، الذي يستحقها لو قبل الجزاء الذي هذه صفته ، فتكون تلك جزاء هؤلاء . وهذا من باب ما طلبه الله من عباده ؛ فقال : اذكروني واعبدوني واطيعوني « واشكروا لي ولا تكفرون » . وهذا كل جزاء من العبد في مقابلة ما انعم الله عليه به من الوجود خاصة ؛ فكيف اذا انضاف الى ذلك ما خلق من اجله من النعم المعنوية والحسية .

(السؤال الثاني عشر ومائة) : وما صفة ض[٢] ملك الضياء.[١٥٢] ؟

قال تعالى : « وما خلقت الجن والانس إلّا ليعبدون » . فعلّل . فيعبدونه (الاصل : فيعبدوه) لكونه انعم عليهم بالايجاد لكمال رتبة العلم والوجود ، من حيث من ذكر من الاجناس ؛ فاعلم ذلك – لا لكمال رتبة الوجود والمعرفة ، من غير هذا التقييد . فان ذلك يكفي فيه خلق محدث واحد ، وايجاد العلم المحدث فيه المتعلق بالله والكون . ولكن لما كانت الاجناس منحصرة عند الله وأوجدها كلّها ، وبقي هذان الجنسان ، أوقع الاخبار عنها بما ذكر . فشرحناه بما يعطيه الحال المقصودة لخالقها ، تعالى ، بها » .

(فتوحات: ٢: ١٠٥–١٠٧)

١٥٢) « الجواب : الكشف . وملك النور : الطمس » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥٠ ب) .

« الجواب : قال تعالى في القرآن : انه « ضياء وذكرى للمتقين » . فكلما اضاء بالقرآن فهو ملك الضياء . وكذلك جعل « الشمس ضياء » . فكلما اضاء بالشمس في الدنيا ويوجد به عينه ، فهو من ملك الضياء . وكل نور اعطى ضياء فهو من ملك الضياء ، مما لا يقابله معطي الضياء بنفسه اي نوع كان من الانوار .

فضياؤه هو الضوء الذي لا يكون معه الحجاب مما يكشفه . والنور حجاب . قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في حق الحق تعالى) : «حجابه النور» . وقال : « نور أنّى أراه » . والضياء ليس بحجاب . فالضياء اثر النور . وهو الظل . فان النور صيّره الحجاب ضياء . فهو بالنسبة الى الحجاب ظل ، والى النور ضياء . فله الكشف من كونه ضياء ، وله الراحة من كونه ظلّاً .

فملك الضياء ملك الكشف . فهو ملك العلم وملك الراحة . فهو ملك الرحمة . فجمع الضياء بين الرحمة والعلم . قال تعالى ، في منته على عبده خضر : « آتيناه رحمة من عندنا » = وهو الظل ، « وعلمناه من لدنّا علماً » = وهو الضياء ، اي الكشف الضيائي وهو اتم الكشوف .

وانما قلنا : النور حجاب ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام : « نور أنّى اراه » اي النور لا يتمكن ان تدركه الابصار ؛ لانها تضعف عنه . فهو حجاب على نفسه بنفسه . والضياء ليس كذلك . فالضياء روح النور ؛ والضياء للنور ذاتيّ . فملك الضياء ملك ذاتي ؛ وضوء الذات الاسماء الالهية . فملك الضياء ملك الاسماء .

والقرآن ضياء . فلكه ما أظهره القرآن . فعلم الخضر ، في زمان موسى ، عليه السلام !

ض[٢] صفات F V .

جزء من اجزاء ما يحويه صاحب القرآن المحمدي من العلوم . فبالقرآن يكشف جميع ما في الكتب المنزلة من العلوم ؛ وفيه ما ليس فيها . فمن أوتي القرآن فقد أوتي الضياء الكامل ، الذي يتضمن كل علم . قال تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » = وهو القرآن العزيز الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » . وبه صح لمحمد ، صلى الله عليه وسلم ، جوامع الكلم .

فعلوم الانبياء والملائكة وكل لسان علم ، فان القرآن يتضمنه ويوضحه لاهل القرآن بما هو ضياء . فهو نور من حيث ذاته لانه لا يدرك لعزته . وهو ضياء لما يدرك به ولما يدرك منه . فمن أعطي القرآن ، فقد اعطي العلم الكامل . فما ثَمّ في الخلق أتمّ من المحمديين ، وهم «خير امة اخرجت للناس» .

ثم « جعل الشمس ضياء » لوجود روح الحياة في العالم كله . وبالحياة رحم العالم . فالحياة فلك « الرحمة التي وسعت كل شيء » . وكذلك نسبة الحياة الى الذات الالهية ، شرط في صحة كل نسبة نسبت الى الله : من علم وارادة وقدرة وكلام وسمع وبصر وادراك . فلو رفعت نسبة الحياة منه (الاصل: اليه) ، ارتفعت هذه النسبة كلها . فهي الرحمة الذاتية التي وسعت جميع الاسماء . فهو ضياء النور الذاتي وظل الحجاب النسبي . لانه لا يعقل الإله الا بهذه النسب ؛ وتعقل الذات نوراً ، لا من حيث هذه النسب .

فكونه إلهاً حجاب على الذات . فكانت الالوهية عين الضياء : فهي عين الكشف . وكانت عين الظل النسبية : فكانت عين الرحمة . فجمعت الالوهية بين العلم والرحمة في حق الكون ، وهو المألوه ، وفي حق الاسماء الإلهية .

فما أعطاه هذا المقام الإلهي فهو ملك الضياء ؛ وهو ارفع من ملك السموات والأرض وما بينها «ولكن أكثر الناس لا يعلمون » بل لا يؤمنون . — وقد نبهتك على ما فيه غنية وشفاء في ملك الضياء .

فالكل في ملك الضياء — وليس عندهم خبر
والكل في عين الظلا — ل وهو المسمى بالقمر
فالحمد لله الذي — قد حزته بين البشر
في عصرنا هذا ، فهل — في وقتنا من مدّكر ؟
يعرف ما قد قلته — كما اتانا في « الزبر »
هذا هو العلم الذي — يقضي على علم الخضر
هل كان الا « خرقه — سفينة » « ذات دسر »
و « قتل نفس رحمة » — لو انه يحيا كفر
وستره كنز الذي — « كان يتيماً » يحتقر

(السؤال الثالث عشر ومائة) : وما صفة [ط٣] ملك القدر [(١٥٣)] ؟

وعلمنا بالله لا بعين كون عن نظر
فاين ذا من ذاك يا اهل القلوب والبصر
هذا هو العلم الذي يقال: « سحر مستمر »
ودونه الشمس التي تكسف فيه والقمر
في « مقعد » من صدقه « عند مليك مقتدر »
متكئ « على سرر » وسط « جنان ونهر »

(فتوحات: ٢: ١٠٧–١٠٨)

١٥٣) « الجواب : سيّال » (الجواب المستقيم، ورقة ٢٥٠ ب).

« الجواب : قالت الملائكة « ونقدّس لك » = تعني ذواتها ؛ اي من أجلك لنكون من اهل ملك القدس . فالمتطهرون من البشر ، من اهل الله ، من ملك القدس. واهل البيت من ملك القدس . والارواح العلا ، كلها من غير تخصيص ، من ملك القدس . فتختلف صفات ملك القدس ، باختلاف ما تقبله ذواتهم من التقديس . ولما نعت الله إسم « المَلِك » بالاسم «القدّوس» – والمَلِك يطلب المُلْك–فيضاف المُلْك الى القدس كما يضاف الى الآلاء وغيرها.

وذوات مُلْك القدس على نوعين في التقديس . فمنهم ذوات مقدسة لذاتها . وهي كل ذات كونية لم تلتفت قط الى غير الاسم الإلهي ، الذي عنه تكونت. فلم يطرأ عليها حجاب يحجبها عن إلاهها ؛ فتتصف لذلك الحجاب بأنها غير مقدسة ؛ اي لا تضاف الى القدس، فتخرج عن ملك القدس . وهم « الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون » = اي يتنزّهون ذواتهم عن التقديس المَرَضي بالشهود الدائم .

وهذا مقام ما ناله احد من البشر ، إلّا من استصحب حقيقتَهُ ، من حين خلقت (الاصل: خلقت) ، شهودُ الاسم الإلهي ، الذي عنه تكوّنت . وبقي عليها هذا الشهود ، حين اوجد الله لها مَرْكَبها الطبيعي ، الذي هو الجسم . ثم استمر لها ذلك الى حين الانتقال الى البرزخ من غير موت معنوي ، وإن مات حسا . وهذا ، والله أعلم ، ناله محمد، صلى الله عليه وسلم! فانه قال : « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » . يريد ان العلم بنبوته حصل له ، « وآدم بين الماء والطين » . واستصحبه ذلك الى أن وجد جسمه في بلد لم يكن فيه موحّد لله . ولم يزل على توحيد الله ، لم يشرك كما أشرك اهله وقومه .

ثم انه لما استقامت آلاته الحسية وتمكّن من العمل بها ، بحسب ما وجدت له ، واستحكم بنيان قصر عقله وخزانة فكره ، واعتدلت مظاهر قواه الباطنة – لم يصرفها إلّا في عبادة

ط٣ صفات V F .

خالقه . فكان يخلو بغار حراء لتحنث فيه ، الى ان ارسله الله الى الناس كافة . فكان يذكر الله على كل احيانه ، كما ذكرت عنه عائشة ، ام المؤمنين رضي الله عنها ! وقد قال ، صلى الله عليه وسلم ، عن نفسه — وهو الصادق : « انه تنام عينه ولا ينام قلبه » . فأخبر عن قلبه انه لا ينام عند نوم عينه عن حسه . فكذلك موته : إنما مات حساً كما نام حساً . فان الله يقول له : « انك ميت » . وكما انه لم ينم قلبه ، لم يمت قلبه . فاستصحبته الحياة من حين خلقه الله . وحياته انما هي مشاهدة خالقه دائماً لا تنقطع .

وقد اخبر ذو النون المصري ، حين سئل عن قوله تعالى في اخذ الميثاق — فقال : « كأنه الآن في أذني » ، يشير الى علمه بتلك الحال . فإن كان عن تذكر ، فلم يلحق بالملائكة في هذا المقام . وان لم يكن عن تذكر ، بل استصحاب حال من حين اشهد الى حين سئل ، فيكون ممن خصه الله بهذا المقام . فلا انفيه ولا اثبته . ومـا عندي خبر من جانب الحق تعالى في ذلك ، مروي ولا غير مروي ، انه ناله احد من البشر . وانما ذكرنا ذلك في حق رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، اعني انه ناله ، على طريق الاحتمال لا على القطع : فانه لا علم لي بذلك .

والظاهر انه تخلله ، في هذا المقام ، ما يتخلل البشر . فانه كثيراً ما أوحى اليه في القرآن ان يقول : « قل : انما انا بشر مثلكم » . فاترونحنا من هذا ان حكمه حكم البشر ، إلّا ما خصه الله به من التقريب الإلهي الذي ورد وثبت عندنا . وقد ثبت عنه انه قال : « انما انا بشر ، اغضب كما يغضب البشر وارضى كما يرضى البشر » . والرضى والغضب من صفات النفس الحيوانية في البشر ، لا من صفات النفس الناطقة . وان اتصفت النفوس الناطقة بالرضى والغضب ، فما هو على حد ما اراده بقوله : « أغضب كما يغضب البشر والرضى كما يرضى البشر » . — وانما قلنا بإضافة ذلك الى النفس الحيوانية ، لما نشاهده من الحيوانات من ذلك . وقد ثبت النهي عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، « عن التحريش بين البهائم » . وجميع الحيوان كله من صفته المباشرة ، التي بحقيقتها سمي الانسان بشراً .

وبهذا القدر تبيّن فضل المَلَك على الانسان في العبادة ، لكونه لا يفتر (عنها) . لان حقيقة نشأته تعطيه انه لا يفتر : فتقديسه ذاتي . لأن تسبيحه لا يكون الا عن حضور مع المسبح . وليس تسبيحه إلّا لمن أوجده . فهو مقدس الذات عن الغفلات . فلم تشغله نشأته الطبيعية النورية عن تسبيح خالقه على الدوام ؛ مع كونهم ، من حيث نشأتهم ، يختصمون . كما ان البشر ، من حيث نشأته ، تنام عينه ولا ينام قلبه . ولم يعط البشر قوة الملك في ذلك ، لان الطبيعة يختلف مزاجها في الاشخاص . وهذا مشهود بالضرورة في عالم العناصر ، فكيف بمن هو في نسبته الى الطبيعة اقرب من نسبة العناصر اليها . وعلى قدر ما يكون بين الطبيعة المجردة وبين ما يتولد عنها من وسائط ، يكثف الحجاب وتترادف الظلم .

(السؤال الرابع عشر ومائة) : وما القدس[١٥٤] ؟

فأين نسبة آخر موجود من الاناسي من ربه؟ من حيث خلق جسد آدم بيديه، من نسبة آدم الى ربه من حيث خلقه بيديه؟ فآدم يقول : خلقني ربي بيديه؛ وابنه شيث يقول : بيني وبين يدي ربي ابي . وهكذا الموجودات الطبيعية مع الطبيعة : من ملك وفلك وعنصر وجماد ونبات وحيوان وانسان ومَلَك مخلوق من نَفَس انسان . وهذا المَلَك اخر موجود طبيعي؛ ولا يعرف ذلك من اصحابنا الا القليل؛ فكيف من ليس من اهل الايمان والكشف ؟

واما النسم الذي تقديسه لا من ذاته ، فهي كل ذات يتخلل شهودهـا خالقها غفلات . كالاحيان التي تكون فيها حاضرة مع خالقها هي من ملك القدس . وسنبيّن مـا ذكرناه في سؤاله : ما القدس؟ اذا اجبنا عنه بعد هذا ، ان شاء الله . – فمن صفات ملك القدس التباعد عن الطبيعة بالأصل والتباعد عن مشاهدة آثار الاسماء الإلهية ، بمشاهدة الأسماء الإلهية لا من كونها مؤثرة ، بل بما تستحقه الالوهية والذات .

فاذا كان القدس عين الملك ، واضيف إلى عينه لاختلاف اللفظ واختـلاف معنى الملك والقدس ، فانه يدل على المبالغة في الطهارة . والمبالغة في الطهر هي نسبة في الطهر ما هي عين الطهر ، لوجود الطهر بدونها (الاصل : دونها)؛ وما هي غير الطهر ، فان المبالغة ليست سوى استقصاء هذه الصفة . فيكون ملك القدس استقصاء ، وهو المبالغة فيه . فيكون سؤاله عن صفاته الذاتية . فان هذه المراتب نشأت في المعاني ، كالنشآت الطبيعية . وقد علمت ان النشء الطبيعي ، كما اخبر الله : « مُخلَّقة وغير مخلَّقة » اي تامة الخلق وغير تامة الخلق . والنير التامة الخلق ، داخل في قوله : « أعطى كل شيء خلقه » . فأعطى النقص خلقه ان يكون نقصاً . فالزيادة على النقص ، الذي هو عينه ، لو كانت – لكانت نقصاً فيه . ولم يعط النقص خلقه : فتمام النقص ان يكون نقصاً ! »

(فتوحات : ٢ : ١٠٨–١٠٩)

١٥٤) « الجواب : حقيقة سارية سيالة ، لا يدرك لنورها لون خصوص . تسري في حقايق الكون ، ليس لعالم الارواح ، المنفصلين عن الظلمة ، عليها اثر . » (الجواب المستقيم ورقة ٢٥٠ ب).

« الجواب : الطهارة ، وهي ذاتية وعرضية . فالذاتيـة كتقديس الحضرة الإلهية ، التي أعطيها الاسم « القدوس » . فهي القدس عن ان تقبل التأثر فيها من ذاتها . فان قبول الأثر تغير في القابل . وان كان التغير عبارة عن زوال عين بعين ، اما في محل او مكان ، فيوصف المحل او المكان بالتغير . ومعنى ذلك ، انه كان هذا المحل ، مثلاً ، اصفر فصار

أخضر ؛ او كان ساكناً فصار متحركاً . فتغيّر المحل ، اي قبل التغير . فالقدس والقدوس لا يقبل التغيير جملة واحدة .

واما القدس العرضي ، فيقبل التغير وهو التنقيص . وما تفاوت الناس إلّا في القدس العرضي . فمن ذلك ، تقديس النفوس بالرياضيات وهي تهذيب الاخلاق . وتقديس المزاج بالمجاهدات . وتقديس العقول بالمكاشفات والمطالعات . وتقديس الجوارح بالوقوف عند الأوامر والنواهي المشروعات . ونقيض هذا القدس ما يضاده مما لا يجتمع معه في محل واحد في زمان واحد . فهذا هو القدس ، الذي ذكرنا ملكه . — فالقدس العارض لا يكون إلّا في المركبات . فاذا اتصف المركب بالقدس ، فذلك المسمّى حظيرة القدس : اي المانعة قبول ما يناقض كونها قدساً . ومما تمنع ، فلا تكون حظيرة قدس : فان الحظر المنع «وماكان عطاء ربك محظوراً» اي ممنوعاً .

فالقدس حقيقة إلاهية سيّالة سارية في المقدسين . لا يدرك لنورها لون مخصوص معيّن ، ولا عين . تسري في حقائق الكون . ليس لعالم الأرواح ، المنفصلين عن الظلمة ، عليها اثر . وذلك ان الارواح المدبّرة للاجسام العنصرية لا يمكن ان تدخل ابداً حظيرة القدس . ولكن العارف الكامل يشهدها حظيرة القدس فيقول العارف ، عند ذلك : إن هذه الارواح لا تدخل حظيرة القدس أبداً . لأن الشيء يستحيل أن يدخل في نفسه . فهي عنده ، حظيرة قدس . وغير العارف يشارك العارف في هذا الاطلاق ، فيقول : انها لا تدخل حظيرة القدس . اي لا تتصف بالقدس ابداً . فان ظلمة الطبع لا تزال تصحب الارواح المدبّرة في الدنيا والبرزخ والآخرة . فاختلفنا في المشهد . وكلٌّ قال حقاً ، وأشار الى معنى . وما توارَدوا على معنى واحد . ولهذا لا يتصور الخلاف الحقيقي ، في هذا الطريق .

فاذا كان ملك القدس كل من اتصف بالطهارة الذاتية والعرضية ، والقدوس اسم الاهي منه سرت الطهارة في الطاهرات كلها — فمن نظر الاشياء كلها بحيث ارتباطها بالحقائق الإلهية ، كان ملك القدس جميع ما سوى الله من هذه الحيثية . ومن نظر الأشياء من حيث أعيانها ، فليس ملك القدس منها إلا من كان طهوره عرضياً . واما الطهور الذاتي ، فلا ينبغي ان يكون ملك القدس . إلا ان يكون ملك القدس عين القدس ، فحينئذ يصح ان يقال فيه : ملك القدس .

وطهور كل مطهر بحسب ما تقتضيه ذاته من الطهارة . فطهارة حسية وطهارة معنوية . فلك القدس منه ما هو من عالم المعاني ، ومنه ما هو من عالم الحس . وقد تورث الاسباب الحسية طهارة معنوية . وقد تورث الاسباب المعنوية طهارة حسية . فأما الأول ، فقوله تعالى : «ويتزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام» . وسبب هذه الطهارة المعنوية كلها انما هو نزول هذا الماء

(السؤال الخامس عشر ومائة) : وما سبحات الوجه[155] ؟

من الاسماء . واما الثاني ، فقول النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لابي هريرة ، حين كان جنباً فانتزع ابو هريرة يده من يد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، تعظيماً له لكونه غير طاهر لجنابة اصابته — فقال له رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « ان المؤمن لا ينجس ». ففرق المؤمن وجزؤه طاهر . — فهذه طهارة حسية عن طهر معنوي .

وكذلك المقدس طهارته الحسية عن طهر معنوي ، فان له التواضع وهو مسيل الحياة والعلم . والحياة مطهرة ، والعلم كذلك . فبالمجموع نال الطهارة . — فان الأودية كلها طاهرة ، وانما تنجس بالعرض . وكل واد به شيطان ، فهو نجس . فما يجد المؤمن فيه خيراً لأجل ذلك الشيطان . كما ثبت عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « إن هذا واد به شيطان فارتفع عنه وصلي في موضع آخر ». ووادي عرنة ، بعرفة ، موقف ابليس. وكذلك بطن محسر . فلهذا أمرنا بالارتفاع يوم عرفة عن بطن عرنة. وامرنا بالاسراع في بطن محسر.

ولهذا يعتبر الاولياء اهل الكشف الفاظ الذكر . كان شيخنا يقول : الله ! الله ! فقلت له : لم لا تقول : لا اله إلا الله ؟ فقال : اخاف أن أموت في وحشة النفي . اذ كان كل حرف نفساً (الاصل: نفس) . فهذا مثل الاسراع في بطن محسر ، لئلا يدركه الموت في مكان غير طاهر . ولأولياء الله ، في هذا الكشف التام ، نظر دقيق . جعلنا الله من أهله ! » (فتوحات ٢ : ١٠٩-١١٠)

١٥٥) « الجواب : انوار التنزيه خاصةً ؛ واهلاكها مع المقابلة : كالظل مع الانسان . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥ب) .

« الجواب : وجه الشيء ذاته وحقيقته . فهي انوار ذاتية بيننا وبينها حجب الاسماء الإلهية . ولهذا قال : « كل شيء هالك إلا وجهه » ، في احد تأويلات هذا الوجه . — وهذه السبحات في العموم ، باللسان الشامل ، انوار التنزيه ؛ وهو سلب ما لا يليق به عنه . وهي احكام عدمية . فان العدم ، على الحقيقة ، هو الذي لا يليق بالذات . وهنا الحيرة ! فانه عين الوجود ، فإذن لا يتنزه عن امر وجودي . ولهذا كانت الاسماء الإلهية نسباً ، إن نظرت ، احدثت هذه النسب اعيان الممكنات ، لما اكتسبت من الحالات من هذه الذات .

فكل حال نلفظ باسم يدل عليه ، من حيث نفسه ، إما بسلب او إثبات او بهما . وهي — هذه الاسماء — على قسمين . قسم كله انوار وهي الاسماء التي تدل على امور وجودية . وقسم كله ظلم وهي الاسماء التي تدل على التنزيه . — فقال : « ان لله سبعين حجاباً » او «سبعين الف حجاب من نور وظلمة ؛ لو كشفها لاحرقت سبحات ما ادركه بصره من خلقه».

فانه لو رفع الاسماء الالهية ، ارتفعت هذه الحجب . ولو ارتفعت الحجب ، التي هي هذه

(السؤال السادس عشر ومائة) : وما شراب الحب[١٥٦] ؟

الاسماء ، ظهرت احدية الذات . ولا يقف لأحديتها عين تتصف بالوجود . فكانت تذهب وجود اعيان الممكنات ، فلا توصف بالوجود . لانها لا تقبل الاتصاف بالوجود إلا بهذه الاسماء ؛ ولا تقبل الاتصاف بهذه الاحكام كلها ، عقلًا وشرعًا ، إلا بهذه الاسماء .

فالممكنات من خلف هذه الحجب مما يلي حضرة الامكان . فهو تجل ذاتي ، اورثها الاتصاف بالوجود من خلف حجاب الاسماء الالهية . فلم يتعلق لاعيان الممكنات علم بالله ، إلا من حيث الاسماء ، عقلًا وكشفًا ».

(فتوحات : ٢ : ١١٠-١١١)

١٥٦) « الجواب : ما يحصل عن رؤية او سماع » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥٠ ب) .

« الجواب : تجلّ متوسط بين تجليين . وهو التجلي الدائم الذي لا ينقطع . وهو اعلى مقام يتجلى الحق فيه لعباده العارفين . وأوّله تجلّي الذوق . واما التجلّي الذي يقع به الريّ ، فهو لاصحاب الضيق . فنهاية شربهم ريّ . واما اهل السعة ، فلا ريّ لشربهم : كأبي يزيد وامثاله . — فأول ما أقدم في هذا السؤال ، معرفة الحب وحينئذ يعرف شرابه الذي اضيف اليه وكأسه .

فاعلم ان الحب على ثلاث مراتب . حب طبيعي ، وهو حب العوام . وغاية الاتحاد في الروح الحيواني . فتكون روح كل واحد منهما روحاً لصاحبه بطريق الالتذاذ وإثارة الشهوة . وغايته من الفعل النكاح . فان شهوة الحب تسري في جميع المزاج ، سريان الماء في الصوفة ، بل سريان اللون في المتلون . وحب روحاني نفسي . وغايته التشبه بالمحبوب مع القيام بحق المحبوب ومعرفة قدره . وحب الاهي . وهو حب الله للعبد وحب العبد ربه ، كما قال : « يحبهم ويحبونه » . وغايته من الطرفين ، ان يشاهد العبد كونه مظهرًا للحق ؛ وهو لذلك الحق كالروح للجسم ، باطنه غيب فيه لا يدرك ابدًا ولا يشهده إلا محب . وان يكون الحق مظهرًا للعبد ، فيتصف بما يتصف به العبد من الحدود والمقادير والاعراض ويشاهد هذا العبد ، وحينئذ يكون محبوبًا للحق .

واذا كان الأمر كما قلناه ، فلا حد للحب ، يعرف به ، ذاتي . ولكن يحد بالحدود الرسمية واللفظية لا غير . فمن حدّ الحب ما عرفه . ومن لم يذقه شربًا ما عرفه . ومن قال : رويت منه ما عرفه . فالحب شرب بلا ريّ ! — قال بعض المحجوبين : «شربت شربة فلم اظمأ بعدها ابدًا » . فقال ابو يزيد : « الرجل من يحسي البحار ولسانه خارج على صدره من العطش » . وهذا هو الذي اشرنا اليه .

واعلم انه قد يكون الحب طبيعياً والمحبوب ليس من عالم الطبيعة . ولا يكون الحب

طبيعياً إلا اذا كان المحب من عالم الطبيعة ؛ لا بد من ذلك . وذلك ان الحب الطبيعي سببه نظرة أو سماع . فيحدث في خيال الناظر ما رآه ؛ ان كان المحبوب ممن يدرك بالبصر ؛ وفي خيال السامع ما سمع . فيجعله في نشأته فصوره في خياله بالقوة المصورة . – وقد يكون المحبوب ذا صورة طبيعية مطابقة لما تصور في الخيال او دون ذلك او فوق ذلك . وقد لا يكون للمحبوب صورة ؛ ولا يجوز ان يقبل الصور . فصور هذا المحب من السماع ما لا يمكن ان يتصور . ولم يكن مقصود الطبيعة في تصوير ما لا يقبل الصورة إلا اجتماعها على امر محصور ينضبط لها ؛ مخافة التبديد والتعلق بما ليس في اليد منه شيء .

فهذا هو الداعي لما ذكرناه ؛ من تصوير من ليس بصورة ؛ او من تصوير من لم يشهد له صورة وان كان ذا صورة . وفعل الحب في هذه الصورة ان يعظم شخصها حتى يضيق محل الخيال عنها فيما يخيل اليه . فتشر تلك العظمة والكبر التي في تلك الصورة نحولاً في بدن المحب . فلهذا تنحل اجساد المحبين ؛ فان مواد الغذاء تنصرف اليها فتعظم وتقل عن البدن فينحل ؛ فان حرقة الشوق تحرقه فلا يبقى للبدن ما يتغذى به . وفي ذلك الاحتراق غذاء صورة المحبوب في الخيال : فإن ذلك أكلها .

ثم ان القوة المصورة تكسو تلك الصورة في الخيال حسناً فائقاً وجمالاً رائقاً يتغير لذلك الحسن صورة المحب الظاهرة . فيصفرّ لونه وتذبل شفته وتغور عينه . ثم ان تلك القوة تكسو تلك الصورة قوة عظيمة تأخذها من قوة بدن المحب فيصبح المحب ضعيف القوى ؛ ترعد فرائصه .

ثم ان قوة الحب في المحب تجعله يحب لقاء محبوبه ويجبن عند لقائه . لانه لا يرى في نفسه قوة للقائه . ولهذا يغشى على المحب ؛ اذا لقي المحبوب ويصعق . ومن فيه فضلة وحبه ناقص ؛ يعتريه عند لقاء محبوبه ارتعاد وخبلان ؛ كما قال بعضهم :

أنكر ما اقول اذا افترقنا ... واحكم دائباً حجج المقال
فانساها اذا نحن التقينا ... وانطق حين انطق بالمحال

ثم ان قوة الحب الطبيعي تشجع المحب بين يدي محبوبه ؛ له لا عليه . فالمحب جبان شجاع مقدام . فلا يزال هذا حاله ؛ ما دامت تلك الصورة موجودة في خياله الى ان يموت وينحل نظامه ؛ او تزول عن خياله فيسلو .

ومن الحب الطبيعي ان تلتبس تلك الصورة في خياله ؛ فتلصق بصورة نفسه المتخيلة له . واذا تقاربت الصورتان في خياله تقارباً مفرطاً والتصقتا (الاصل : وتلتصق) به التصاق (الاصل: لصوق) الهواء بالناظر ؛ يطلبه المحب في خياله فلا يتصوره ويضيع ولا ينضبط له للقرب المفرط – فيأخذه لذلك خبال وحيرة ؛ مثل ما يأخذ من فقد محبوبه . وهذا هو الاشتياق . – والشوق من البعد ؛ والاشتياق من القرب المفرط .

كان قيس لبلى في هذا المقام ، حيث كان يصيح : ليلى ! ليلى ! في كل ما يكلم به . فانه كان يتخيل انه نفيد لها ، ولم يكن . وانما قرب الصورة المتخيلة افرطت في القرب فلم يشاهدها ؛ فكان يطلبها طلب الفاقد . ألا تراه حين جاءته من خارج ، فلم تطابق صورتها الظاهرة الصورة الباطنة المتخيلة ، التي مسكها في خياله منها ؛ فرآها كأنها مزاحمة لتلك الصورة فخاف فقدها – فقال لها : إليك عني ! فان حبك شغلني عنك ! يريد ان تلك الصورة هي عين الحب ، فبقي يطلبها : ليلى ! ليلى ! . . .

فاذا تقوّت تلك الصورة في خيال المحب ، أثرت في المحبوب تأثير الخيال في الحس . مثل الذي يتوهم السقوط فيسقط ، او يتوهم أمرًا ما مفزعًا فيتغير له المزاج فتتغير صورة حسه . كذلك هذه الصورة ، اذا تقوّت أثرت في المحبوب : فتيّمته وصيّرته اشد طلبًا لها منها له . فان النفوس قد جبلت على حب الرياسة . والمحب عبد مملوك بحبه لهذا المحبوب . فالمحبوب لا يكون له رياسة إلا بوجود هذا المحب . فيمشقه على قدر عشقه رياسته . وانما يتيه عليه للطمأنينة الحاصلة في نفس المحبوب ، بان المحب لا يصبر عنه ، وهو طالب إياه . فتأخذه العزة ظاهرًا ، وهو الطالب له باطنًا . ولا يرى في الوجود احدًا مثله ، لكونه ملكه . فالمحب لا يعلل فعل المحبوب ، لان التعليل من صفات العقل ولا عقل للمحب . يقول بعضهم :

ولا خير في حب يدبر بالعقل

وانشدني ابو العباس المقرّاني ، وكان من المحبين ، لنفسه :

الحب املك للنفوس من العقل

والمحبوب يعلل افعال المحب بأحسن التعليل ، لانه ملكه . فيريد ان يظهر شرفه وعلوه حتى يعلو المحبوب ، اذ هو المالك : وهو يحب الثناء على نفسه . وهذا كله فعل الحب ، فعل في المحبوب ما ذكرناه وفعل في المحب ما ذكرناه . وهذا من اعجب الاشياء : ان المنى اوجب حكمه لمن لم يقم به وهو المحبوب . فانه أثر فيه حبُّ المحب ، كما أثر في المحب ! كمسألة المعتزلي : ان الله مريد بارادة لم تقم بمحل ؛ بل خلقها إما في محل او بلا محل ، واراد بها ! وهذا خلاف المعقول : ايجاب المعاني احكامها لمن لم تقم به . وكذلك الحب لا يجتمع مع العقل في محل واحد . فلا بد ان يكون حكم الحب يناقض حكم العقل :

فالعقل للنطق والتيام للخرس !

ثم انه من شأن الحب الطبيعي ان تكون الصورة ، التي حصلت في خيال المحب ، على مقدار المحل الحاصلة فيه ، بحيث لا يفضل عنها منه ما يقبل به شيئًا اصلا . وان لم يكن كذلك ، فما هي صورة الحب . وبهذا تخالف صورة الحب سائر الصور . كما كانت صورة العالم على قدر الحضرة الالهية الاسمائية : فما في الحضرة الالهية اسم الاهي ، إلا وهو على قدر آثره في نشأ العالم من غير زيادة ولا نقصان . ولهذا كان ايجاد العالم عن حب . وقد ورد ما

يؤيد هـذا في السنة ، وهو قوله : « كنت كنزًا لم أعرف فاحببت أن اعرف ، فخلقت الخلق وتعرفت اليهم فعرفوني». فأخبر ان الحب كان سبب ايجاد العالم . فطابق الاسماء الالهية.

ولولا تعشق النفس بالجسم ، ما تألم عند مفارقته مع كونه ضدًا له . فنجمع بين المقادير والأحوال لوجود النسب والاشكال . فالنسب اصل في وجود الانساب . وان كانت الارواح تخالف الاشباح ، والمعاني تخالف الكلمات والحروف . ولكن تدل الكلمة على المعنى بحكم المطابقة ، بحيث لو تجسد المعنى لما زاد على كمية الكلمة . — ومثل هذا النوع يسمى حبًا .

واما الحب الروحاني ، فخارج عن هذا الحد ، وبعيد عن المقدار والشكل . وذلك ان القوى الروحانية لها التفات نسبي . فمتى عمت النسب في الالتفاتات ، بين المحب والمحبوب ، عن نظر او سماع او علم — كان ذلك الحب . فان نقص ولم تستوف النسب لم يكن حبًا . — ومعنى النسب ، ان الأرواح ، التي من شأنها ان تهب ونعطى ، متوجهة على الارواح التي من شأنها ان تأخذ وتمسك . وتلك تتألم بعدم القبول . وهذه تتألم بعـدم الفيض ، وان كان لا يتمدم ؛ إلا ان كونه لم تكمل شروط الاستعداد والزمان ، سمى ذلك الروح القابل عدم فيض ؛ وليس بصحيح . فكل واحد من الروحين مستفرغ الطاقة في حب الآخر . فمثل هذا الحب اذا تمكن من الحبيبين ، لم يشك المحب فرقة محبوبه لانه ليس من عالم الاجسام ولا الاجساد ، فتقع المفارقة بين الشخصين ؛ او يؤثر فيه القرب المفرط ، كما فعل في الحب الطبيعي .

فالمعاني لا تتقيد ولا تتحيز ؛ ولا يتخيلها الا ناقص الفطرة فانه يصور مـا ليس بصورة . وهذا هو حب العارفين ، الذين يتازون به عن العوام اصحاب الاتحـاد . فهذا محب اشبه محبوبه في الافتقار ، لا في الحـال والمقدار . ولهذا يعرف المحب قدر المحبوب من حيث ما هو محبوب .

واما الحب الالهي ، فمن اسمه « الجميل » و « والنور » . فيتقدم النور الى اعيـان الممكنات فينفر عنها ظلمة نظرها الى نفسها وامكانها ، فيحدث لها بصرًا هو بصره ، اذ لا يرى الا به . فيتجلى لتلك العين بالاسم « الجميل » . فتعشق به . فيصير عين ذلك الممكن مظهرًا له . فيبطن العين من الممكن فيه ، وتفنى عن نفسها فلا تعرف انها محبة له ، سبحانه ! او تفنى عنه بنفسها ، مع كونها على هذه الحالة ، فلا تعرف انها مظهر له ، سبحانه ؛ وتجد من نفسها انها تحب نفسها . — فان كل شيء مجبول على حب نفسه . وما ثم ظاهر إلا هو في عين الممكن . فا أحب الله إلّا الله ! والعبد لا يتصف بالحب ، اذ لا حكم له فيـه ، فانه ما احبه منه سواه ، الظاهر فيه . وهو الظاهر . فلا تعرف ايضًا انها محبة له . فتطلبه وتحب ان تحبه ، من حيث إنها ناظرة الى نفسها بعينه . فنفس حبها ان تحبه هو بعينه حبها له .

ولهذا يوصف هذا النور بان له اشعة اي انه شعشماني ، لامتداده من الحق الى عين الممكن ليكون مظهرًا له – بنصب الهاء ؛ لا اسم فاعل – فاذا جمع من هذه صفته بين المتضادات في وصفه ، فذلك هو صاحب الحب الالهي . فانه يؤدّي الى الحاقه بالعدم عند نفسه ، كما هو في نفس الأمر .

فعلامة الحب الإلهي ، حب جميع الكائنات في كل حضرة معنوية أو حسية او خيالية او متخيلة . ولكل حضرة عين من اسمه « النور » تنظر بها الى اسمه الجميل . فيكسوها ذلك النور حلّة وجود .– فكل يحب ما احب سوى نفسه . ولهذا وصف الحق نفسه بانه يحب المظاهر . والمظاهر عدم في عين . وتعلق المحبة بما ظهر ؛ وهو الظاهر فيها . فتلك النسبة بين الظاهر والمظاهر هي الحب . ومتعلق الحب انما هو العدم . فتعلقها هنا الدوام . والدوام ما وقع ، فانه لا غاية له : وما لا غاية له لا يتصف بالوقوع .

ولما كان الحب من صفات الحق ، حيث قال : «يحبهم » ، ومن صفات الخلق ، حيث قال : « ويحبونه » – اتصف الحب بالعزة لنسبته الى الحق ، وصف الحق به . وسرى في الخلق بتلك النسبة العزّية . فأورثت في المحل ذلة من الطرفين . فلهذا ترى المحب يذل تحت عز الحب لا عز المحبوب . فان المحبوب قد يكون مملوكًا للمحب مقهورًا تحت سلطانه ، ومع هذا تجده يذل له المحب . فعلمنا ان تلك عزة الحب لا عزة المحبوب . قال امير المؤمنين . هرون الرشيد ، في محبوباته :

ملك الثلاث الآنسات عناني وحللن من قلبي بكل مكان
مالي تطاوعني البرية كلها وأطيعهن وهنّ في عصياني ؟
ما ذاك إلا ان سلطان الهوى وبه قوين اعز من سلطاني !

= فأضاف القوة الى الهوى ، بقوله : « سلطان الهوى » .

يقول الله في غير ما موضع من كتابه ، متلطفًا بعباده : « يا عبادي ! اشتقت اليكم وانا اليكم اشد شوقًا » . ويخاطبهم بترول من لطف خفي . وهذا الخطاب كله لا يمكن ان يكون منه إلا من كونه محبًا . ومثل ذلك يصدر من المحبين له ، تعالى !

فالمحب في حكم الحب ، لا في حكم المحبوب . ومن هي صفته عينه فعينه تحكم عليه ، لا أمر زائد . فلا نقص . غير ان أثره في المخلوقين التلاشي عند استحكامه ، لانه يقبل التلاشي . فلهذا يتنوع العالم في الصور . فيكون في صورة ، فاذا افرط فيها الحب ، من حيث لا يعلم ، وحصل التجلّي ، من حيث لا يظهر – تلاشت الصورة وظهرت في العين صورة اخرى . وهي ايضًا مثل الأولى في الحكم ، راجعة اليه ، ولا يزال الامر كذلك ، دائمًا لا ينقطع . – ومن هنا غلط من يقول : ان العالم لا بد له من التلاشي ، ومن نهاية علم الله في العالم ، حيث وصف نفسه بالاحاطة في علمه بهم .

(السؤال السابع عشر ومائة) : وما كأس ظ٣ الحب(١٥٧) ؟

ثم انه ، من كرمه سبحانه ، ان جعل هذه الحقيقة سارية في كل عين ممكن متصف بالوجود . وقرن معها اللذة التي لا لذة فوقها . فأحب العالم بعضه بعضاً ، حب تقييد من حقيقة حب مطلق . فقيل : فلان أحب فلاناً . وفلان احب امرًا ما . وليس إلا ظهور حق في عين ما ، أحب ظهور حق في عين أخرى ، كان ما كان .

فحب الله لا ينكر على محب حب من احب . فأنه لا يرى محباً الا الله في مظهر ما . ومن ليس له هذا الحب الالهي ، فهو ينكر على من يحب .

ثم إنه ثمَّ دقيقة ، من كون من قال : إنه يستحيل ان يحب احدٌ الله تعالى ، فان الحق لا يمكن ان يضاف اليه ولا الى ما يكون منه ، نسبة عدم أصلًا . والحب متعلقه العدم . فلا حب يتعلق بالله من مخلوق . لكن حب الله يتعلق بالمخلوق ، لان المخلوق معدوم . فالمخلوق محبوب لله ابدًا ، دائماً . وما دام الحب لا يتصور معه وجود المخلوق ، فالمخلوق لا يوجد ابدًا . فاعطت هذه الحقيقة ان يكون المخلوق مظهراً للحق لا ظاهراً — فمن احب شخصاً بالحب الالهي ؛ فعلى هذا الحدّ يكون حبه اياه . فلا يتقيد بالخيال ولا بخيال ما ، فإنها كلها موجودة له فلا يتعلق الحب بها . — فقد بان الفرقان بين المراتب الثلاثة في الحب .

واعلم ان الخيال حق كله ؛ والتخيل منه حق ومنه باطل » .

(فتوحات : ٢ : ١١١ — ١١٣)

١٥٧) « الجواب : سرك ! » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥ ب)

« الجواب : القلب من المحب لا عقله ولا حسه . فان القلب يتقلب من حال الى حال . كما ان الله ، الذي هو المحبوب : « كل يوم هو في شان » . فيتنوع المحب في تعلق حبه بتنوع المحبوب في افعاله . كالكأس الزجاجي الأبيض الصافي يتنوع بحسب تنوع المائع الحالّ فيه : فلون المحب لون محبوبه ! وليس هذا الا للقلب . فان العقل من عالم التقييد ، ولهذا سمي عقلًا ، من العقال . و(أما) الحس فمعلوم بالضرورة انه من عالم التقييد .

بخلاف القلب ؛ وذلك ان الحب له احكام كثيرة ، مختلفة ، متضادة . فلا يقبلها إلا من في قوته الانقلاب معه فيها . وذلك لا يكون إلا للقلب . — وإذا اضفت مثل هذا الى الحق ، فهو قوله : « اجيب دعوة الداعي اذا دعاني » ، « وان الله لا يملّ حتى تملوا » ، « ومن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي » . والشرع كله أو اكثره في هذا الباب .

ظ٣ وكاس ٧ .

(السؤال الثامن عشر ومائة) : ومن أين (١٥٨) ؟

وشرابه عين الحاصل في الكأس . وقد بيّنا ان الكأس هو عين المظهر ، والشراب (هو) عين الظاهر فيه . والشرب ما يحصل من المتجلي للمتجلي له . فاعلم ذلك على الاختصار ! » (فتوحات: ٢: ١١٣–١١٤)

١٥٨) « الجواب : من حضرة الانس وجلال الجمال وحضرة الهيبة والجمال . فاذا ظهر جلال الجمال ، والجمال منه والانس والهيبة منك ، حصل المنى المقصود . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥٠ ب) .

« الجواب : من تجلّيه في اسمه « الجميل » . قال صلى الله عليه وسلم : « ان الله جميل يحب الجمال » . وهو حديث ثابت . فوصف نفسه بأنه يحب الجمال ؛ وهو يحب العالم ؛ فلا شيء اجمل من العالم . وهو جميل ؛ والجمال محبوب لذاته ؛ فالعالم كله محب لله . وجمال صنعه سار في خلقه ؛ والعالم مظاهره ؛ فحب العالم بعضه بعضاً هو (الاصل: هب) من حب الله نفسه .

فان الحب صفة الموجود ؛ وما في الوجود إلا الله . والجلال والجمال لله ، وصف ذاته في نفسه وفي صنعه . والهيبة التي هي من اثر الجلال (الاصل: الجمال) ، والانس الذي هو من اثر الجمال (الاصل: الجلال) نعتان للمخلوق لا للخالق ، ولا لما يوصف به . ولا يهاب ولا يؤنس الا موجود . ولا موجود إلا الله . فالأثر عين الصفة . والصفة ليست مغايرة للموصوف في حال اتصافه بها ، بل هي عين الموصوف .

وان عقلت ثانيا ، فلا محب ولا محبوب إلا الله ، عز وجل ! فما في الوجود إلا الحضرة الالهية : وهي ذاته وصفاته وافعاله . كما نقول : كلام الله علمه ، وعلمه ذاته . فانه يستحيل عليه ان يقوم بذاته امر زائد ، او عين زائدة ما هي ذاته ، تعطيها حكماً لا يصح لها ذلك الحكم دونها مما يكون كمالها في الوهيتها . بل لا تصح الالوهية إلا بها : وهو كونه عالماً بكل شيء . ذكر ذلك عن نفسه بطريق المدحة لذاته ؛ ودل عليه الدليل العقلي . ومن المحال ان تكمل ذاته بغير ما هي ذاته . فتكون مكتسبة الشرف بغيرها . ومن علم بذاته ، علم العلماء بالله ما لا تعلمه العقول ، من حيث افكارها الصحيحة الدلالة . وهذا العلم ما نقول فيه الطبيعة (الاصل: الطبعة) انه وراء طور العقل . قال تعالى في عبده خضر : « وعلمناه من لدنا علماً » . وقال تعالى : « علّمه البيان » فأضاف التعليم اليه لا الى الفكر . فعلمنا ان ثَمّ مقاماً آخر ، فوق الفكر يعطي العبد العلم بأمور شتى :

منها ما يمكن ان يدركها من حيث الفكر ، ومنها ما يجوّزها الفكر وان لم يحصل لذلك العقل من الفكر ؛ ومنها ما يجوّزها الفكر وان كان يستحيل ان يعينها الفكر ؛ ومنها ما يستحيل عند الفكر ويقبلها العقل من الفكر مستحيلة ولا يزول عنها اسم الاستحالة ولا

(السؤال التاسع عشر ومائة) : وما شراب حبه لك[٣] حتى يسكرك[٤] عن حبك له [(٤٠٤)] ؟

حكم الاستحالة عقلاً . — قال صلى الله عليه وسلم: « ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله فاذا نطقوا به لم ينكره إلا اهل الغرة بالله » . هذا ، وهو العلم الذي يكون تحت النطق . فما ظنك بما عندهم من العلم ، مما هو خارج عن الدخول تحت حكم النطق ؟ فما كل علم يدخل تحت العبارات ! وهي علوم الاذواق كلها . — فلا أعلم من العقل ، ولا اجهل من العقل ! فالعقل مستفيد أبدًا . فهو العالم الذي لا يعلم علمه وهو الجاهل الذي لا ينتهي جهله ! »

(فتوحات : ٢ : ١١٤)

١٥٩) « الجواب : تجليه من مقام المعرفة » (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٥ ب) .

« الجواب : إن اراد باللام الذي في «لك» و « له » الأجلية فجوابه مغاير لجوابه اذا كانت لا للأجلية . اذ يكون المعنى : ما شراب حبه إياك حتى يسكرك عن حبك اياه ؟ فجواب الوجه الأول والثاني متغاير .

نقول : تغاير التجليات إنما كان من حيث ظهوره فيك . فوصف نفسه بالحب من أجلك ، فأسكرك هذا العلم الحاصل من هذا التجلي ، عن ان تكون انت المحب له ، اي المحب من أجله . فلم تحب احدًا من أجله ، وهو احب من أجلك . فلو زلت انت لم يتصف هو بالمحبة . وانت لا تزول ، فوصفه بالحب لا يزول . فهذا جواب يعم الأول والثاني ، لفرقان بين ما يستحقه الأول منه ؛ والثاني دقيق غامض .

واما الجواب عن الثاني : ان شراب حبه إياك ، وهو حبه إياك ، ان تحبه . فاذا احببته ، علمت ، حين شربت شراب حبه اياك ، ان حبك اياه عين حبه اياك . واسكرك عن حبك اياه مع احساسك بانك تحبه ، فلم تفرق ! وهو تجلي المعرفة . فالمحب لا يكون عارفًا ابدًا . والعارف لا يكون محبًا ابدًا . فمن ههنا يتميز المحب من العارف ، والمعرفة من المحبة .

فحبه لك سكر عن حبك له . وهو شراب الخمر ، الذي لو شربه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ليلة الإسراء — لغوت عامة الأمة . وحبك له لا يسكرك عن حبه لك ، وهو شراب اللبن ، الذي شربه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ليلة الاسراء ، فاصاب الله به الفطرة ، التي فطر الله الخلق عليها . فاهتدت امته في ذوقها وشربها . وهو الحفظ الالهي والعصمة . وعلمت ما لها وما له في حال صحو وسكر .

ع[٣] – ٧ .

غ[٤] اسكرك ٧ .

(السؤال العشرون ومائة) : وما القبضة (١٦٠) ؟

قشراب حب لك هو العلم بأن حبك اباه من حبه إياك، فنبّك عن حبك إياه : فانت محب لا محب: « وما رميت ، اذ رميت ، ولكن الله رمى ! » — « وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنًا » = مثل هذا البلاء في فنون المقامات يظهر فيه كما ظهر في حق رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في رميه التراب في وجوه الاعداء . فاثبت انه رمى ونفى انه رمى . فعبّر عنه الترمذي بالسكر ، اذ كان السكران هو الذي لا يعقل .

فان الترمذي كان مذهبه ، في السكر ، مذهب ابي حنيفة . وكان حنفي المذهب في الاصل ، قبل ان يعرف الشرع من الشارع . وهو الصحيح في حدّ السكر . ولكن من شيء يتقدم هذا السكران ، قبل سكره من شربه ، طرب وابتهاج . وهو الذي اتخذه غير ابي حنيفة في حد السكر . وهو ليس بصحيح. فكل سكر بهذه المثابة ، فهو الذي يترتب عليه الحكم المشروع . فان سكر من شيء لا يتقدم سكرهُ طرب ، لم يترتب عليه حكم الشرع لا بحدّ ولا بحكم .» (فتوحات: ٢: ١١٤—١١٥)

١٦٠) « الجواب : حصر عالم الأجسام في وقت مخصوص للمخاض . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥٠ ب) .

« الجواب: قال الله تعالى: « والأرض جميعًا قبضته». والارواح تابعة للاجسام ، ليست الاجسام تابعة للأرواح . فإذا قبض على الاجسام ، فقد قبض على الأرواح فإنها هيا كلها . فأخبر (تعالى) ان الكل في قبضته . وكل جسم ارض لروحه . وما ثَمّ إلا جسم وروح. غير ان الاجسام على قسمين : عنصرية ونورية ، وهي ايضًا طبيعية . فربط الله وجود الارواح بوجود الاجسام وبقاء الاجسام ببقاء الارواح . وقبض عليها ، ليستخرج ما فيها ليعود بذلك عليها . فانه منها يغذيها ، ومنها يخرج ما فيها: « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » — « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين » — « ألم نخلقكم من ماء مهين » — « . . . وهي دخان فسوّاهنّ سبع سماوات » = فهي من العناصر ، فهي أجسام عنصريات وان كانت فوق الاركان بالمكان ، فالاركان فوقهنّ بالمكانة .

« والله يقبض ويبسط » . فيقبض منها ما يبسطها بها فلا يعطيها شيئًا من ذاته ، فانها لا تقبله : فلا وجود لها إلا بها . فالممكنات انما أقامها الحق من امكانها : فقيامها منها بها . والحق واسطة في ذلك ، مؤلف ، رانق ، فاتق: « كانتا رتقًا » = لانه كذا اوجدها بامكانها ، « ففتقناهما » بامكانها . لو لم يكن الفتق ممكنًا لما قام بها : فما أثر في الممكنات إلا الممكنات . لكن العمى غلب على أكثر الخلق ، « الذين يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » .

الا ترى ما هو تعالى لنفسه هل يقبل شيئاً مما يقبله الممكن؟ فبنفسه تمكن منه الواجب الوجود بالايجاد فأوجده . وهذه هي الاعانة الذاتية . ألا ترى الحجر اذا رميت به علواً ؟ فيقال : ان حركته نحو العلو قهرية ؛ لان طبيعته النزول إما الى الاعظم وإما الى المركز . فلولا ان طبيعته تقبل الصعود علواً بالقهر – ما صعد . فما صعد الا بطبعه ايضاً ، مع سبب آخر عارض ، ساعده الطبع بالقبول لما أراد منه .

فالقبضة على الحقيقة ، قوله : « والله بكل شيء محيط » . ومن أحاط بك فقد قبض عليك . لانه ليس لك منفذ مع وجود الاحاطة . وإلا فليست احاطة وما هو محيط . وصورة ذلك ، انه ما من موجود سوى الله ، من الممكنات ، إلا وهو مرتبط بنسبة الاهية وحقيقة ربانية ، تسمى اسماء حسنى . فكل ممكن في قبضة حقيقة الاهية : فالكل في القبضة .

واعلم ان القبضة تحتوي على المقبوض بأربعة عشر فصلاً وخمسة اصول . عن هذه الاربعة عشر فصلاً ظهر نصف دائرة الفلك ، وهي اربع عشرة منزلة . وفي النيب مثلها . وهذه الفصول تحوي جميع الحروف ، إلا حرف الجيم ، فإنها تبرأت منه دون سائر الحروف . وما علمنا لماذا ؟ وما أدري ، هل هو مما يجوز ان يعلم ام لا ؟ فان الله تعالى ما نفث في روعنا شيئاً ولا رأيته لغيرنا ولا ورد في النبوات . فرحم الله عبداً وقف عليه فألحقه في هذا الموضع من كتابي هذا ، ونسب إليه لا الي ، فتحصل الفائدة بطريق الصدق ، حتى لا يتخيل الناظر فيه ان ذلك مما وقع لي بعد هذا . فان فتح علي به حينئذ ، اذكره أنه لي ؛ فان الصدق في هذا الطريق اصل قاطع ، لا بد منه ولا حظ له في الكذب .

وهذه الخمسة الاصول متفاضلة في الدرجات . فأعلاها وأعمها هو العلم ؛ وهو الاصل الوسط . وعن يمينه اصلان : الحياة والقدرة ؛ وعن يساره اصلان : الارادة والقول . وكل اصل فله ثلاثة فصول ؛ إلا اصل القدرة فان له فصلين خاصة . وانما سقط عنه الفصل الثالث ، لان اقتداره محجور ، غير مطلق . وهو قول العلماء : « وما لم يشأ ان يكون ، ان لو شاء ان يكون – لكان كيف يكون » . فعلق كونه به « لو » فامتنع عن نفوذ الاقتدار عليه لسبب آخر ، فلم يكن له النفوذ . وهذا موضع إبهام ، لا يفتح ابداً .

ومن هنا وجد في العالم الامور المبهمة . لانه ما من شيء في العالم إلا وأصله من حقيقة الاهية . ولهذا وصف الحق نفسه بما يقوم الدليل العقلي على تنزيهه عن ذلك . فما يقبله إلا بطريق الايمان والتسليم . ومن زاد فبالتأويل على الوجه اللائق في النظر العقلي . واهل الكشف ، اصحاب القوة الالهية ، التي وراء طور العقل ، يعرف ذلك كما تفهمه العامة . ويعلم ما سبب قبوله لهذا الوصف مع تراهته بـ « ليس كمثله شيء » . وهذا خارج عن مدارك العقول بافكارها . – فالعامة في مقام التشبيه ؛ وهؤلاء في التشبيه والتنزيه ؛ والعقلاء في التنزيه خاصة . فجمع الله الأهل خاصته بين الطرفين .

١٠(السؤال الحادي والعشرون ومائة): ومن ف٢ الذين استوجبوا القبضة حتى صاروا فيها (١٦١) ؟

فمن لم يعرف القبضة هكذا ، فما قدر الله حق قدره » . فإنه ان لم يقل العبد : ان الله «ليس كمثله شيء » — فما « قدر الله حق قدره . وان لم يقل : « ان الله خلق آدم بيده » — فما قدر الله حق قدره . وأين الانقسام من عدم الانقسام ؟ وأين المركب من البسيط ؟ — فالكون يغاير مركبه بسيطه ؛ وعدده توحيده وأحديته . والحق : عين تركيبه عين بسيطه ؛ عين احديته عين كثرته ؛ من غير مغايرة ولا اختلاف نسب . وان اختلفت الآثار ، فمن عين واحدة . وهذا لا يصح الا في الحق . ولكن اذا نسبنا نحن بالعبارة ، فلا بد إن تغاير : كان كذا من نسبة كذا ، وكذا من نسبة كذا . لا بد من ذلك للإفهام».

(فتوحات ، ٢ : ١١٥-١١٦)

١٦١) « الجواب : الشاردون (الاصل: الشاردين) إلى ذواتهم » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥٠ ب) .

« الجواب : الشاردون الى ذواتهم ، من رتبة الوجوب ورتبة المحال . اذ لا يقبض إلا على شارد . فانه لو لم يشرد لما قبض عليه . فالقبض لا يكون الا عن شرود او توقع شرود . فحكم الشرود حكم عليه بالقبض فيه واستوجبوا (الاصل: استوجبوا) ان يقبض عليهم . فمنهم من قبض عليه رتبة الوجوب ، ومنهم من قبض عليه رتبة المحال .

وهنا غور بعيد . والاشارة الى بعض بيانه : ان كل ممكن لم يتعلق العلم الالهي بإيجاده لا يمكن ان يوجد . فهو محال الوجود . فحكم على الممكن المحال وألحقه به . فكان في قبضة المحال . وما تعلق العلم الالهي بإيجاده فلا بد ان يوجد . فهو واجب الوجود . فحكم على الممكن الوجوب . فكان في قبضة الواجب . وليس له حكم بالنظر الى نفسه . فما خرج الممكن من ان يكون مقبوضاً عليه : اما في قبضة المحال ، واما في قبضة الواجب . ولم يبق له في نفسه رتبة يكون عليها خارجة عن هذين المقامين : فلا امكان . فإما محال ، وإما واجب .

وأما الغور البعيد : فان جماعة قالوا وذهبوا الى أنه ليس في الامكان شيء إلا ولا بد ان يوجد ، إلى ما لا يتناهى . فما ثم ممكن في قبضة المحال . ولا شك انهم غلطوا في ذلك الوجه الظاهر ، وأصابوا من وجه آخر . فأما غلطهم : فما من حالة من الاكوان ، في عين ما تقتضي الوجود فتوجد ، إلا ويجوز ضدها على تلك العين . كحالة القيام للجسم مع جواز

ف٢ وما ٧ .

(السؤال الثاني والعشرون ومائة) : وما صنيعهم بهم في القبضة[١٦٢] ؟

(السؤال الثالث والعشرون ومائة) : وكم نظرته إلى الأولياء كل يوم[١٦٣] ؟

القعود ' لا نفي القيام . ومن المحال وجود القعود في الجسم النائم ' في حال قيامه وزمان قيامه . فصار وجود هذا القعود ' بلا شك ' في قبضة المحال لا يتصف بالوجود ابدًا ' من حيث هذه النسبة لهذا الجسم الخاص . وهو قعود خاص ؛ واما مطلق القعود ' فانه في قبضة الواجب ' فإنه واقع .

وأمَّا وجه الاصابة : فإن متعلق الامكان انما هو في الظاهر في المظاهر . والمظاهر محال ظهورها ' وواجب الظهور فيها . والظاهر لا يجوز عليه خلافه ' فانه ليس بمحل لخلافه . وانما المظهر هو المحل . وقد قيل ما ظهر فيه ' ولا يقبل غيره : فاذا وجد غيره ' فذلك ظهور آخر ومظهر آخر . فأن كل مظهر لظاهر لا ينفك عنه بعد ظهوره فيه . فلا يبقى في الامكان شيء إلا ويظهر الى ما لا يتناهى . فان الممكنات غير متناهية . وهذا غور بعيد التصور ؛ لا يقبل إلا بالتسليم او تدقيق النظر جدًا ' فإنه سريع التفلت من الخاطر ' لا يقدر على امساكه إلَّا من ذاقه . والعبارة تتعذر فيه » .

(فتوحات : ٢ : ١١٦).

١٦٢) « الجواب : المخض » (الجواب المستقيم ' ورقة ٢٥ ب) .

« الجواب : المخض (الاصل: المحض) . وهم ما هم عليه . فهو يرفع ويخفض ' ويبسط ويقبض ' ويكشف ويستر ' ويخفي ويظهر ' ويوقع التحريش ' ويؤلف وينفر . وصنيعه العام ' جم التغيير في الاحوال . فانه صنع ذاتي ' اذ لو لم يتغير ' لتعطل كونه إلاهًا . وكونه الاهًا نعت ذاتي : فتغيير الصنع في الممكنات واجب لا ينفك . كما أخبر في القبضة دائمًا » .

(فتوحات : ٢ : ١١٦)

١٦٣) « الجواب : مائة مرة » (الجواب المستقيم ' ورقة ٢٥ ب) .

« الجواب : بعدد ما يغير عليهم الحال ' من حيث هو متوليهم لا غير . وينحصر ذلك في مائة مرة من غير زيادة ولا نقصان . ولكن ما دام الولي مظروفًا لليوم . — واما نظره للأولياء ' اذا خرجوا من الأوقات — فنظر دائم لا توقيت فيه ' ولا يقبل التوقيت : فانه لا يدخل تحت العدد ولا المغايرة ولا التمييز . فإذا دخلوا او كان حاكم الزمان ' فمائة مرة ، وكل مرة يحصل لهم في تلك النظرة ما لا يحده توقيت . فهو عطاء إلاهي من غير حساب ولا مقدار » .

(فتوحات : ٢ : ١١٦-١١٧)

(السؤال الرابع والعشرون ومائة) : وإلى ماذا[ق٣] ينظر منهم[١٦٤] ؟

(السؤال الخامس والعشرون ومائة) : وإلى ماذا[ك٣] ينظر[ل٣] من الانبيا.[م٣] عليهم[٣٥] السلام[٣٥] [١٦٥] ؟

١٦٤) « الجواب : إلى أسرارهم » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥٠ ب) — ٢٥١ أ) .

« الجواب : الى اسرارهم لا الى ظواهرهم . فان ظواهرهم بجريها ، سبحانه ، بحسب الأوقات . واسرارهم ناظرة الى عين واحدة . فإن أعرضوا أو أطرقوا ، تقصهم في ذلك الاعراض او تلك الطرقة ما تقتضيه النظرة . وهو أكثر مما نالوه من حيث اوجدهم إلى حين ذلك الاعراض .

قال بعض السادة ، فيا حكاه القشيري في رسالة : « لو ان شخصاً اقبل على الله طول عمره ثم أعرض عنه لحظة واحدة ، كان ما فاته في تلك اللحظة أكثر مما ناله في عمره » . وذلك ان الشيء في المزيد ، وان المتأخر يتضمن ما تقدمه وزيادة ما تعطيه عينه ، من حيث ما هو جامع . فيرى ما تقدم في حكم الجمع وهو يخالف حكم انفراده . وحكم جمعه دون هذا الجمع الخاص ، ومن حيث ما تختص به هذه اللحظة من حيث ما هي لنفسها ، لا من حيث كونها حضرة جمع لما تقدمها . فبالضرورة يفوته هذا الخير . فما أشأم الاعراض عن الله ! — وفي هـذا يتبين لك شرف العلم . فان العلم هو الذي يفوتك . والعلم هو الذي تستفيده . قال تعالى آمراً لنبيه ، عليه الصلاة والسلام : « وقل : رب ، زدني علماً » ؛ فإنه أشرف الصفات وأنزه السمات ! »

(فتوحات : ٢ : ١١٧)

١٦٥) « الجواب : إن أراد عنده — فإلى حقايقهم . وإن أراد عند الدعوة — فإلى قلوبهم » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥١ أ) .

« الجواب : إن اراد العلم ، فإلى اسرارهم . وإن اراد الوحي ، فإلى قلوبهم . وإن اراد الابتلاء ، فإلى نفوسهم . إلا ان نظره سبحانه ، على قسمين : نظر بواسطة ، وهو قوله : « نزل به الروح الامين على قلبك » . ونظر بلا واسطة ، وهو قوله : « فأوحى إلى عبده ما أوحى » .

فاذا نظر الى اسرارهم ، أعطاهم من العلم به ما شاء ، لا غير : وهو ان يكشف لهم عنهم

ق٣ ما F .
ك٣ ما F .
ل٣ نظر V .
م٣ الأولياء V .
٥ — ٥ — V .

انهم به لا بهم. فيرونه فيهم ولا يرونهم. فيعلمون «ما اخفى لهم» فيهم «من قرة اعين». فتقر عيونهم بما شاهدوه. ويعلمون ان «الله هو الحق المبين» بهم في كل نظرة. وهو مزيد العلم الذي امر بطلبه، لا علم التكليف؛ فان التقص منه هو مطلوب الانبياء، عليهم السلام. ولهذا كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: «اتركوني ما تركتكم». وقوله: «لو قلت: نعم، لوجبت وما كنتم تطيقونها».

واذا نظر الى قلوبهم، قلب الوحي فيهم بحسب ما تقلبوا فيه. فلكل حال يتقلبون فيه حكم شرعي، يدعو اليه هذا النبي. وسكونه عن الدعوة شرع: اي ابقوا على أصولكم. وهذا هو الوحي العرضي، الذي عرض لهم. فان الوحي الذاتي، الذي تقتضيه ذواتهم، وهو انهم يسبحون بحمد الله — لا يحتاجون في ذلك الى تكليف. بل هو لهم مثل النَّفَس للمتنفس. وذلك لكل عين على الانفراد. والوحي العرضي هو لعين المجموع. وهو الذي يجب تارة ولا يجب تارة؛ ويكون لعين دون عين.

وهو على نوعين. نوع يكون بدليل انه من الله، وهو شرع الانبياء. ومنه ما لا دليل عليه، وهو الناموس الوضعي، الذي تقتضيه الحكمة، يلقيه الله تعالى من اسمه «الباطن الحكيم»، في قلوب حكماء الوقت، من حيث لا يشعرون. ويضيفون ذلك الإلقاء الى نظرهم، لا يعلمون انه من عند الله على التعيين. لكنهم يرون ان الاصل من عند الله فيشرعونه لمتبعهم من اهل زمانهم، اذ لم يكن فيهم نبيٌّ مدلول على نبوته. فإن هم قاموا بحدود ذلك الناموس، ووقفوا عنده، ورعوه — جازاهم الله على ذلك بحسب ما عاملوه في الدنيا والآخرة، جزاء الشرع المقرر، المدلول عليه: «فما رعوها حق رعايتها» فيما ابتدعوه من الرهبانية. — «ومن سنَّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ومن سنَّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها». وان الله يصدق قول واضع الناموس الحكمي، كما هو مصدق واضع الناموس الشرعي الحكمي.

فأما جزاؤه في الدنيا، فلا شك ولا خفاء بوقوع المصلحة ووجودها في الأهل والمال والعرض. وأما الآخرة، فمحلّ هذا المجرى، وان لم يتعرض اليها صاحب الناموس الحكمي. كما انه في ناموس الحكم الالهي، ان في الآخرة لنا «ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر». ويحصل لنا من غير تقدم علم به. كذلك الحاصل في الآخرة جزاء لعمل الناموس الذي اقتضته الحكمة عند من ابتدعه للمصلحة.

فان قال في ناموسه: قال الله، ويكون ممن قد علم أنه مظهر وان لا موجود على الحقيقة إلا الله — صدق وعفا الله عنه. وان كان من أهل الحجاب عن هذا العلم، فأمره إلى الله. وهو بحسب قصده في ذلك. فانه قد يقصد الرياسة وتكون المصلحة في حكم التبع. وقد يقصد المصلحة وتكون الرياسة تبعاً. وهذا الكلام لا يتصور إلا مع عدم الشرع

(السؤال السادس والعشرون ومائة) : وكم إقباله على خاصته في كل يوم[١٦٦] ؟

المقرر بالدليل في تلك الجماعة وذلك المكان خاصة .

واذا نظر الى نفوسهم ، ابتلاهم بمخالفة أمهم ؛ فاختلفوا عليه واختلفوا فيا بينهم وان اجتمعوا عليه . — وهذا كله ، اذا اتفق ان ينظر النبي الى نفسه ، ولا بُدَّ له من النظر الى نفسه . فان الجلوس مع الله لا تقتضي البشرية دوامه . واذا لم يدم ، فما ثَمّ إِلّا النفس . فيكون نظره ، في هذه الحال ، نظر ابتلاء . لان النبي في تلك الحالة صاحب دعوى ، انه قد بلغ رسالة ربه . وكذا ورد : « ما من نبيّ إلا وقد قال : قد بلغتكم ما ارسلت به اليكم وقال : ألا ، هل بلغت ؟ » . فأضاف التبليغ اليه . ولم يقل في هذه الحال : قد بلغ الله اليكم بلساني ما قد أسمعكم . فلو قال هذا ، ما ابتلوا ببلاء النفوس . وفي هذا لله حكم خفي ، ليعلم العبد أنه محل للتوفيق ونقيضه ، وانه لا حول ولا قوة الا بالله ، على ما أمر به ونهى عنه . و « الحكم لله العليّ الكبير » .

(فتوحات : ٢ : ١١٧—١١٨)

١٦٦) « الجواب : اربعة وعشرون الف مرة » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥١ أ) .

« الجواب : اربعة وعشرون الف اقبال في كل يوم . جميع في ذلك الاقبال ما شاء ، ويأخذ منهم في الاقبال الثاني ما كان أعطاهم في الاقبال الأول ، إما أخذ قبول وإما أخذ ردّ غير مقبول . فإن الله قد أمرهم بالأدب في كل ما يلقى اليهم ، عند أخذهم . وكذلك إذا ردّوا الأمور اليه ، يردّونها محلاة بالأدب الالهي . فذلك داعية القبول الإلهي . فإن أساءوا الادب في الأخذ والردّ ، عاد وبال ذلك عليهم . وليسوا ، عند ذلك ، بخاصة الله . فالخاصة تحضر مع الله اربعة وعشرين الف مرة في كل يوم .

وإن اردت التحرير في المقال ، ان لم يكن عندك علم وتخرج من العهدة ، فقل : إقباله على خاصته كل يوم بعدد انفاسهم ، كانت ما كانت . فمن اطلع على توقيت انفاسه ، علم توقيت اقبال الله عليه في كل يوم . فان ذلك النَّفَس من « نَفَس الرحمن » . فهو عين اقبال الحق عليهم . وبه تنوّرت هياكلهم . فهو في الأجسام ريح ، وفي اللطائف أرواح — جمع رَوْح ، بفتح الراء وتسكين الواو ، سكونًا حيًا » .

(فتوحات : ٢ : ١١٨)

(السؤال السابع والعشرون ومائة): وما المعية[٢٥] مع[د٣] الخلق والاصفياء والانبياء والخاصة، والتفاوت والفرق بينهم في ذلك[و٣] [١٦٧]؟

١٦٧) «الجواب: المعية معيتان: معية تنقال، ومعية لا تنقال. فالتي لا تنقال، قد منعت ذاتها. والتي تنقال، فيها يقع الجواب. وان كان مراده ما لا تنقال، فجمعنا بين المعيتين بالتنبيه على مقام الواحدة، وبالتفصيل في الأخرى. فانه مع (الاصل: يجمع) الخلق بالعلم واللطف، ومع الاصفياء بالحفظ والتولي، ومع الانبياء بالتأييد والتولي، ومع الخاصة بالمباسطة والانس» (الجواب المستقيم، ورقة ١٥ب).

«الجواب: قال الله تعالى: «وهو معكم أينما كنتم». فالأينية إلينا. وقال لموسى وهرون: «انني معكما اسمع وأرى». فنبّهنا على انه سمعها وبصرها، تذكرة لها او إعلاماً لم يتقدمه علم به عندهما. فانه قد صح عندنا في الخبر ان العبد اذا احبه ربه «كان سمعه وبصره الذي يسمع به ويبصر به». فالنبي أولى جدا ممن ليس بنبي. وطبقات الأولياء كثيرة. ولكن ما ذكر منها إلا ما قلناه، فلا تتعدّى بالجواب قدر السؤال.

فنقول: ان المعية تقتضي المناسبة. فلا تأخذ من الحق إلا الوجه المناسب، لا الوجه الذي يرفع المناسبة. ثم اننا اردنا ان نعمم الجواب بتعميم قوله تعالى: «أينما كنتم» من الاحوال. ولا يخلو موجود عن حال، بل ما تخلو عين موجودة ولا معدومة ان تكون على حال وجودي أو عدمي، في حال وجودها أو عدمها. ولهذا قال تعالى: «وهو معكم أينما كنتم». — فإن قلت: قوله «كنتم» لفظة معناها وجودي: فالمعنى أينما كنتم من الوجود. فنقول: صحيح، ولكن من أي الوجوه من الوجود: من حيث العلم بكم؟ وما ثَمّ إلا هو! أو من حيث الوجود الذي يتصف به عين الممكنات من حيث ما هي مظاهر؟ فحالة منها توصف العين الممكنة بها بالعدم، ولهذا نقول: كان هذا معدوماً ووجد. والكون يناقض العدم، مع صحة هذا القول. فيعلم عند ذلك ان قوله: «اينما كنتم» اي على اي حالة تكونون من الوصف بالعدم او الوجود.

ثم نقول: انه مع الخلق باعطاء كل شيء خلقاً من كونهم خلقاً، لا غير. فينجر معه انه «معهم» بكل ما تطلبه ذواتهم من لوازمها. ومعيته مع الأصفياء بما يعطيه الصفاء من التجلي. فانهم قد وصفهم بانهم اصفياء. فما هو معهم بالصفاء والاصطفاء، وانما هو معهم بما يطلبه الاصطفاء. وقدّم الخلق، فانه مقدم بالرتبة فان الاصطفاء لا يكون الا بعد الخلق. بل هم

د٣ + فانه مع الخلق ومع اصفيائه ومع انبيائه (اوليائه V) وخاصة (− V) وكيف الفرق بين هؤلاء في تفاوت ذلك VF.

و٣ – و٣ – VF (الزيادة من الفتوحات، ٢: ١١٨).

(السؤال الثامن والعشرون ومائة) : وما ذكره الذي يقول : ﴿ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ ﴾ (١٦٨) ؟

من الخلق عند الحق بمنزلة الصفي الذي يأخذه الامام من المغنم ، قبل القسمة . فذلك هو نصيب الحق من الخلق ، وما بقي فله ولهم .

واما معيّته مع الانبياء فتأييد الدعوى ، لا بالحفظ والعصمة ، إلّا ان اخبر بذلك في حق نبي معين . فان الله قد عرفنا ان الانبياء قتلتهم أممهم ، وما عصموا ولا حفظوا . فلا بد ان يكون ظرف المعية التأييد في الدعوى لإقامة الحجة على الامم . فإنه قال : « فلله الحجة البالغة » . ولا يكون نبياً حتى يتقدمه الاصطفاء . فلهذا أخّر النبوّة عن الاصطفاء . فإنه ما كل خلق مصطفى ، وما كل مصطفى نبيّ .

ومعيته مع الخاصة بالمحادثة برفع الوسائط بعد تبليغ ما امر بتبليغه . مثل قوله : « ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره » من ايام التبليغ « انه كان توابًا » اي يرجع اليك الرجوع الخاص ، الذي يربي على مقام التبليغ . فيجتمع هذا كله في الرسول وهو شخص واحد . وفي كل مقام اشخاص ؛ فيكون الشخص الواحد خلقاً، مصطفىً ، نبيًا ، خاصاً .

واما معيّة الذات فلا تنقال . فان الذات مجهولة ، فلا تعلم نسبة المعية اليها . فهو مع الخلق بالعلم واللطف ، ومع الاصفياء بالتولّي ، ومع الانبياء بالتأييد ، ومع الخاصة بالمباسطة والانس » . (فتوحات : ٢ : ١١٨-١١٩)

١٦٨) « الجواب : الذكر بعين الجمع وهو ذكر « الهو » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥١ أ) .

« الجواب : ذكره نفسه لنفسه بنفسه اكبر من ذكره نفسه في المظهر لنفسه . — اعلم ان الله ما قال هذا الذكر ووصفه بهذه الصفة من الكبرياء ، إلا في قوله تعالى : « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » ولا تنهى عن غيرها من الطاعات فيها ، مما لا يخرجك فعله عن ان تكون مصليًا شرعًا . فيكون قوله : « ولذكر الله » فيها « اكبر » أعمالها وأكبر احوالها . اذ الصلاة تشتمل على اقوال وافعال . فتحريك اللسان بالذكر من المصلي ، من جملة افعال الصلاة . والقول المسموع من هذا التحريك هو من اقوال الصلاة ، وليس في اقوالها شيء يخرج عن ذكر الله ، في حال قيام وركوع ورفع وخفض ، إلا ما يقع به التلفظ من ذكر نفسك بحرف ضمير أو ذكر صفة تسأله (الاصل : تسئله) ان يعطيكها ، مثل : اهدني وارزقني . ولكن هو ذكر ، شرعًا ، لله فان الله سمى القرآن ذكرًا + وفيه اسماء الشياطين والمغضوب عليهم . والمتلفظ به يسمى ذكرًا ، ، فانه كلام الله . فذكرتم بذكر

(السؤال التاسع والعشرون ومائة): وما ذكره الذي يقول: ﴿فَاذْكُرُونِي[٣٤] أَذْكُرْكُمْ﴾ (١٦٩) ؟

الله . وهذا مما يؤيّد قول من قال : ليس في الوجود إلا الله ! فالأذكار أذكار الله .

ثم ان قوله تعالى: « ولذكر الله »، هذه الاضافة تكون من كونه ذاكرًا ومن كونه مذكورًا . فهو « اكبر » الذاكرين وهو « اكبر » المذكورين . وذكره أكبر الاذكار ، التي تظهر في المظاهر . فالذكر ، وان لم يخرج عنه ، فان الله قد جعل بعضه اكبر من بعض . ثم يتوجه فيه قصد آخر من اجل اسم « الله » . فيقول :« ولذكر الله » ، بهذا الاسم الذي ينعت ولا ينعت به ، ويتضمن جميع الاسماء الحسنى ولا يتضمنه شيء في حكم الدلالة – « أكبر » من كل اسم نذكره به ، سبحانه : من رحيم وغفور ورب وشكور وغير ذلك . فانه لا يعطي في الدولة ما يعطي الاسم « الله » لوجود الاشتراك في جميع الاسماء كلها .

هذا ، اذا اخذنا « اكبر » بطريق أفعل ، من كذا وكذا . فان لم نأخذها على أفعل كذا، فيكون اخبارًا عن كبر الذكر من غير مفاضلة بأيّ اسم ذكر ، وهو أولى بالجناب الالهي . وان كانت الوجوه كلها مقصودة في قوله تعالى : « ولذكر الله أكبر ». فانه كل وجه تحتمله كل آية في كلام الله ، من فرقان وتوراة وزبور وانجيل وصحيفة كل عارف ، بذلك اللسان – فانه مقصود لله تعالى في حق ذلك المتأول لعلمه الاحاطي ، سبحانه ، بجميع الوجوه . وبقي عليه في ذلك الكلام من حيث ما يعلمه هو .

فكل متأوّل مصيب ، قصد الحق بتلك الكلمة . هذا هو الحق الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل ، من حكيم حميد » ، على قلب من اصطفاه الله ، من عباده . فلا سبيل الى تخطئة عالم في تأويل يحتمله اللفظ . فان تخطئه في غاية القصور في العلم . ولكن لا يلزم القول به ولا العمل بذلك التأويل إلا في حق ذلك المتأول خاصّةً ومن قلّده » .

(فتوحات : ٣ : ١١٩)

١٦٩) « الجواب : ذكر المفاوضة » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥١ أ) .

« الجواب : هذا ذكر الجزاء الوفاق ؛ قال تعالى : « جزاء وفاقًا » . فذكر الله في هذا الموطن هو المصلي عن سابق ذكر العبد . قال تعالى : « هو الذي يصلي عليكم» اي يؤخر ذكره عن ذكركم ،فلا يذكركم حتى تذكروه؛ ولا تذكرونه حتى يوفقكم ويلهمكم ذكره . فيذكركم بذكره اياكم فتذكروه به أو بكم ، فيذكركم بكم وبه – بالواو لا بأو – فان له الذكرين معًا . وقد يكون لبعض العلماء الذكران معًا . وقد يكون الذكر الواحد دون

[٣٤] واذكروني F .

(السؤال الثلاثون ومائة) : وما معنى الاسم[١٧٠] ؟

الآخر في حق بعض الناس.

وتختلف احوال الذاكرين منا . فمنا من يذكره في نفسه ، وهم على طبقات . طبقة تذكره في نفسها - والضمير من النفس يعود على الله ، من حيث الهو .- وشخص يذكره في نفسه - والضمير يعود على الشخص . - وشخص يذكره في نفسه . - والضمير يعود على الله ، من حيث ما هو خالقها لا من حيث ما هي نفسه : من كونها ظاهرة في مظهر خاص . - فاذا ذكره كل شخص من هؤلاء ، اما بوجه واحد من هذه الوجوه ولو بكل الوجوه ، فان الله يذكره في نفسه .

وقد يكون قوله: « ذكرته في نفسي » ، عين ذكر هذا العبد ربه في نفسه ، من حيث ما هو الضمير يعود على الله من نفسه ، من حيث ما هي نفسه عيناً ، لا من حيث ما هي نفسه خلقاً . فيكون عين ذكر العبد هو عين ذكر الحق . كما قلنا في قوله : « ومكروا ومكر الله » وهو عين مكرهم ، عين مكر الله بهم ؛ لا انه استأنف مكراً آخر . ويؤيده ايضاً بقوله : « ذكرته في نفسي » يريد نفس العبد مضافة الى الله ، من حيث ما هي ملك له خلقاً وايجاداً . ويريد ايضاً : « ذكرته في نفسي » = نفس الحق ، لا من حيث الوجه الذي ذكره به العبد من حيث نفسه نفس الحق ، وهو الوجه الأول . فهذه احوال ذكر النفس ، بالجزاء الوفاق في كل وجه .

والحالة الثانية ، ان يذكره في ملأ ، فيذكره الله في ملأ خير من ذلك الملأ . وقد يكون عين ذلك الملأ وتكون الخيرية بالحال . فحال ذلك الملأ ، في ذكر هذا العبد لله ، دون حال ذلك الملأ في ذكر الله فيهم لهذا العبد . فهو في هذه الحال خير منه في حال ذكر العبد ، والملأ واحد . كما تتشرف الجماعة بالملك ، اذا كان فيها ، على شرفها اذا لم يكن فيها . وعين الجماعة واحدة . فهي خير منها . ولكن بشرط ان يكون كل واحد من ذلك الملأ حاله الكشف ان الله قد ذكر هذا العبد فيهم ؛ وهم يسمعون ذكر الله اياه ، كما سمعوا ذكر هذا العبد ربه . فحينئذ يكون الشرف في الملأ الواحد يتفاضل .

والوجه الآخر ، ان يكون الملأ مغايراً لذلك الملأ . فيكون خيره على هذا الملأ ، إما بكون الحق أسمعهم ذكره عبده وهو فيهم ؛ أو يكون خيره لأمر آخر تقتضيه مرتبته عند الله : إما نشأة او حالاً او علماً . وهذه امور ، إن تأملتها ، انفتح لك منها علوم جمة من العلم الالهي .- « والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ! » .

(فتوحات: ٢: ١١٩-١٢٠)

١٧٠) « الجواب : نسبة الحكم » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥ أ) .

« الجواب : امر يحدث عن الاثر ، أو امر يكون عنه الأثر . او منه ما يكون عنه

(السؤال الحادي والثلاثون ومائة) : وما رأس اسمائه، الذي استوجب [1]٣ منه جميع الاسماء (١٧١) ؟

(السؤال الثاني والثلاثون ومائة) : وما الاسم الذي أبهم على الخلق، إلا على خاصته (١٧٢) ؟

الاثر، ومنه ما يحدث عن الأثر، اذا لم ترد به المسمّى . فإن اردت به المسمّى، فمناه المسمّى، كان ماكان : مركبًا تركيبًا معنويًا او حسيًا او غير مركب، معنويًا او حسيًا . كلفظة « رحيم » ، اي ذات راحمة . فالمسمّى بهذه النسبة هي عين تلك النسبة الجامعة بين ذات ورحمة، حتى جعل منها، من هذه النسبة، اسم فاعل .

وان كانت التسمية جامدة لا يعقل منها غير الذات، فليست بمركبة تركيبًا معنويًا . فقد تكون هذه الذات مفردة معنًى وفي نفسها، وقد تكون مركبة حسًا . مثل انسان نحته مركب حسّي ومعنوي .

والاسم والرسم، عند بعض اصحابنا، نعتان يجريان في الأبد على حكم ما كان عليه ازلًا . وفرق بين الاسم والرسم ؛ وسيأتي ذكرهما في شرح معاني الفاظ اهل الله، من هذا الباب، فانه يطلبها » .

(فتوحات : ٢ : ١٢٠)

١٧١) « الجواب : الله الحي القيوم » (الجواب المستقيم، ورقة ٢٥١ أ) .

« الجواب : الاسم الاعظم، الذي لا مدلول له سوى عين الجمع ؛ وفيه « الحي القيوم » ولا بد . فان قلت : فهو الاسم « الله » – قلت : لا أدري، فانه يفعل بالخاصية ؛ وهذه اللفظة انما تفعل بالصدق، اذا كان صفة للمتلفظ بها ، بخلاف ذلك الاسم .

ولكن الظاهر من مذهب الترمذي، ان رأس الاسماء، الذي استوجب منه جميع الاسماء، انما هو الانسان الكبير، وهو الكامل . واذا كان هذا، فهو الأولى في طريق القوم ان يشرح به رأس الاسماء . فإن آدم علمه الله جميع الاسماء كلها، من ذاته ذوقًا . فتجلّى له تجليًا كليًا : فما بقي اسم في الحضرة الالهية إلّا ظهر له فيه ؛ فعلم من ذاته جميع اسماء خالقه » . (فتوحات : ٢ : ١٢٠)

١٧٢) « الجواب : اسم مركب من عشرين وثلاثين وبينهما واحد واربعون (الاصل: واربعين) » . (الجواب المستقيم، ورقة ٢٥١ أ) .

« الجواب : هذا الاسم، الذي استوجب منه جميع الاسماء . وان شئت قلت : هو

---

[1] ٣ استخرج V .

(السؤال الثالث والثلاثون ومائة): وبماذا[ب][٣] نال صاحب سليمان ذلك[ت][٣]، وطوى عن سليمان، عليه[ث][٣] السلام[ث][٣]، وهو رسول من الرسل[١٢٣]؟

(السؤال الرابع والثلاثون ومائة): وما السبب[ج][٣] في ذلك[١٢٤]؟

اسم مركب من عشرين وثلاثين، بينها احد واربعون، حساً ومعنى. وقد يتركب حساً لا معنى، من ثمانية وثمانين ومائتين وستة عدداً. فإذا جمعتها على وجه مخصوص، من غير اسقاط الستة، كان اسماً مركباً. وان اسقطت الستة، كان اسماً غير مركب.

ولا ينبغي ان يوضح في العامة ما اجمه الحق على خلقه، وخص به خاصته؛ فان هذا من غاية سوء الادب. وما أظن الترمذي قصد بهذا السؤال طلب الشرح والايضاح لمناه، وانما قصد اختبار المسئول: انه إن كان من اهل الله لا يوضحه. فان أوضحه فيكون قد تلقاه من أحد غلطاً ممن تلقاه منه، لقرينة حال وذكاء فيه. وأما اهل الله، فقدم من الادب الإلهي ما يمنعهم ان يستروا ما كشف الله، او يكشفوا ما ستره الله».

(فتوحات: ٢: ١٢٠)

١٢٣) «الجواب: بجميته. وطوى عن الآخر بوجوده في محل التبديد» (الجواب المستقيم، ورقة ٢٥١ أ — ٢٥١ ب).

«الجواب: بجميته وتلذذه، ليعرف الشيخ بما حصل عنده وبسببه. وطوى عن سليمان، بوجوده في محل التبديد في الوقت. فان الحكم للوقت. ووقته انه رسول. فهو صاحب وجود، مصروف الدين إلى من أرسل اليه. وصاحبه في جميته على امر واحد، متحقق بها. فظهر بما طوى عن سليمان العمل به، تمطيناً لقدر سليمان، عليه السلام، عند اهل بلقيس وسائر اصحابه. وما طوى عن سليمان العلم به، وانما طوى عنه الاذن في التعرف به، تترجاً لمقامه».

(فتوحات: ٢: ١٢٠–١٢١)

١٢٤) «الجواب: السبب فيه تعظيم الأمر عند المدعو» (الجواب المستقيم، ورقة ٢٥١ ب).

«الجواب: اعلام الغير بأن التلميذ التابع إذا كان أمره بهذه المثابة، فما ظنك بالشيخ؟ فيبقى قدر الشيخ مجهولاً في غاية التعظيم. فلو ظهر على سليمان، لتوهم ان هذا غايته. ولا شك ان مشهد سليمان في ذلك الوقت، والله اعلم، كان مشهد أدب، لا يريد ان يكون عنه شرك في التصرف. كما قال ابو السعود: اعطيت التصرف وتركته تظرفاً؛ في حكاية طويلة (...)

ب[٣] وما V.
ت[٣] - V.
ث[٣] - ث[٣] صلوات الله عليه F.
ج[٣] السلب V.

(السؤال الخامس والثلاثون ومائة) : وماذا[ر] اطلع من الاسم[خ] : على حروفه[د] ، أم[ذ] على معناه[١٧٥] ؟

(السؤال السادس والثلاثون ومائة) : وأين[ر] باب[ر] هذا الاسم ، الخفي على الخلق ، من أبوابه[١٧٦] ؟

والغرض للنبي ، انما هو الدلالة ؛ وظهورها على يد صاحبه اتم في حقه . اذ كان هـذا التابع مصدقاً به وقائماً في خدمته ، بين يديه ، تحت امره ونهيه . فيزيد المطلوب رغبة في هذا الرسول . اذا رأى بركته قد عادت على تابعيه . فيرجو هذا الداخل ان يكون له بالدخول في امره ماكان لهذا التابع . والنفس مجبولة على الطمع وحب الرياسة والتقدم ».

(فتوحات : ٢ : ١٢١)

١٧٥) « الجواب : على حروفه خاصة » هو وكل ولي من الأمم الخالية ، ما خلا النبيين ، الا اولياء (الاصل : الاولياء) هذه الامة المحمدية : فمنهم من له المعنى دون الحرف ، ومنهم من جمع له بينها . والقسم الثالث (اي الحرف دون المعنى) لا يكون في هذه الأمة ». (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥١ ب).

« الجواب : على حروفه دون معناه . فانه لو وقف على معناه لمنعه العمل به ، كما منع سليمان . ألا ترى الى قوله تعالى ، في صاحب موسى : « فانسلخ منها » ؟ فكانت عليه كالثوب ، وهو مثل الحرف على المعنى ، فعمل بها في غير طاعة الله فأشقاه الله . وصاحب سليمان عمل به في طاعة الله فسعد .

وما وقف على معناه من الامم الخالية سوى الرسل والانبياء . فانهم وقفوا على معناه وحروفه . إلّا هذه الطائفة المحمدية : فانهم جمع لبعضهم بين حروفه ومعناه ؛ ولبعضهم اعطى معناه دون حروفه . وليس في هذه الأمة من اعطي حروفه دون معناه . — وكذلك صاحب الأخدود ، اعطي حروفه دون معناه . فانه تلقاه من الراهب كلمات ، كما ورد . وهي الكلمات التي ذكرناها في السؤال الثاني والثلاثين ومائة ».

(فتوحات : ٢ : ١٢١)

١٧٦) « الجواب : بالمغرب الأقصى » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥٠ ب).

« الجواب بالمغرب . — قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « لا تزال طائفة من اهل المغرب ، ظاهرين على الحق الى يوم القيامة ». وعليه تطلع الشمس من المغرب ، عندما يـد

ح[٣] وعلى ماله V . خ[٣] العم V .

د[٣] حروف V . ذ[٣] او V .

ر[٣] — ر[٣] وارباب V .

(السؤال السابع والثلاثون ومائة) : وما كسوته [١٧٢] ؟

باب التوبة ويغلق . « فلا ينفع نفس ايمانها» ولا ما تكتسبه من خير بذلك الايمان . والمؤمن لا يغلق له باب . وكيف يغلق دونه وقد جازه وتركه وراءه ؟ فمن عناية المؤمن غلقه ، حتى لا يخرج عليه بعد ما دخل منه . فلا يرتدّ مؤمن بعد ذلك ، فانه ليس له باب يخرج منه . فغلق باب التوبة رحمة بالمؤمن ووبالًا بالكافر .

وجعله الله بالمغرب ، لانه محل الاسرار والكتم . وهو سرّ لا يعلمه إلا اهل الاختصاص . فلو كان هذا الباب بالشرق ، لكان ظاهرًا عند العام والخاص . ووقع به الفساد في العموم . وهذا يناقض ما وجد له العالم من الصلاح . وقد جاء في جانب الشرق من الذم ما جاء . — والشرق بمنزلة الخروج الى الدنيا ؛ وهي دار الابتلاء للعام والخاص . والغرب بمنزلة الخروج من الدنيا والدخول الى الآخرة . فانه انتقال الى دار التمييز والبيان ، ومعرفة المنازل والمراتب على ما هي عليه عند الله تعالى . فيعلم السعيد سعادته ، والشقي شقاوته . فيظهر عند ذلك عين هذا الاسم الخفي لجميع الخلق ، ويحرمون الدعاء به لشغلهم بما هم فيه من الهول . فيعظم في قلوبهم شدة الهول ، بحيث ان يظنوا انه ما ثَمّ دعاء يردّ ما هم فيه . ولو وفقوا للدعاء به لسعدوا . فسبحان القدير على ما يشاء ! »

(فتوحات : ٣ : ١٢١)

١٧٢) « الجواب : حال الداعي به » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥١ ب) .

« الجواب : حال الداعي به المنوي . وكسوته على الحقيقة حروفه ، اذا اخذت الاسم من طريق معناه . فإن اخذته من طريق حروفه ، فحينئذ يكون كسوته حال الداعي به . فاذا اقيم في شاهد الحس في التخيل او الخيال ، فيكون كسوته الثوب السابغ الاصفر ؛ بلتوي فيه فإنه غير مخيط .

ألا ترى بقرة بني اسرائيل « صفراء فاقع لونها » « لاشية فيها » ؛ فيحيي بها الميت ، وهو أعظم الاثار احياء الموات ، حياة الايمان وحياة العلم وحياة الحس . — وأعظم أثره في زمان الشتاء ، اذا وقع فيه شهر صفر ، في أول الشتاء الى انتصافه . فهو اسرع أثرًا منه في باقي الأزمنة وباقي الشهور . ويكون الثوب صوفًا او شعرًا أو وبرًا ، لا غير ذلك ؛ والريش منه . وإنما قلنا هذا ، لانه قد يظهر لقوم بنوع من انواع ما ذكرناه ، من هذه الانواع التي تلبس . فلو ظهر في نوع واحد ، لعرّفناكم به واقتصرنا عليه .

وقال بعضهم : رأيت كسوته جلدًا أصفر ، قد صفر بورس او زعفران . وهكذا رآه الحسين بن منصور . ولكن لم يكن سابغ الثوب وانما ستر بعض اعضائه : ستر منه قدر ستة أذرع لا غير » .

(فتوحات : ٢ : ١٢١–١٢٢)

(السؤال الثامن والثلاثون ومائة) : وما حروفه (١٧٨) ؟

(السؤال التاسع والثلاثون ومائة) : والحروف ز٣ المقطعة ز٣ مفتاح كل اسم من اسمائه ، فأين هذه الاسماء ، وإنما هي ثمانية وعشرون حرفاً س٣ ، فأين هذه الحروف س٣ (١٧٩) ؟

١٧٨) « الجواب : الدال والذال والراء والزاي والواو والالف ولام الألف » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥١ ب) .

« الجواب : الالف ولام الألف والواو والزاي والراء والدال والذال . فاذا ركبت التركيب الخاص ، الذي تقوم به نشأة هذا الاسم ، ظهر عينه ولونه وطوله وعرضه وقدره ؛ وانفعل عنه جميع ما توجهه عليه . هكذا هو عند الطائفة في الواقعة ؛ ولا تنقل عني اني أعلم لما ذكرت فيه ؛ هذا لا يلزم : فقد تنقل من الواقعة والكشف جميع ما سطرته ، ولا يلزم أن أكون عالماً به . وإنما قلتُ هذا ، لئلا يتوهم أنه ما ذكرته إلا عن علم به . ولكن مطلبي من الحق العبودة المحضة ، التي لا تشوبها ربوبية ، لا حساً ولا معنًى » . (فتوحات: ٢: ١٢٢) .

١٧٩) « الجواب : الاسماء في التركيب ، والحروف عند انقطاع الكلمة . ومراد الترمذي في هذه الحروف ، حروف الرقم بالوضع العربي بالترتيب الأول ، الذي هو : ا ب ت ث . لم يتعرض لغير ذلك » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥١ ب) .

« الجواب : لانه يفتح الحرف الواحد من الاسماء الالهية اسماء كثيرة لا يحصرها عدد . وذلك لانه انما يفتح اسماء الاسماء ، التي تتركب من الحروف ، بحكم الاصطلاح . وقد ثبت ان الحق متكلم ؛ فقد سمّى نفسه من كونه متكلماً بالكلام الذي نسب اليه ويليق به . وهذه الاسماء ، التي تظهر عن الحروف ، أسماء تلك الاسماء . فلو ان الحرف الواحد يفتح اسماً واحداً ، لكان — كما قلت — من التعجب . ألا ترى في الاسماء المحفوظة في العموم : كالملك والمصور والمان والمنان والمقتدر والمحيي والمميت والمقيت والمالك والمليك والمقدم والمؤخر والمؤمن والمهيمن والمتكبر والمغني والمعز والمذل؛ فهذا حرف واحد افتتحنا به كذا كذا اسماً الاهياً ، مع أنا لم نستوف .

ثم لتعلم ان كل اسم في العالم هو اسمه ، لا اسم غيره . فانه اسم الظاهر في المظهر . وليس في وسع المخلوقين حصرها ولا احصاؤها . وجميعها مفاتيحها هذه الحروف على قلتها . ولك في اختلاف اللغات اعظم شاهد وأسدُّ دليل ، ان فهمت مقصود القوم .

ز٣ – ز٢ وحروف المقطع V . س٣ – س٢ – V .

(السؤال الاربعون ومائة) : وكيف صار الألف مبتدأ الحروف (١٨٠) ؟

وأما قوله : فأين هذه الحروف ؟ — فقل له : في عوارض الانفاس ، تعرض « للنفس الرحماني » ما يحدث عين الحرف ؛ ويعرض للحروف ما يحدث الاسماء . فابنية الاسماء ، في الحروف . وابنية الحروف ، الانفاس . وابنية الانفـاس ، الارواح . وابنية الارواح ، القلوب . وابنية القلوب ، عند (الاصل : عندية) مقلبها . واسماء الحق لا تتعدد ولا تتكثر الا في المظاهر . واما بالنسبة اليه فلا يحكم عليها العدد ولا اصله ، الذي هو الواحد . فاسماؤه ، من حيث هو ، لا تتصف بالوحدة ولا بالكثرة .

فسؤال الامام ، انما هو عن الاسماء ، التي يقع بها التنفظ في عالم الحروف اللفظية ؛ ويقع بها الرقم في عالم الكتابة . فتارة يراعى الرقم ، وتارة يراعى اللفظ . وأما غيره فيجعل حروفاً ثوالث ، وهي الحروف الفكرية . وهي ما يضبطه الخيال من سماع المتلفظ بهـا أو إبصار الكاتب إياها » .

(فتوحات : ٢ : ١٢٢)

١١٧) « الجواب : لان له القيّومية ، بلا خـلاف بيننا » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥١ ب) .

« الجواب : لان له الحركة المستقيمة . وعن القيّومية يقوم كل شيء . فإن قلت : انما يقع التكوين بالحركة الافقية ، فانه لا يقع إلا بمرض (=بغرض ، بعلة) والمرض ميل : ألا ترى إلى القائلين بحكم العقل ، كيف جعلوا موجد العالم علّة العلل ؟ والعلة تناقض القيومية . — فلنقل : انما وقع الوجود بقيومية العلة . فإنه لكل امر قيومية . فقيومية الالوهية تطلب المألوه ، بلا شك . — « أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت » .

وما ثمّ يناسب الالف إلّا الحرف المركّب وهو اللام ، فانه مركب من الف ونون . فلما تركّب حدث اللام الرقمي ، لا اللفظي . فلام اللفظ ، صورة في الرقم ، مركب من حرفين ؛ فيفعل بالتلفظ فعل الواحد ، وهو عينه ، ويفعل بالتفش فعل الالف والنون . وهكذا كل حرف مركب ويفعل فعل الراء والزاي ببعد ، كما يفعله النون بقرب . لان النون حرف مركب من زاي وراء ، وأريد حروف الرقم .

فابتدؤا بالألف في الرقم ، لما ذكرنـاه ؛ وانفتحت فيه اشكال الحروف كلها . لان اصل الاشكال الخط ؛ كما أن اصل الخط النقطة . والخط هو الألف . فالحروف منه تتركب واليه تنحل : فهو أصلها .

وأما الحروف اللفظية ، فالألف يحدثها بلا شك . كما يظهر الألف عن الحرف اذا اشبعته الفتح ، فانه يدل على الالف . كما أنك اذا اشبعت الحرف الضم ، دلّ على الف الميل ، وهو

(السؤال الحادي والاربعون ومائة) : وكيف كر الالف واللام في آخره ش٣(١٨١) ؟

العلة . وانما ظهر عن الرفع المشبع ، لان العلة ارفع من المعلول . فما ظهر عن الحرف إلا بصفة الرفع البالغ ، ليعلم أنه وإن مال فإنه ما مال إلا عن رفعة ، رحمة بك ليوجدك مظهراً لخلقك . ألا تراه في حرف الايجاد ، كيف جاء برفع الكاف المشبع فقال : « انما قولنا لشيء ، اذا اردناه ، ان نقول له كن » ؟ فجاء بالكاف مشبعة الضم لتدل على الواو .

فان قلت : وأين الواو ؟ — قلنا : غيب في السكون ، الذي هو الثبوت . فان الحق يستحيل عليه الحركة . فلما التقى سكون الواو من « كون » وسكون النون ، انحذفت الواو بالغيب فلم تظهر ، ولزمت الحوية . وهذا هو « الهو » غيب ، وضمير عن غائب . وبقيت النون ساكنة ، تدل على سكون الواو . وظهرت النون على صورة الواو ، في السكون ، وهو الثبوت . كقوله : « خلق آدم على صورته » . — فأثبت الاسباب بوجود النون في « كن » = اي ما ثَمّ كائن حادث إلا عند سبب . فلا يرفع الاسباب إلا جاهل بالوضع الالهي . ولا يثبت الاسباب إلا عالم ، كبير ، اديب في العلم الالهي .

فمن الحروف اللفظية يوجد عالم الارواح . وعن الحروف الرقمية يوجد عالم الحس . وعن الحروف الفكرية يوجد عالم العقل في الخيال . ومن كل صنف ، من هذه الحروف ، تتركب اسماء الاسماء » .

(فتوحات : ٢ : ١٢٢-١٢٣)

(١٨١) « الجواب : لان اللام كسوة (الاصل : كسوف) الالف وجنته . وجعلها في الآخر ، لانه ظهر في عالم التركيب ، وهو آخر العالم . فكان تنبيهاً أجري على خاطر الواضع . وربما لم يقصده . ونحن ننظر في الاشياء ، من كون الباري واضعاً لها لا من حيث مَنْ ظهرت على يديه . فلا بد من الحكمة والقصد في ذلك التخصيص » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥١ ب — ٢٥٢ ا) .

« الجواب : هذا يختص بحروف الرقم المناسب المزدوج ، وهو نظم : ا ب ت ث ، لا حروف وضع : أبجد . فان لام ألف ما ظهر إلا في نظم : ا ب ت ث . فانه ناسب بين الحروف لتناسبها في الصورة ، بخلاف وضع : أبجد . وذلك لان اللام كسوة الألف وجنته ؛ فانه مستور فيها بالنون الملصقة به ، الذي تمم وجود اللام وجعلها في آخر النظم ، ليس بعدها إلا الياء . لانه ظهر في عالم التركيب ، وهو آخر العوالم ؛ وجاء بعده بالياء ، فان لها

ش٣ آخرا V ، + يقبل لامه الإلف وقد ذكر امره في الحروف V .

(السؤال الثاني والاربعون ومائة) : ومن أي حساب صار عددها ثمانية وعشرين ص٣ حرفاً (١٨٢) ؟

السفل . اذ كانت انما حدثت من اشباع حركة الخفض ، والخفض سفل ، والسفل آخر المراتب . فكان تنبيهاً اجرى على خاطر الواضع لهذه الحروف ؛ وربما لم يقصد ذلك . ونحن إنما ننظر في الاشياء ، من حيث إن الباري واضعها لا من حيث بد من ظهرت منه . فلا بد من القصد في ذلك والتخصيص . فشرحنا لكون الحق هو الواضع ، لا غيره .

ولما كانت الأولية للألف ، انبغى ان تكون له الآخرية . وكما له الظاهر في أول الحروف ، انبغى ان يكون له الباطن في آخر الحروف : ليجمع بين « الأول والآخر والظاهر والباطن » . والياء هي الف الميل في عالم الحس، الذي هو العالم الاسفل ، لحدوثها عن الخفض لتدل على الألف التي في لام ألف ؛ ولتدل على السبب الذي في شكل اللام ، إذا انفردت . فإذا عانقت الألف ، صغرت النون في الالتواء ؛ وقابل الألف التي في اللام ، الألف التي في لام ألف ، حتى لا يكون يقابله إلا نفسه : فقابل الألف الألف! وربطت النون بينها ، وهو ألف سر العبد ، الذي تألف بربه . وهو من باب الامتنان الإلهي .

قال الله تعالى ، ممتناً على عبده : « لو انفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم » = ولم يقل : بين قلوبهم ، ولا بينها . فجاء بهاء الهو في «بينهم» ، وجعل ميم الجمع ستراً عليه ليدل على ما ينستر إليه من الجمعية ، من حيث كثرة الاسماء له ، تعالى . والمراد انه ، سبحانه ، ألف بين قلوب المؤمنين وبينه ، لانهم ما اجتمعوا على محمد ، صلى الله عليه وسلم ، إلا بالله وثم . فبه تألفوا ، لتألف محمد ، صلى الله عليه وسلم ، به . فافهم لماذا كرر لام الألف في نظم تناسب الحروف ، وهو نظم : ا ب ت ث» .

(فتوحات: ٢ : ١٢٣)

١٨٢) « الجواب : من حساب المنازل ، التي قدرها للسير العزيز العليم . واذا وضع قلم على شكلها ، في وقت مخصوص ، ظهرت به العجائب للكاتب به » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥٣ ا) .

« الجواب: لانها انما ظهرت اعيان الحروف في العالم العنصري وفي عنصر الهواء سلطانها ، كما ان التراب والماء للاجسام الحيوانية . كما ان عنصر النار للجان .

والعالم العنصري انما نسب الى العناصر ، لانها السبب الأقرب . والعناصر انما حدثت عن حركات الافلاك . وحركات الافلاك انما قطعت ثمانياً وعشرين منزلة في الفلك الذي قطعت فيه العالم . والعالم انما صدر من « نفس الرحمن » لأنه نفّس به عن الاسماء لما كانت تجده من

ص٣ وعشرون VF .

(السؤال الثالث والاربعون ومائة) : وما قوله[ض٣] : « خلق الله آدم على صورته »[(١٨٣)] ؟

عدم تأثيرها . والنفس شاسب لعنصر الهواء . فتشكلت المنازل الفلكية في الهواء العنصري ، لما ظهرت العناصر . فلما جاء حكمه فيا تولد عن العناصر من المولدات – ظهرت ، في أكمل نشأة المولدات وهو الانسان ، صور الحروف ثمانية وعشرين حرفاً عن ثمان وعشرين منزلة . وألحق فيها لام الف خطأ ، لينبه على القاطع في هذه المنازل وهي الكواكب السيارة . – فكما عمت المنازل بقوتها ، وتقطع فيها ايجاد الكائنات والحوادث – كذلك اوجدت هذه الحروف جميع الكلمات ، التي لا نهاية لها دنيا وآخرة .

فقد بان لك ، على التقريب ، لِمَ كانت ثمانية وعشرين حرفاً . فمن تمكّن له ان يضع قلماً على شكل المنازل في طالع مخصوص وتكون الدراري في عقدة الرأس – فإنه يكون عن ذلك القلم ، متى كتب به ، عجائب في سرعة ظهور ما يكتب له في أيّ شيء كان . حتى لو كتب به كاتب دعاء ، اجيب ذلك الدعاء ولم يتوقف » .

(فتوحات : ٢ : ١٢٣)

١٨٣) « الجواب : من حيث الكشف لا من حيث ما يحتمله اللفظ من الوجوه في هذا الحديث : وهو إن الهاء تعود على آدم ليس غير ذلك . وكل من قال فيه غير ذلك ، فبقوة النظر وصلاح اللفظ وما يعطي الكشف فيه غير هذا الوجه . فليقل من شاء ما شاء ! » .

(الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥٢ أ) .

« الجواب : اعلم انه كل ما يتصوره المتصور فهو عينه لا غيره ، فانه ليس بخارج عنه . ولا بد للعالم ان يكون متصوراً للحق على ما يظهر عينه . والانسان ، الذي هو آدم ، عبارة عن مجموع العالم ، فانه الانسان الصغير ، وهو المختصر من العالم الكبير . والعالم ما في قوة انسان حصره ، لكبره وعظمه . والانسان صغير الحجم ، يحيط به الادراك ، من حيث صورته وتشريحه وبما يحمله من القوى الروحانية . فرتب الله فيه جميع ما خرج عنه ، مما سوى الله . فارتبطت بكل جزء منه حقيقة الاسم الالهي ، التي ابرزته وظهر عنها . فارتبطت به الاسماء الالهية كلها ، لم يشذ عنه منها شيء . فخرج آدم على صورة الاسم « الله » ، اذ كان هذا الاسم يتضمن جميع الاسماء الالهية .

كذلك الانسان ، وان صغر جرمه ، فإنه يتضمن جميع المعاني . ولو كان اصغر مما هو ، فانه لا يزول عنه اسم الانسان . كما جوزوا دخول « الجمل في سم الخياط » ، وان ذلك

ض٣ + صلى الله عليه وسلم F .

ليس من قبيل المحال لان الصغر والكبر، العارضين في الشخص، لا يبطلان حقيقته ولا يخرجانه عنها. والقدرة صالحة ان تخلق جملاً يكون من الصغر بحيث لا يضيق عنه سم الخياط. فكان في ذلك رجاء لهم ان يدخلوا جنة النعيم. - كذلك الانسان، وان صغر جرمه عن جرم العالم، فإنه يجمع جميع حقائق العالم الكبير. ولهذا يسمي العقلاء العالم انساناً كبيراً. ولم يبق في الامكان معنى، الا وقد ظهر في العالم، فقد ظهر في مختصره (= ولم يبق في الامكان معنى - وقد ظهر في العالم - إلّا وقد ظهر في مختصره).

والعلم تصور المعلوم. والعلم من صفات العالم الذاتية. فعلمه صورته، وعليها خلق آدم. فآدم خلقه الله على صورته. وهذا المعنى لا يبطل، لو عاد الضمير على آدم؛ ونكون الصورة صورة آدم علماً. والصورة الآدمية حساً مطابقة للصورة. ولا يقدر يتصور هذا إلا بضرب من الخيال يحدثه التخيل. وأما نحن، وأمثالنا، فنعلمه من غير تصور. ولكن لما جاء في الحديث ذكر الصورة، علمنا ان الله إنما أراد خلقه على الصورة، من حيث انه يتصور لا من حيث ما يعلمه من غير تصور. فاعتبر الله تعالى في هذه العبارة التخيل؛ واذا ادخل سبحانه نفسه في التخيل، فما ظنك بمن سوى الحق من العالم؟

صحّ عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، انه قال لجبريل: «الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه». فهذا تنزيل خيالي، من اجل كاف التشبيه. وانظر من كان السائل ومن كان المسئول ورتبتهما من العلم بالله؟ ولم يكن بأيدينا إلا الاخبار الواردة بالنزول والمعية واليدين واليد والعين والاعين والرجل والضحك وغير ذلك، مما ينسب الحق الى نفسه. وهذه صورة آدم قد فصلها في الاخبار وجمعها في قوله: «خلق الله آدم على صورته».

فالانسان الكامل ينظر بعين الله، وهو قوله: «كنت بصره الذي يبصر به» الحديث. كذلك يتبشبش بتبشبش الله ويضحك بضحك الله ويفرح بفرح الله ويغضب بغضب الله وينسى بنسيان الله. قال تعالى: «نسوا الله فنسيهم». وينسب جميع ما ذكرناه الى كل ذات، بحسب ما تقتضيه مع علمنا بحقيقة كل صفة. فان كانت الذات المنسوب اليها معلومة، علم صورة نسبه هذا المنسوب. وان جهلت الذات المنسوب اليها، كنت بنسبة هذا المنسوب اجهل. فهذا الوجه الذي يليق بجواب سؤال هذا السيد.

فلو سأل مثل هذا السؤال فيلسوف اسلامي، اجبناه بان الضمير يعود على آدم. اي انه لم ينتقل في أطوار الخلقة، انتقال النطفة من ماء الى انسان، خلقاً بعد خلق بل خلقه الله كما ظهر. ولم ينتقل أيضاً من طفولة الى صبيّ الى شباب الى كهولة. ولا انتقل من صغر جرم الى كبره، كما ينتقل الصغير من الذرية. بهذا يجاب مثل هذا السائل: فلكل سائل جواب يليق به».

(فتوحات، ٣: ١٢٣ - ١٢٤)

(السؤال الرابع والاربعون ومائة): وقوله[ط٣] : « ليتمنين[ظ٣] اثناء[ع٣] عشر نبياً ان يكونوا من امتي[(١٨٤)] » ؟

١٨٤) « الجواب : هم انبياء ولدوا ليلاً » ٢٥٣/١.

« الجواب : لما كانت أمته خير الامم ، وعندها زيادة على أنبياء الامم باتباعهم سنن هدى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . فإنهم ما اتبعوه لأنهم تقدموه ؛ وليس خيراً من كل امة الا نبيُّها . ونحن خير الامم ، فنحن، والانبياء في هذه الخيرية، في سلك واحد منخرطون(الاصل: منخرطين) . لانه ما ثَمَّ مرتبة بين النبي وأمته ؛ ومحمد خير من أمته . كما كان كل نبي خيراً من أمته . فهو صلى الله عليه وسلم خير الانبياء .

فهؤلاء الاثنا عشر نبياً ولدوا ليلاً وصاموا الى ان ماتوا ؛ وما أفطروا نهاراً مع طول أعمارهم ، سؤالاً ورغبة ورجاء ان يكونوا من امة محمد ، صلى الله عليه وسلم! فلهم ما تمنوا . وهم مع من أحبوه يوم القيامة . فيأتي النبي يوم القيامة وفي أمته النبي والاثنان والثلاثة . ويأتي محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وفي أمته انبياء اتباع وانبياء اتباعٍ وانبياء ما هم انبياء اتباعٍ . فيتبع محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، ثلاثةُ اصناف من الانبياء . وهذه مسألة (الاصل : مسئلة) أعرض عن ذكرها اصحابنا ، لما فيها مما يتطرق الى الأوهام الضعيفة من الإشكال .

وجعلهم الله اثنى عشر ، كما جعل الفلك الاقصى اثنى عشر برجاً : كل برج منها طالع نبي من هؤلاء الاثنى عشر ، لتكون جميع المراتب تتمنى ان تكون من امة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، من الاسم الظاهر . ليجمعوا بينه وبين ما حصل لهم من اسمه الباطن . اذ كان كل شرع بعثوا به من شرعه ، عليه السلام ، من اسمه الباطن : « إذ كان نبياً وآدم بين الماء والطين » .

فقوله تعالى : « أولئك الذين هدى الله ، فبهداهم اقتده » ، وما قال : بهم . اذ كان « هداهم » (هو) هداك الذي سرى اليهم في الباطن من حقيقتك . فمعناه من حيث العلم : اذا اهتديت بهداهم ، فهو اهتداؤك بهديك ، لان الأولية لك باطناً، والآخرية لك ظاهراً ، والأولية لك في الآخرية ظاهراً وباطناً » .

(فتوحات: ٢: ١٢٤–١٢٥)

ط٣ وما قوله F .
ع٣ اثني VF .
ظ٣ — V .

(السؤال الخامس والاربعون ومائة) : وما تأويل قول موسى[ع ٣]: «رب ، اجعلني من امة محمد[ف ٣]» (١٨٥) ؟

١٨٥) « الجواب : لما رآهم في الدخول وهو يليهم ، فكانت الامة حجاباً بينه وبين محمد ، عليهما السلام ، حتى لا يكون بينه وبين محمد عليه السلام (في الاصل: عليم) واسطة ، كعيسى عليه السلام (في الاصل: عليم) . ولهذا طلب الزلفى بامة محمد حين نبّه عليه محمدًا عليه الصلاة والسلام ، ليلة الاسراء ، ليفتح بذلك طريقاً لنفسه في هذه الامة ، مع بقائه في درجة اختصاصه بالرسالة . وانما هو كمال ينضم الى كمال بشرف محمد صلى الله عليه وسلم (في الاصل: صلعم) » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥٢ ا).

« الجواب : لما عرف موسى ان الانبياء في النسبة الى محمد نسبةُ أمته اليه ، وان نسبة امته اليه من اسم الظاهر والباطن ، ونسبة الانبياء اليه من اسم الباطن – أراد موسى ان يجمع الله له بين الاسمين في شرعه . ثم انه لما علم انه تبع ولم يشك ، اراد اقامة جاهه عند محمد ، صلى الله عليه وسلم ، على غيره من الرسل . اذ كان التباهي يوم القيامة بالتكاثر بالامم والاتباع . وليس في الرسل اكثر اتباعًا من موسى ، عليه السلام ، كما اخبر صلى الله عليه وسلم في الصحيح :«حين رأى سوادًا اعظم ، فسأل فقيل له : هذا موسى وأمته » . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « انه سيد الناس يوم القيامة » . والسيد لا يكاثر .

فاذا كان موسى بدعائه من امة محمد في الدرجة ، ظاهره وباطنه – مثل ما نحن – زاد هو وامته في سوادنا بلا شك . وما قال عليه السلام : « اني مكاثر بكم الامم » ، إلا في امم لم يكن لنبيها مجموع الاسمين ؛ اللذين دعا الله موسى ان يكونا له . فكل من جمع بين الاسمين ، حشر معنا في امته ، صلى الله عليه وسلم !

فيباهي موسى بأمته سائر الانبياء ، الذين حشروا معنا . فيكونون ثمَّ بمنزلة الامراء المقدمين على العساكر . فأكبرهم أميرًا ، اكثرهم جيشًا ؛ واكثرهم جيشًا ، أعظمهم قدرًا وحرمة عند رسول الله ، صلى الله صلى الله عليه وسلم . ولهذا قال الترمذي : انه يكون في امة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، من هو افضل من ابي بكر الصديق ؛ عند من (الاصل: ما) يرى انه افضل الناس بعد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من المسلمين .

فإنه معلوم ان عيسى ، عليه السلام ، أفضل من ابي بكر وهو من أمة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، ومتبعه . وانما ذكرناه لكون الخصم يعلم أنه لا بدّ ان ينزل في هذه الامة في آخر الزمان ويحكم بسنة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، مثل ما حكم الخلفاء المهديّون الراشدون . فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويدخل ، بدخوله من اهل الكتاب في الاسلام ، خلق كثير ايضاً » . (فتوحات ، ٢ : ١٢٥)

غ[٣] + عليه السلام V . ف[٣] + صلى الله عليه وسلم V .

(السؤال السادس والاربعون ومائة): وما[ق٣] تأويل قوله: «ان لله عبادًا، ليسوا بانبياء، يغبطهم النبيون بمقامهم وقربهم الى الله تعالى[ق٣]» [(١٨٦)] ؟

(السؤال السابع والاربعون ومائة): وما تأويل قوله: «بسم الله[ك٣] !» [(١٨٧)] ؟

١٨٦) «الجواب: أولئك المهيمون؛ وليس ذلك من الانبياء في كل حال. وانما ذلك في وقت شغلهم بالكون. وقد قال (عليه الصلاة والسلام): «لي وقت لا يسعني فيه غير ربي». فلا يغبطهم في هذه الحالة نبي اصلا، فانه اتم فيه منهم؛ بشرط ان يكون العبيد من الجنس الانساني. فان اراد بالعباد غير هذا الجنس، فله حكم آخر لا يحتاج الى ذكره». (الجواب المستقيم، ورقة ٢٥٣ا — ٢٥٣ب).

«الجواب: يريد ليسوا بانبياء تشريع لكنهم أنبياء علم وسلوك، اهتدوا فيه بهدى انبياء التشريع. وقد ذكرنا مقامهم ومعنى النبوة وتفاصيلها في هذا الباب وفي غيره من هذا الكتاب. غير انهم ليس لهم اتباع لوجهين:

١) الواحد، لتلائهم في دعائهم «الى الله على بصيرة» عن نفوسهم. فلا تعرفهم الاتباع. وهم المسودون الوجه في الدنيا والآخرة — من السؤدد — عند الرسل والانبياء والملائكة. ومن السواد، لكونهم مجهولين عند الناس. فلم يكونوا في الدنيا يعرفون، ولا في الآخرة يطلب منهم الشفاعة. فهم اصحاب راحة تامة في ذلك اليوم.

٢) والوجه الآخر، أنهم لما لم يعرفوا لم يكن لهم اتباع. فاذا كان في القيامة جاءت الأنبياء، خائفة «يحزنهم الفزع الاكبر» على أممهم لا على انفسهم. وجاء غير الانبياء خائفين «يحزنهم الفزع الاكبر» على أنفسهم. وجاءت هذه الطائفة مستريحة، غير خائفة: لا على نفوسهم «ولا يحزنهم الفزع الاكبر» على اممهم، اذ لم يكن لهم امم. — وفيهم قال الله تعالى: «لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون» = ان يرتفع الحزن والخوف فيه عنكم في حق أنفسكم وحق الأمم؛ اذ لم تكن لكم أمة؛ ولا تعرفتم لأمة مع انتفاع الامة بكم. ففي هذه الحال «تغبطهم الانبياء» المتبوعون اولئك المهيمون في جلال الله، العارفون؛ الذين لم تفرض عليهم الدعوة الى الله».

(فتوحات: ٢: ١٢٥)

١٨٧) «الجواب: مآله الى الفعل به، فان «بسم الله» من العبد بمنزلة «كن» من الله تعالى. وقد صرح بذلك الحسين بن منصور. وكان ذلك حاله». (ج.م. ٢٥٢ب).

ق٣ — ق٣ — V.

ك٣ + فليس تأويل عند الحكماء ان يقلب لغته ويترجم بالفارسية فما هو الا انك حولته (حولت F) من لغة الى لغة فليس هذا بتأويل. فهذا تحويل VF).

(السؤال الثامن والاربعون ومائة) : وما تأويل قوله : « السلام عليك ، ايها النبي[ل٢] » (١٨٨) ؟

« الجواب : هو للعبد في التكوين بمنزلة « كن » للحق . فيه يتكوّن عن بعض الناس ما شاءوا . قال الحلاج : « بسم الله من العبد بمنزلة « كن » من الحق » . ولكن بعض العباد له « كن » دون « بسم الله » ، وهم الأكابر . جاء عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في غزوة تبوك : « انهم رأوا شخصاً فلم يعرفوه ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : كن ابا ذرّ ! فاذا هو ابو ذر » . ولم يقل : « بسم الله ! » . فكانت « كن » منه « كن » الإلهية .

فإنه قال الله تعالى فيمن أحبه حب النوافل : « كنت سمعه وبصره ولسانه الذي يتكلم به » . وقد شهد الله لمحمد ، صلى الله عليه وسلم ، بأن له نافلة بقوله تعالى : « ومن الليل فتهجد به نافلة لك » . فلا بد ان يكون سمعه الحق وبصره الحق وكلامه الحق . ولم يشهد بها لأحد من النبيين . — فعلامة من لم تستغرق فرائضه نوافله وفضلت له نوافل ، أن يحبه الله تعالى هذه المحبة الخاصة . وجعل علامتها ان يكون الحق سمعهم وبصرهم ويدهم وجميع قواهم . ولهذا دعا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ان يكون كله نوراً . فان « الله نور السماوات والأرض » .

ولهذا تشير الحكماء بأن الغاية المطلوبة للعبد التشبه بالاله . وتقول فيه الصوفية : التخلق بالاسماء . فاختلفت العبارات وتوحد المعنى . — ونحن نرغب الى الله ونضرع ان لا يحجبنا في تخلقنا بالاسماء الالهية عن عبودتنا » .

(فتوحات : ٢ : ١٢٥ – ١٢٦)

١٨٨) « الجواب : مثل قوله ، عليه السلام في الصحيح : « اذا قال العبد سمع الله لمن حمده » . فهي مخاطبة من صفة الى صفة . وكذلك « يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً » وهم جلساؤه . وقد تعجب من هذا ابو يزيد ، لما سمع هذه الآية . فقال : كيف يحشر اليه من هو جليسه ؟ » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥٢ ب) .

« الجواب : لما كانت الانبياء بصفة تقتضي الاعتراض والتسليم ، شرع للمؤمن التسليم . ومن سلّم لم يطالب على العلة في كل ما جاء به النبي ، ولا في مسألة من مسائله . فان جاء النبي بالعلة قبلها ، كما قبل المعلول ؛ وان لم يجيء بها ، سلم فقال : السلام عليك أيها النبي . . وقد بينا معناها في باب الصلاة من هذا الكتاب ، في فصول التشهد . — واذا قال هذا : النبيّ ، فالمسلم عليه منه هو الروح » .			(فتوحات : ٢ : ١٢٦)

ل٢ + ورحمة الله V .

(السؤال التاسع والاربعون ومائة) : وقوله : « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين م٣(١٨٩) » ؟

(السؤال الخمسون ومائة) : وما تأويل قوله : « اهل بيتي امان لأمتي » (١٩٠) ؟

---

١٨٩) الجواب : هذا مقام الاتحاد عند فناء الكون . قال الله تعالى : « فاذا دخلتم بيوتاً فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة ». وقوله : « وعلى عباد الله الصالحين » سلام بلسان القدم ». (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥٢ب) .

« الجواب : يريد التسليم علينا لنا . اذ فينا ما يقتضيه الاعتراض منا علينا . فتلزم نفوسنا التسليم فيه لنا ، ولا نعترضه . ولا سيما اذا رأينا ان الحكم الذي يقتضي الاعتراض صدر من الظاهر في هذا المظهر ، الذي هو عيني . فنسلّم ، ولا بد ، علينا وعلى عباد الله الصالحين للاشتراك في العطف . اي لا يصح هذا العطف بعباد الله الصالحين ؛ إلا بأن يكون بتلك الصفة الصالحة ؛ وحينئذ يكون السلام علينا حقيقة . — وقد بينا ايضاً هذا المعنى في باب الصلاة من هذا الكتاب في فصول التشهد .

قال تعالى : « فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة ». فقد أمرنا بالسلام علينا ؛ لنحظى بجميع المراتب في امتثال الامر الالهي . وهذا يدلك على ان الانسان ينبغي ان يكون في صلاته اجنبياً عن نفسه بربه ، حتى يصح له ان يسلم عليه بكلام ربه . فانه قال : « تحية من عند الله مباركة طيبة » = فهو سلام الله على عبده وانت ترجمانه إليك » .

(فتوحات : ٣ : ١٢٦)

١٩٠) « الجواب : « سلمان منا ، أهل البيت » ». (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥٢ب) .

« الجواب : قال صلى الله عليه وسلم : « سلمان مِنّا ، أهل البيت ». فكل عبد له صفات سيده . « وانه لما قام عبد الله » = فأضافه إليه صفة ، اي صفته العبودة ؛ واسمه محمد واحمد . — واهل القرآن هم اهل الله . فانهم موصوفون بصفة الله وهو القرآن . « والقرآن امان وشفاء ورحمة » . وامته ؛ صلى الله عليه وسلم ، من بعث اليهم . واهل بيته من كان موصوفاً بصفته . فسعد الطالح ببركة الصالح : فدخل الكل في رحمة الله . فانظر ما تحت هذه النقطة من الرحمة الالهية بأمة محمد ، صلى الله عليه وسلم . وهذا معنى قوله تعالى : « ورحمتي وسعت كل شيء » . ووصف النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بالرحمة فقال :

(يتبع)

م٣ + فانه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قال ذلك اصاب كل عبد صالح لله في السماوات (السماء V) والارض V F .

تعريف عن الكتب

القديس اغوسطينوس: اعترافات

ترجمة الخوري يوحنا الحلو

المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٢ – مجموعة التراث الروحي – ٣٢٧ صفحة

يخاف الناقد عندما تقع بين يديه ترجمة كتاب ليقول فيها ما يراه، من حسنات وسيئات، فما القول عندما يكون ذاك الكتاب اعترافات اغوسطينوس الذي ضمّنه القديس اختباراته النفسانية وعصرة تفكيره اللاهوتي، فصار هذا الكتاب صورة سائر الكتب التي وضعها اسقف هيبون. ولذا فبدأنا بطالعة هذه الترجمة وسرنا بها رويداً رويداً فاذا باسلوبها ودقة تعابيرها وصريح تسلسلها تعطي النص الأصلي بكل ما فيه من تحليل دقيق وسعة اطلاع، اما تلك الروعة التي نقرأها بين سطور وكلمات النص الأول اللاتيني فلا نجدها هنا، اذ في لغة الاصل رونق وروعة لا يتبدلان ولا يحملها الّا لغة المؤلف. ولكن ما توصل اليه المترجم، دون تردد، هو تلك السهولة، وكأني بالقارئ محمول على تيّار هادئ يفرّج قلبه ويجعله يفكر دون عناء. ويعود الى الباطن فيرى ان اختبار اغوسطينوس اختباراً انسانياً وان في ما قاله ليس من المبالغة من شيء. عندما يعود الخاطئ الى نفسه ويرى بانتباه وصلابة ما هو الله وما هي الخطيئة.

فنهنئ المترجم على صنيعه ونودّ لو يتابع ترجمة أئمة الكتب لأئمة قادة الفكر العربي، فيكون خدم المكتبة العربية المسيحية، ويكون أدخل في التراث العربي ثروة لا تضاهى، وأدخل في كلماتها المعاني الجديدة. قد بدأ التمرين بكتاب صعب وابلى البلاء الحسن، فما عليه الّا ان يسير والنجاح نتيجة مسعاه.

ا. ع. خ.

مواعظ وتأملات

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

بيروت – مطبعة قلفاط ١٩٦٢ – ١٢٥ صفحة قطع وسط

كيف لا نقرأ هذه المواعظ بشغف وقد اسبغ عليها المؤلف ثوباً نيرًا من

الفصاحة الصادقة واوذع في اسلوب مرح شائق افكارًا واختبارات ونتيجة مطالعات عديدة. فتأملاته هذه ومواعظه تربّية يطالعها القارئ ولا يندم، اذ الكسب بعد كل مقطع وبعد كل عظة لجدير بان تحمله على البتّ بأموره الشخصية القيمة وعلى العودة الى ما أثّر فيه ليستقي مرارًا ما كان ارتشفه عاجلًا.

تفتقر المكتبة العربية الى كتب مواعظ القاها اصحابها بالعربية، ونحن نعلم ما في الترجمة من خيانة. ولذا فهذا الكتاب يحتل اليوم الصدارة بين الكتب العربية حتى التي ألّفها ادباء مسيحيون، وكأني بهم لا يفقهون تمامًا ان الالهام الاصيل الذي يصل بالعقل الى قمة النجاح هو ما يستالهمه الاديب من دينه ومن ايمانه. هاكم پاسكال وهالم كلودل وغيرهما ممن استقوا من ايمانهم ودينهم، ومن كتاب الوحي الاول والاخير زبدة الهاماتهم وتفكيرهم. فنحن في هذه البلاد الشرقية بحاجة الى آداب مسيحية تنخرط بالعربية، وبهذا نكون قد وصلنا الى مجاراة تيّار التطور والتقدم: لا ترجمة فحسب، ولكن تأليف وتفكير بالعربية.

ولذا، فاننا نهنئ المؤلف على نشره مواعظه، آملين ان تتبع هذا الكتاب كتب اخرى فيها تدقيق في مفردات دينية يعود اليها في التأليف يومًا.

يباع هذا الكتاب بليرة وربع، في المكتبة الشرقية، بقرب ساحة النجمة — بيروت.

ا. ع. خ

جاورجيوس البطل الشهيد

بقلم الخوري يوحنا الكوكباني

المطبعة الكاثوليكية – بيروت ١٩٥٨، ٤٨ صفحة

تتأرجح بين الاسطورة والتاريخ ولا نعلم كيف نفرّق بينهما. ولقد استخلص المؤلف بعض الحوادث واحبّ ان يؤلف منها مسرحية نجح باظهارها على ثلاثة فصول ومشاهد عديدة يتبعها القارئ بروية ويرى من خلالها سبكًا جميلًا واسلوبًا طريفًا، وتبدو شخصية جاورجيوس مسيحية اصيلة لا ارتباك فيها ولا مواربة، يرى الموت فلا يهابه وبمثله يجذب ليديا واباها. جوّ الرواية جوّ مسيحي عاش فيه البارحة ويعيش فيه اليوم من يؤثر الله والمسيح على مغريات الدنيا.

فمن خلال هذه المسرحيّة قد نال المؤلف ما توخّاه : ابراز الآثار القديمة بصورة جذّابة واضحة والفائدة منها . ا. ع. خ

سلطانة المذارى

بقلم كرم البستاني

المطبعة الكاثوليكية – بيروت ١٩٥٩ – ٧٢ صفحة

خُط هذا الكتاب بقلب شُغف بحبّ العذراء مريم ، وهذا الحب يتراءى لنا من خلال سطور ملأى علماً وتنقيباً وروحانية . كتب المؤلف كتابه للعديدين من الناس الذين ليس لهم ما يعودون به الى الكتب الضخمة والعلمية ليستقوا منها زبدة ما قيل بعد التفتيش الطويل. ولذا فانه احبّ ان يجمع حياة سلطانة العذارى في فصول ثلاثة : سنوّ العذراء في الهيكل ، مأساة الجلجلة وآلام مريم ، حياة العذراء بعد الصعود وانتقالها . غابت عن المؤلف في ذلك سني مريم التي قضتها مع المسيح الاله ايام حياته الخفية : وكأني به يعطي لتلك السنين معناها في الفصل الذي تكلّم فيه على مأساة الجلجلة. كانت مريم في ايام يسوع الخفية تهيء النفس لتلك المأساة لتكون لها اهلاً وفيها قد تكون مع المسيح مخلّصة لانه ارادها عند اقدام صليبه.

اسلوب رشيق . حياة من خلال السطور ، رويّة في الاخبار ، استخلاص معنى الحوادث الروحي ، امانة في المبادئ : كل هذا يقرّب المنال ويعطي الكتاب هذا فائدة. ا. ع. خ